

الكليم

موسى بن عمران



من
المولد
إلى
المبعث

الشيخ علي حسن غلوم

الشيخ
علي حسن غلوم

الكليم
موسى بن عمران

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

alwalaa.com

Email: alwalaa66@yahoo.com

الشيخ
علي حسن غلوم

الكليم

موسى بن عمران
من المولد
إلى المبعث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤	• المقدمة بقلم المؤلف
٢٣	١. أسماءه - ألقابه - نسبه
٢٥	موضوعات هذا الفصل
٢٥	مصدر الاسم ومعناه
٣٤	أسماءه الأخرى وألقابه
٤٠	نسبه في التوراة
٤٠	نسبه في القرآن
٤٣	نسبه في الروايات الإسلامية
٤٦	والدته
٥٨	نتائج الفصل وخلاصته
٥٩	٢. مكانته وصفاته الأخلاقية
٦١	موضوعات هذا الفصل
٦١	كمالاته وصفاته في القرآن
٦٢	الإحسان
٦٣	الحكم/الحكمة
٦٧	العلم
٦٩	المروءة

٧٢	 الوفاء بالوعد
٧٤	 توكله على الله وتعلقه القلبي به
٧٦	 حب الله والأنس به
٧٧	 التواضع
٧٩	 التأدب بين يدي المعلم
٨٠	 الحرص على التعلم
٨٠	 العزيمة والهمة وقوة الإرادة
٨١	 قوة الشخصية
٨٢	 قوة الحجة والاستدلال العقلي
٨٤	 المرونة في أساليب الدعوة
٨٧	 الأمانة
٨٧	 العفة
٨٨	 الغيرة الشديدة على الدين
٨٨	 الوجاهة عند الله
٨٩	 رسول من أولي العزم
٩٢	 نتائج الفصل وخلاصته
٩٣	٣. صفاته الخلقية
٩٥	 موضوعات هذا الفصل
٩٦	 صفاته الجسدية في القرآن
٩٩	 في التراث الكتابي
١١٤	 موسى ذو القرنين
١٢٦	 في روايات المسلمين
١٣٠	 نتائج الفصل وخلاصته

١٣٣	٤. التحديد الزمني
١٣٥	موضوعات هذا الفصل
١٣٦	صعوبات متعددة
١٣٧	مؤلفات وآراء متضاربة
١٣٩	إطالة على التاريخ السياسي لمصر
١٤٣	فرعون واحد أم أكثر؟
١٥٠	المعايير القرآنية لتحديد هوية فرعون
١٧١	فرعون الهكسوسي
١٨٧	نتائج الفصل وخلاصته
١٨٩	٥. التحديد الجغرافي
١٩١	موضوعات هذا الفصل
١٩١	تحديات في مواجهة التعيين
١٩٢	هل كان موسى من أهل اليمن؟
١٩٤	واست - طيبة - الأقصر
١٩٥	إنب حز/حج - منف - من نفر - ممفيس
١٩٥	حوت وعرت - أواريس - أفاريس
١٩٧	الاحتمال الأقرب للصحة
٢٠١	إطالة على أواريس
٢١٣	نتائج الفصل وخلاصته
٢١٥	٦. مولده
٢١٧	موضوعات هذا الفصل
٢١٨	أوضاع بني إسرائيل قبل المولد
٢٢١	المكر الإلهي

٢٢٢	قصة المولد في التوراة
٢٣٤	قصة المولد في القرآن الكريم
٢٥٠	أهم اختلاف بين السرديتين
٢٥٢	قصة المولد في التراث الروائي
٢٦٩	ابنة فرعون في التراث اليهودي
٢٧١	نتائج الفصل وخلاصته
٢٧٣	٧. طفولته ونشأته
٢٧٥	موضوعات هذا الفصل
٢٧٦	طفولته في القرآن الكريم
٢٧٨	طفولته في المصادر الكتابية
٢٨٤	طفولته في الروايات الإسلامية
٢٩٥	نتائج الفصل وخلاصته
٢٩٧	٨. شبابه
٢٩٩	موضوعات هذا الفصل
٣٠٠	موسى الشاب في القرآن
٣٠٦	موسى يقتل عدوّه
٣١١	تفاصيل الحادثة
٣١٣	القصة في التوراة
٣٣٤	موسى في مدين
٣٦٢	أخبار وروايات المسلمين
٣٦٩	نتائج الفصل وخلاصته

٣٧١	٩. المبعث
٣٧٣.....	موضوعات هذا الفصل
٣٧٤.....	المبعث في السردية التوراتية
٣٧٥.....	الشجرة - العليقة
٣٨٠.....	النار العجيبة
٣٨٠.....	الله يكلم موسى
٣٨٢.....	الرسالة الإلهية لبني إسرائيل
٣٨٣.....	آيات العصا واليد والدم
٣٨٤.....	موسى ثقيل اللسان
٣٨٥.....	قبول الرسالة والانطلاق نحو مصر
٣٨٦.....	كاد الله أن يقتل موسى
٣٩٢.....	الحدث في القرآن الكريم
٤٢٤.....	الحدث في الروايات الإسلامية
٤٤٣.....	نتائج الفصل و خلاصته
٤٤٧	• مصادر الكتاب
٤٤٧.....	المصادر العربية
٤٥١.....	المصادر الأجنبية
٤٥٢.....	مواقع الإنترنت
٤٥٣	• صدر للمؤلف

المقدمة

بقلم المؤلف

بقلم المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

قد يتساءل البعض لماذا ندرس سيرة النبي موسى «عليه السلام»؟ وما الفائدة المرجوة من التنقيب في سيرته التي عفا عليها الزمان، ولربما تهم أتباع رسالته أكثر مما تهمنا نحن من أتباع رسالة محمد «صلى الله عليه وآله»؟

النبي الكريم موسى «عليه السلام» أحد الرسل من أولي العزم، قال الله «تعالى»: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١)، وقد تكرر ذكر مشاهد من سيرته في القرآن الكريم أكثر من سيرة أي نبي آخر، فقد ورد ذكر الاسم موسى في القرآن الكريم (١٣٦) مرة في (٣٤) سورة، وأما قصته فقد وردت في السور الآتية:

١. سورة البقرة: ٥١-٦١ / ٦٧-٧٣ / ٩٢-٩٣

٢. سورة المائدة: ٢٠-٢٦
٣. سورة الأعراف: ١٠٣-١٥٦ / ١٥٩-١٦٢
٤. سورة يونس: ٧٥-٩٢
٥. سورة هود: ٩٦-٩٧
٦. سورة إبراهيم: ٥-٨
٧. سورة الإسراء: ١٠١-١٠٤
٨. سورة الكهف: ٦٠-٨٢
٩. سورة مريم: ٥١-٥٣
١٠. سورة طه: ٩-٩٨
١١. سورة المؤمنون: ٤٥-٤٩
١٢. سورة الفرقان: ٣٥-٣٦
١٣. سورة الشعراء: ١٠-٦٨
١٤. سورة النمل: ٧-١٤
١٥. سورة القصص: ٣-٤٨
١٦. سورة الصافات: ١١٤-١٢٢
١٧. سورة غافر: ٢٣-٤٥
١٨. سورة الزخرف: ٤٦-٥٦

١٩. سورة الذاريات: ٣٨-٤٠

٢٠. سورة النازعات: ١٥-٢٦

ولعلّ السبب في ذلك تشابه العديد من التحديات التي واجهتها رسالته مع تلك التي واجهتها رسالة نبينا «صلى الله عليه وآله».

كما أن في بعض ما عرضه القرآن الكريم من مشاهد هذه السيرة حالة من الغموض في التفاصيل وترتيب الأحداث، بما يجعل محاولة رفع ذلك من خلال دراسة سيرته أمراً معيناً في فهم الآيات الشريفة، وما فيها من مفاهيم ودروس، ومعيناً كذلك على فهم طبيعة التحديات التي واجهها هو على المستوى الشخصي، وواجهتها حركته الرسالية، واشترك فيها مع التحديات التي واجهها نبينا «صلى الله عليه وآله»، وواجهتها حركته الرسالية.

وهذا الكتاب يأتي بعد إصدار كتابيّ السابقين (أبو الأنبياء) و (المسيح عيسى ابن مريم) وتتمة للعرض المقارن بين ما جاء في التراث الإسلامي والتراث الكتابي حول هذين النبيين الكريمين «عليهما السلام»، وكجزء أوّل في عرض سيرة النبي موسى والذي يغطّي مرحلة المولد إلى المبعث، وستتم لاحقاً -بحول الله وقوته- دراسة أخرى تغطّي بدء الرسالة إلى وفاته.

وألفت نظر القراء الأعزّاء إلى أنّ هذا عرض تاريخي تحليلي مقارن من خلال نصوص دينية وتاريخية متوافرة بيد المسلمين واليهود والمسيحيين، ومن خلال دراسة الآثار وأدوات أخرى، ولذا فقد لا تكون بعض النتائج حاسمة ومؤكّدة ونهائية لعدة أسباب، وهي كالآتي:

أ) ظنية النصوص، باستثناء القرآن.

ب) ظنية فهم النصوص، ومنها القرآن.

ج) التعارض بين النصوص.

د) غياب الدلائل الآثارية الداعمة.

هـ) وقوع التحريف والتزوير على مستوى النص والمعنى.

وفهم بعض الأمور بحاجة إلى مقدّمات تاريخية وشيء من المعلومات العامة التي تساعد على فهم سيرة النبي موسى «عليه السلام» بشكل أفضل، وذلك من قبيل:

١. تحديد العصر الذي عاش فيه النبي موسى «عليه السلام».

٢. تحديد شخصية فرعون الذي عاصر النبي موسى «عليه السلام» وهل هو حاكم واحد أم عدّة حكام؟

٣. معرفة مواقع الأحداث من الناحية الجغرافية والتاريخية.

٤. معرفة الظروف السياسية والأمنية والاجتماعية والاقتصادية والدينية لذلك العصر.

ولذا فسنجد أن هذا الكتاب لن يكون سرداً قصصياً، بل سيعمل على تهيئة القاريء للدخول في أجواء الأحداث وفهم خلفياتها ونتائجها، وتحصيل قدر أفضل من تصوّر الأحداث، علاوة على مستوى من التمييز بين ما يمكن قبوله ورفضه من الكم الهائل من الآراء والتفاصيل الخاصة بسيرة هذا النبي الكريم.

ويأتي هذا الكتاب في تسعة فصول، بدءاً من التعريف بالشخصية، وبيان مقاماته

وكراماته عند الله «تعالى» كما جاءت في القرآن الكريم، ومروراً بقصة ولادته وطفولته ثم شبابه وزواجه وانتهاءً بمبعثه الشريف، مع الالتزام بالمقارنة بين ما جاء بهذا الشأن في كل من القرآن الكريم وأخبار ومرويات المسلمين من جهة، وبين ما جاء في خصوص التوراة ثم في التراث الكتابي المدراسي والتلمودي من جهة أخرى، واعتماد أسلوب التحليل والتحقيق للوصول إلى أقرب النتائج إلى القبول في إطار المفردات التاريخية المذكورة في هذه المصادر، وهو الأسلوب المعتمد من قبل في عرض سيرة النبي إبراهيم الخليل «عليه السلام»، والنبي عيسى المسيح «عليه السلام»، وكذلك في البحوث المقدمة في كتابي الأسبق (في عمق التاريخ) في جزئيه.

وسيجد القارئ الكريم في بداية كل فصل النقاط التي سيتم تناولها وبحثها في هذا الفصل على وجه التحديد، كما وسيجد في نهاية الفصل خلاصة للنتائج التي تم التوصل إليها في صورة نقاط مختصرة أيضاً.

أسأل الله «سبحانه وتعالى» أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول، وأن يغفر لي زلاتي وأخطائي وقصوري في ما قدّمت، إنه سميع مجيب، مع الشكر لكل الإخوة الأعزاء الذين قدّموا بعض الأفكار وطرحوا بعض الأسئلة خلال عرض سيرة النبي موسى في محاضرات شهر رمضان، وكان نتاجه هذا الكتاب، بما أثرى البحث وفتح لي أحياناً آفاقاً جديدة في بعض التفاصيل.

علي حسن غلوم علي

الكويت - ١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٣ م

أَسْمَاؤُهُ
أَلْقَابُهُ
نَسَبُهُ

أَسْمَاؤُهُ أَلْقَابُهُ نَسَبُهُ

• موضوعات هذا الفصل:

- محاولة تحديد مصدر اسم النبي موسى، ومصدره اللغوي، ومعناه.
- قراءة حول ما جاء في التراث الكتابي حول الأسماء الأخرى التي عُرف بها قبل أن يُسمّى موسى وبعد ذلك.
- ألقاب النبي موسى كما ذُكرت في بعض المصادر الكتابية ومعانيها.
- عرض ما جاء في التراث الكتابي والإسلامي حول نسب النبي موسى إلى آدم.
- عرض مجموعة من المعلومات المتوفرة حول والديه، وهل تزوّج والدّه عَمَّتَهُ؟!

• مصدر الاسم ومعناه:

وقع الاختلاف في مصدر اسم (موسى) ومعناه، وهل هو:

اسم عبري أم كنعاني أم مصري أم غير ذلك؟

وهل هو اسم مركّب أم مشتق؟

بل هل هو لقب لهذا النبي الكريم أم أنه اسمه؟

وهل حمله في طفولته المبكرة أم بعد خروجه من مصر مع بني إسرائيل؟

ومن الذي أطلق عليه هذا الاسم؟

وهل كان يحمل اسماً مختلفاً قبل أن يُعثر عليه في الماء؟

وغير ذلك من التفاصيل الخاصة بهذا الموضوع.

وحيث أننا لا نمتلك نصّاً قرآنياً يحسم الإجابات على هذه الأسئلة، لذا فسيكون من الصعب أن نتوصّل إلى الرأي الصحيح على وجه الحتم والحسم، لاسيما بلحاظ أن هذه المسألة - في جانب منها - خاضعة لتحديد شخصية فرعون موسى، وهل كان مصرياً أم من الهكسوس الساميين الذين من المحتمل أن يكونوا من العرب، أو خصوص العماليق منهم؟ وهل كانت زوجة فرعون مصرية، أم من بني إسرائيل، أم من الهكسوس^(١)؟ تفاصيل واحتمالات وأسئلة متعدّدة تجعل حسم القضية - على بساطتها بالنظرة الأولى - أمراً صعباً ومعقّداً، ولكل رأي واحتمال - سنطرحه - ما يؤيّده.

ويمكن القول أنّ الرأي الذي كان سائداً - بحسب الظاهر - إلى ما قبل قرنين من الآن تقريباً، هو الاستفادة من ظاهر النص التوراتي الذي تحدث عن بعض تفاصيل ولادة النبي موسى «عليه السلام» ثم إلقائه في الماء ثم العثور عليه وتسميته.

والنص الذي سنتناوله لاحقاً ضمن بحث ولادته «عليه السلام» وطفولته المبكرة يحكي كيف أُلقي في الماء بعد ثلاثة أشهر من ولادته: (فَنَزَلَتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ

١. سنتحدث عن الهكسوس لاحقاً بشيء من التفصيل.

لِتَعْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفَظَ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أُمَّتَهَا وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ».... وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»^(١).

فقد استفيد من النص السابق أن التي أسمته (موسى) هي الأميرة ابنة فرعون، وأنها اختارت له هذه الاسم على وجه التحديد بلحاظ أنها انتشلتته من الماء. أي أن الاسم له علاقة بالماء من جهة، وبالانتشال منه من جهة أخرى.

وحيث أن النص التوراتي الأصلي عبري، لذا فقد افترض أن الاسم عبري أيضاً، أي أنه مكوّن من كلمة -أو من أكثر من كلمة- عبرية، وأن الاسم يعني (ابن الماء) أو (المنتشل من الماء)، ومعانٍ قريبة من ذلك.

وقد جاء في الموسوعة اليهودية أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (٣٧-١٠٠م) قد ذكر أن الاسم مركب من مقطعين: مو (ماء) + أوسيس (مُنْقَذ) = موسس (المنقذ/المنتشل من الماء)^(٢).

ونقل المؤرخ علي بن الحسين السعودي (ت ٣٤٦هـ) هذا الرأي، ولا نعلم مصدر النقل، وذكر أن أمّه هي التي أسمته موسى بعد أن التقط وأرجع إليها، ثم حوّته إلى موسى، ووافقها على ذلك فرعون، وأن الاسم عُرّب لاحقاً فعاد وصار موسى، وأن موسى وموشى وميشا واحد، قال: (فروي أنّه لما وضعته أمّه في حِجرها، اشتدّ فرحها به، فقالت: فديتُك يا موسى. فسمع فرعون، فاستشاط، فأرسل الله جل وعزّ، فنطق

١. الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١٠-٥.

2. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses#anchor32>

على لسانها، فقالت: بلغني أنكم مشتموه من الماء) أي انتشلتموه من الماء (فقلتُ يا موسى بالعبرانية. فقال لها فرعون: صدقتِ، من الماء مشتناه، وأنا نسميه موسى. فَعَرَّبْتُ، فهو ميسا عليه السَّلام في دار فرعون)^(١).

إلا أن هذا الرأي - في مجمله - أحيط بالتشكيك والأسئلة العديدة التي فتحت المجال لإعادة البحث والتحليل لمعرفة وتحديد مصدر الاسم ومعناه وما إلى ذلك، ويمكن تلخيص الآراء الأخرى كالتالي:

١. الاسم عبري، ويعني: المنتشل / المنقذ. وذلك لأنه إن كان الجذر الحقيقي للاسم (موسى) هو الفعل (مَنَى)، فمن المفترض أن يكون المعنى (المنتشل) أو (المنقذ). وحيث لا يمكن للأميرة المصرية أن تكون تتحدث العبرية، فلذا فإن احتمال أن تكون هي التي أسمته موسى، وبهذا المعنى، احتمال واه ومهمَل. وإذا اعتبرنا أن النص المذكور في سفر الخروج غير دقيق، فيمكن القول أن الاسم أُطلق عليه لاحقاً حين أنقذ بني إسرائيل، لا في طفولته، ويعني: (المنقذ)^(٢).

٢. الاسم مصري، ويعني: طفل. وقد ذكرت الموسوعة اليهودية إلى أن الاحتمال المعتمد - عند إعداد الموسوعة - بشكل عام، وأيده عدد من العلماء، يعود بالاسم إلى كونه مشتقاً من كلمة (مِش) والتي تعني (طفل) في اللغة المصرية القديمة. وهذه الكلمة غالباً ما تُستعمل كجزء من اسم مركب^(٣).

وأيد قاموس الكتاب المقدس هذا الرأي، وجاء فيه أن ابنة فرعون هي التي أطلقت

١. المسعودي: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ص ٥٣.

2. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses#anchor32>

3. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses#anchor32>

هذا الاسم عليه لأنها حصلت عليه من النيل: (وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَتِهِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي أَنْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»). ولو كان الاسم (موسى) عبرياً، فلماذا تُطلق عليه ابنة فرعون اسماً عبرياً؟

ولذا فإن الصحيح أن الاسم (موسى) مأخوذ عن اللغة المصرية القديمة، حيث أنه مشتق من كلمة (مس). فالفعل (مس) (مسي) / يعني (يُنَجِب) أو (ابن) أو (يُعطي نسلًا)، ويلاحظ وجوده كثيراً في الأسماء الملكية المصرية القديمة، مثل:

(أحمس)، أي مولد (آه) إله القمر / ابن آه (إله القمر)

(تُحْتَمَس)، أي مولد توت (تحت) إله الحكمة / ابن توت (تحت)

(رعمسيس/رمسيس)، أي الذي أنجبه رع أو ري (إله الشمس)

ومن قدماء الكتاب اليهود من قال أيضاً بمصرية الاسم، كالفيلسوف فيلو / فيلون الإسكندري (السكندري) (٢٠ ق.م - ٥٠ م) الذي قال أن كلمة "ماء" باللغة القبطية (المصرية) هي mou/μῶυ. وجاء من بعدهم العالم اليهودي أبراهام ياهودا (١٨٧٧-١٩٥١) الذي قال أن الاسم حسبما ورد في التنخ مكوّن من مقطعين مدحجين: (ابن + ماء)، فيصبح الاسم هو (ابن النيل) mw-še.

ولكي لا يكون هذا التفسير متعارضاً مع ما جاء في النص السابق من التوراة، والذي يفهم منه أن الاسم عبري ويعني (المنتشل من الماء)، أضاف قاموس الكتاب المقدس أن ترجمة اسم موسى كما يشرحها الكتاب المقدس تكون (الْمُنْتَشَل من الماء) (اسم مفعول) بلحاظ ما فعلته ابنة فرعون، والتشابه بين الكلمات أو الأسماء ما بين اللغات هو أمر عادي، ونراه في أمثلة كثيرة. ومن المنطقي جداً أن تكون ابنة

فرعون قد شَبَّتْ وهي تعرف كلمات من اللغة العبرانية، أو قد يكون لديها بعض من العبيد والإماء من العبرانيين. وقد تكون الآية المذكورة كلاماً موجَّهاً من ابنة فرعون لأم موسى، فكلمتها بما تفهمه. وربما كان حديث ابنة فرعون مع مريم أخت موسى كذلك كان بالعبرية وليس باللغة المصرية القديمة^(١).

وذكر محمد جويلي في كتابه (محاكمة فرعون) أن عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد (١٨٥٦م-١٩٣٩م) ذكر رأياً عن أصل التسمية بالاسم موسى موافق لهذا الرأي، حيث قال: (سأنقل هنا مقطعاً مترجماً عن المؤلف جيمس هنري بريستد، واضع [تاريخ مصر] المحدود حجة في الموضوع: [من المهم أن نلاحظ أن اسم موسى كان مصرياً، فالكلمة المصرية موسى تعني طفل، وهي اختصار لبعض صيغ من الكلمة عينها أكثر كمالاً، نظير "آمون-موس" أي "آمون-الطفل"، أو "بتاح-موس" أي "بتاح-الطفل"، علماً بأن هذه الأسماء نفسها هي في الأصل اختصار لصيغ كاملة: "آمون أنجب طفلاً" أو "بتاح أنجب طفلاً". وسرعان ما حلَّت كلمة طفل محل السماء الكاملة المركبة، وهكذا تكرر كلمة "موس" بكثرة في الأوابد المصرية. ولا شك في أن والد موسى قد أعطى ابنه اسماً تدخل في تركيبه لفظة آمون أو بتاح أو رع، فأسقط فيما بعد اسم الإله، وبقي اسم الطفل ببساطة "موسى / موس" جيمس هنري بريستد فجر الوجدان سنة ١٩٣٤م ص ٣٥٠]. ثم يعلِّق سيجموند فرويد فيقول: [إنَّ بريستد قد أغفل في تعدادهِ ذِكرَ إماءٍ مماثلةٍ مقتبسةٍ عن أسماء الآلهة تتردد في قائمة ملوك مصر: أحموس، تحوتموس، رعموس "رمسيس"] [سيجموند فرويد موسى والتوحيد ترجمة

1. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/24_M/M_293.html

جورج الطرابيشي ١٩٤٨م في فصله الأول وعنوانه موسى المصري ص ٩٩^(١).

٣. الاسم مصري، ويعني: وَلَد. فقد اعتبر رؤوف أبو سعدة في كتابه (من إعجاز القرآن في أعجبي القرآن) أن المعنى الدقيق لكلمة (مُئِيس) هي (وَلَد) أو (وليد)، وعليه فإن معنى أسماء حكام مصر من قبيل رمسيس هو [وَلَد كذا]، قال: (إن فرعون الذي يعنيه الرواة هو [رَعْمِيس] أو [رمسيس] كما نكتبها نحن الآن، وأن [رعميس] اسم مركب: [رَع] + [مِيس]، وأن مُيس في المصرية القديمة تعني [وَلَد] أو [وليد] أو [ابن]، أما [رَع] فهي الإله رع رمز الشمس، أي أن رعميس المصرية القديمة تعني حرفياً: وَلَد رَع، ولم يبعد الراوي حين عَرَّب [مِيس] إلى وليد^(٢).

وأضاف أن موسى لفظة في المصرية القديمة مشتقة من الفعل (م / س / ي) والذي يعني (وَلَد) (يَلَد)، وأن لفظة موسى اسم على المفعولية من هذا الجذر، فهي (وَلَد) أو (وليد)، وأن الاسم موسى لا يدل على المعنى (ابن) بل (وَلَد): (القرآن المعجز أتى بلفظ موسى أقرب ما يكون إلى نطقه في لغة آل فرعون على ما استقر عليه علماء تلك اللغة في نطق الأسماء الأعلام المختومة بالشَّق [مُس]، كما تجد في [تُحوت + مُس] [تُحْتُمُس] التي انتهوا إلى أن أصلها [ضُحوتي + موسى] حيث تُنطق موسى فيها على الإمالة، تماماً كما تسمعها في بعض قراءات القرآن، والمعنى هو [وَلَد تحوت] أو [وليد تحوت]، لا [ابن تحوت] وإن تقارَب في المعنى، لأن [ابن] في المصرية القديمة هي [سا] لا [موسى]^(٣).

١. جويلي: محاكمة فرعون، ص ١٢٢-١٢٣.

٢. أبو سعدة: من إعجاز القرآن في أعجبي القرآن، ج ١، ص ٤٠.

٣. أبو سعدة: من إعجاز القرآن في أعجبي القرآن، ج ٢، ص ١٥.

انطلاقاً من هذا الرأي، اعتبر محمد جويلي أن ما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» في تحديد اسم فرعون موسى (رمسيس / رعموسي) بأنه (الوليد) يعد أمراً إعجازياً منه «صلى الله عليه وآله»^(١).

والرواية التي يشير إليها جويلي هي التي رواها ابن حنبل في مسنده: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا بن عياش قال حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ولد لأخي أم سلمة زوج النبي «صلى الله عليه وسلم» غلام فسموه الوليد فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «سميتموه بأسماء فراعنتكم! ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الأمة من فرعون لقومه»^(٢). وروى آخرون هذه الرواية بالفاظ قريبة منها.

٤. الاسم مصري ويعني الماء والشجر: قال المجلسي في (بحار الأنوار): (موسى اسم مركب من اسمين بالقبطية، فمو هو الماء، وسى: الشجر، وسمي بذلك لأن التابوت الذي كان فيه موسى وُجد عند الماء والشجر)^(٣).

٥. الاسم عربي: جاء في Encyclopædia Biblica أن الاسم ذو أصل سامي عربي، بدليل أن قبيلة عربية شمالية تحمل ذات الاسم^(٤).

٥. الاسم كنعاني، ويعني: المنتشل من الماء. قال بذلك أحمد سعد الدين في كتابه (فرعون ذو الأوتاد)، وهو بهذا الرأي لا يختلف مع ما ذكره (يوسيفوس) من حيث

١. جويلي: محاكمة فرعون، ص ١٢٤.

٢. أحمد بن حنبل: المسند، ج ١، ص ١٨.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤.

4. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses#anchor32>

معنى الاسم، ولكنه اختلف معه في المصدر اللغوي، انطلاقاً من أنّ فرعون موسى كان من الهكسوس ولم يكن مصرياً، والهكسوس ساميون يتحدثون الكنعانية أو الآرامية، ولذا فإن: (محاولة تفسير الاسم بعيداً عن اشتقاق اللغات السامية وخاصة الكنعانية والآرامية هي محاولة سخيفة وفيها الكثير من التضليل. آل فرعون ما هم إلا قبيلة وعائلة من عائلات العمالق الساميين الذين كانوا يحكمون مصر، وعُرفوا لاحقاً بالهكسوس، وكانت لغتهم هي الكنعانية باللهجة الآرامية المبكرة. ومعنى الاسم [موسى] واضح وجلي كما ذكرت التوراة نفسها، وهو [المأخوذ من الماء]، أو [المنتشل من الماء]، أو [الآتي من الماء]^(١).

ووافقه على هذا الرأي د. محمد راشد في كتابه (ملوك مصر القديمة) حيث ذكر أن الأميرة التي انتشلت هذا الطفل -بحسب التوراة- أميرة سامية، ولم تكن ابنة حاكم مصري قديم، ولذا فقد أسمت الطفل باسم سامي، شائع في لغة قومها، ولم يعرفه المصريون القدماء بهذه الصيغة^(٢). ولا نعلم كيف تأكد للدكتور محمد راشد بأن المصريين القدماء لم يكونوا يعرفون الاسم (موسى) بهذه الصيغة.

بل إن الانطلاق من النص التوراتي في كون مصدر الاسم يتمثل في ابنة الحاكم يُفترض أن يكون أمراً غير محسوم، لاسيما وأن النص القرآني يتحدث عن امرأة فرعون، أي زوجته، ولم يأت على ذكر دور لابنته، فلعل هذه الزوجة كانت من أصل غير مصري، على خلاف زوجها، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات الإسلامية، ولربما تكون من بني إسرائيل على وجه التحديد، أو من الهكسوس كما ذهب إلى ذلك

١. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٤٤١-٤٤٢.

٢. راشد: ملوك مصر القديمة، ص ١٨٥.

بعض الباحثين المعاصرين، ولعل إطلاق الاسم جاء لاحقاً من قبل أخت موسى التي لحقت أخاها الرضيع حتى استقر حيث الثَّقُط، واقترحت على امرأة فرعون والدتها لتكون مرضعاً له.. ولعل التي أسمته هي والدته، وذلك بعد أن أخذته لترضعه.. وهكذا تتوالى الاحتمالات وتتعدد الفرضيات ليتضح لنا من مجمل ما سبق، صعوبة حسم المسألة، مع الأخذ بعين الاعتبار تغيّر المعطيات الخاصة بتحديد الانتماء القومي أو العرقي لحاكم مصر آنذاك، وعدم امتلاك نص قرآني يخص هذه المفردة من البحث، وإن كان الأقرب إلى الصحة أن الاسم جاء باللغة المصرية القديمة، وأنه اسم مركب ويعني تقريباً: (ابن الماء)، أو (الماء ولدّه)، أو (وليّد الماء). فكلمة (مو) تعني الماء، وكلمة (سا) تعني ابن. وقد عبّر عن عدد من الملوك المصريين القدماء بعنوان: (سا رع)، أي (ابن رع): رمز (سا) هو البطة، ورمز (رع) هو قرص الشمس، رمز الإله رع [انظر اللوحة رقم ١].

• أسماءه الأخرى وألقابه:

وفي التراث اليهودي خارج إطار الرواية التوراتية أن لموسى سبعة أسماء، وقيل بل عشرة، وهي كالتالي:

١. أطلق عليه والده اسم (حَايِر) לַבַּיִר، لأنه أعيد إلى والدته.
٢. وأسمته والدته (يَاكُودال/ يَفُوثِيئِيل) יְקוֹחִיָאֵל أي المحفوظ بالله أو الذي حفظه الله، لأنها قالت: وثقتُ بالله، فأعاده إليّ.
٣. وأسمته أخته مريم باسم (جارد/ يارد) יָרֵד، لأنها (وردت) الجدول لتؤكد من مصيره.



اللوحة رقم ١ : لوحة أثرية تتضمن رمز (سا رع) أي (ابن رع)

٤. ودعاه أخوه هارون (أبي زائوخ) אבי זנוח وتعني (أبي تخلى / أبو هجر)، لأن والده الذي تخلى عن زوجته وهجرها، أعادها لاحقاً من أجل أن يولد الطفل ولا يُقتل.

٥. وأطلق عليه جدّه قهات اسم (أبي كدور/ أبا جدور) אבי גדור وتعني (أبي سيح/ أبو جدار/ أبو سياج)، لأن الله قد أقام جداراً أو سياجاً حول بني إسرائيل عندما أنقذ موسى، فمنع المصريين من إلقاء أطفال بني إسرائيل في الماء.

٦. وسَمّته حاضنته (أبي سوخو) אבי שוכו وتعني (أبو خباء)، لأنه ظل محتبئاً في (خيمة/ خباء) لمدة ثلاثة أشهر، هرباً من مطاردة المصريين.

٧. وأطلق عليه بنو إسرائيل اسم (شَمْعِيَا بن نَثْنِيئيل) שמעיה בן נתנאל وتعني

سمع الله بن عطاء الله، لأن الله كان يسمع تنهّدات الشعب في عهده، وينقذهم من مضطهديهم، ومن خلاله يعطيهم شريعته^(١).

وفي التلمود، أن والديه أَسْمِيَاه (طوف) Tov أي (جيد)، وقد تعني الكلمة (حسن) و (فاضل)... أو أَسْمِيَاه (طوبيا) Tobiah وهي كلمة قريبة من كلمة (طيب) بالعربية، وأن ابنة فرعون هي التي أَسَمْتَهُ موسى: (في الباريتا أنّ الحاخام مئير يقول: [طوف] هو الاسم الحقيقي لموسى، كما أعطاه إياه والداه عندما ولد. ويقول الحاخام يهودا: اسمه توفيا. ويقول الحاخام نعيميا: قالوا إنه طيب، لأنهم رأوا أنه صالح للنبوّة. ويقول آخرون: قالوا إنه جيد لأنه ولد وهو مختون. ويقول الحاخامات: في الوقت الذي ولد فيه موسى، امتلأ البيت كله بالنور)^(٢).

والملفت هنا أن هذه الأسماء السبعة مذكورة في الإصحاح الرابع من سفر أخبار الأيام الأول من التنخ (العهد القديم)، ولكنها أسماء لأشخاص آخرين، والنص كالآتي: (وَأَمْرَأَتُهُ الْيَهُودِيَّةُ وَلَدَتْ يَارِدَ أَبَا جَدُورَ، وَحَابِرَ أَبَا سُوْكُو، وَيَقُوْثِيئِيلَ أَبَا زَانُوْخَ. وَهَؤُلَاءِ بَنُو بَثِيَّةَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ الَّتِي أَخَذَهَا مَرْدُ)^(٣)، فالكلام هنا عن ابنة فرعون، واسمها بَثِيَا/بَثِيَّة، والاسم يعني: ابنة الله، والتي يُفترض أنها الشخصية التي تتطابق مع امرأة فرعون التي تسميها الروايات الإسلامية (آسية) أو (آسية بنت مزاحم)، وأنها أنجبت من اليهودي (مرد) أولاداً هم:

١. (يارد)، وهو بدوره صار له ولد اسمه (جدور).

1. <https://www.originalsources.com/Document.aspx?DocID=E8IQCLXF4T-LASFG> <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses>

2. <https://www.sefaria.org/Sotah.12a?lang=b>

٣. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٤: ١٨.

٢. (حابر)، وهو بدوره صار له ولد اسمه (سوكو).

٣. (يَقُوْثِيْثِيْل)، وهو بدوره صار له ولد اسمه (زَانُوْح).

فهذه ستة أسماء من السبعة المذكورة كأسماء لموسى «عليه السلام».

ثم نجد ^(١) الاسم (شَمْعِيَا) من ذرية النبي داود «عليه السلام»، و (نَثْنِيْل) ^(٢) كأحد أحفاد النبي يعقوب «عليه السلام».

فهل هذه مجرد مصادفة؟ أم أن بعض أخبار اليهود استعاروا هذه الأسماء من هذا السِّفر واختلقوا قصة إطلاقها على النبي موسى «عليه السلام»؟ أم العكس هو الصحيح، بحيث أنها كانت فعلاً أسماء أو ألقاباً لموسى «عليه السلام»، ولكن عندما تمّ تدوين هذا السفر استُعيرت ونُسبت إلى أشخاص حقيقيين أو وهميين ممن ذكرهم السفر؟ أو أن ابنة فرعون أحبت بعض هذه الأسماء أو الألقاب التي أطلقت على موسى، فأسمت بها أبناءها لاحقاً، ثم أحفادها (باستثناء الاسم الأخير شَمْعِيَا بن نَثْنِيْل)؟! كل ذلك ممكن، وفي نفس الوقت مريب.

وقد حاولت المتخصصة في الدراسات اليهودية الدكتورة شيرا بيليت Dr. Shira Billet في مقال لها بعنوان (عمق بساطة الحب: أسماء موسى العديدة) The Profundity of Love's Simplicity: The Many Names of Moses أن تحلّ هذه الإشكالية بأن تشير في البداية إلى أن بعض شراح التوراة في المدراس استفادوا من استعمال كلمة ויקרא (VYQU'r'a) التي تُرجمت إلى كلمة (دعا) في بداية الإصحاح الأول من سفر اللاويين وهي تدل ضمناً على (النداء بحُب)، على احتمال أن الله نادى موسى «عليه

١. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٣: ٢٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢: ١٤.

السلام» في الحادثة المذكورة في سفر اللاويين بإحدى أسمائه الأخرى، فقد كانت له (العديد من الأسماء، بما في ذلك الأسماء التي تُعبّر عن القيم والفضائل العظيمة. على سبيل المثال، ووفقاً لمدرّاش رباح الخاص بسفر الخروج، كان أحد أسماء موسى هو [طوف] والذي يعني [حسن/طيب/خير، أو الحسن/الطيب/الخير]، وهو مصطلح ذو أهمية فلسفية ولاهوتية عميقة)^(١).

ثم تستعين الكاتبة بما جاء في (مدرّاش ربّاح) Midrash Rabbah لحل هذه الإشكالية، إذ يفتح المدرّاش بالمبدأ التأويلي الذي ينصّ على أنه (لا يمكن قراءة سفر أخبار الأيام إلا من خلال التأويل المدرّاشي)، ثم يذكر المدرّاش نص الآية ١٨ من الإصحاح الرابع من هذا السّفر وترجمته العربية: (وَأَمْرَأَتُهُ الْيَهُودِيَّةُ وَلَدَتْ يَارِدَ أَبَا جَدُورَ، وَحَابِرَ أَبَا سُوْكُو، وَيَقُوْثِيئِيلَ أَبَا زَانُوْحَ. وَهَؤُلَاءِ بَنُو بَثِيَّةَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ الَّتِي أَخَذَهَا مَرَدٌّ)^(٢) معلقاً عليها بأن الآية تنصّ على أن زوجة شخص ما أنجبت عدداً من الأطفال، لكنها تذكر أيضاً أن هؤلاء الأطفال هم أبناء ابنة فرعون [بثيا]. ثم بدأ بشرح وتأويل الآية كالتالي:

[وَأَمْرَأَتُهُ الْيَهُودِيَّةُ]: هي يوكافيد، [الأم البيولوجية لموسى]. يوضح المدرّاش أنه على الرغم من أن يوكافيد هي ابنة لاوي، إلا أنها تُدعى يهودية لأنها ساعدت في جلب اليهود إلى العالم.

[وَلَدَتْ يَارِدَ] هذا هو موسى، لأنه أنزل التوراة من الأعلى إلى عالم الدنيا. أو لأنه جاء بالحضرة/الذات الإلهية من الأعلى إلى عالم الدنيا.

1. <https://www.sefaria.org/sheets/332515?lang=bi>

٢. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٤: ١٨.

[أَبَا جَدُورَ] في حين أنه كان هناك العديد من المشرّعين والقادة الذين نشأوا في بني إسرائيل، إلا أن موسى كان أباهم جميعاً.

[وَحَابِرَ] لأنه ربط/ وصل الأطفال بأبيهم في السماء.

[أَبَا سُوْكُو] كان أباً لكل الأنبياء الذين كانت لهم نبوءات عبر روح القدس.

[وَيَقُوثِيئِيلَ] لأنه جعل الأبناء يؤمنون بأبيهم الذي في السماء.

وهكذا يحدد المدرّاش المراد من الآية، إذ أنها في الواقع تتحدث عن طفل واحد، وشخص واحد، هو موسى لا غير، ومن هنا أيضاً نفهم لماذا ذُكرت امرأتان في الآية، إحداهما في البدء، وهي يوكايد، الأم البيولوجية (اليهودية) لموسى، والثانية هي بتيا، أمه (بالتبني).

وتضيف الكاتبة: (لقد كان لهذا الطفل العديد من الأسماء، مما يعكس العديد من سماته المهمة، على سبيل المثال: مدرّس التوراة، المشرّع، النبي، الزعيم الروحي، صانع السلام، إلا أن الله قال لموسى: من بين كل الأسماء التي دُعيت بها، لن أناديك سوى بالاسم الذي دعيتك به بتيا ابنة فرعون)^(١).

ويبدو لي أنّ ما سبق عبارة عن ألقاب وليست بأسماء، وأن اسمه هو ما نعرفه به: موسى، وإن كان من المنطقي أن يحمل اسماً بعيد ولادته، فمن المستبعد أن يبقى من دون اسم لمدة ٣ أشهر -بحسب المروي في التوراة- وهي الفترة التي سبقت إلقاءه في الماء بوجي من الله. ولذا، قد يكون الاسم (طوف) أو (طوبيا) هو اسمه الأصلي، والذي يعني (حسن) أو (طيب). ونضيف هنا إلى الألقاب التي مرّت معنا، لقب (الكليم) أو (كليم الله) بلحاظ أن الله «تعالى» خاطب موسى وكلمه بصورة مباشرة ومن دون وحي

1. <https://www.sefaria.org/sheets/332515?lang=bi>

كما أخبر بذلك القرآن الكريم، وكذلك بحسب ما جاء في التوراة الحاضرة أيضاً، وفي بعض الثقافات يُطلق على اليهودي لقب (كليمي).

• نسبه في التوراة:

عند تتبع النصوص التوراتية في سفر التكوين ثم الخروج ثم العدد، نتوصل إلى النسب التالي للنبي موسى «عليه السلام»، فهو: موسى بن عمران بن قهات بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالغ بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

فبين موسى وآدم ٢٤ أبا، وبين موسى ونوح ١٥ أبا، وبين موسى وإبراهيم ٥ آباء، وبين موسى ويعقوب (إسرائيل) ٣ آباء.

• نسبه في القرآن:

ولا نملك في القرآن الكريم نصاً يدل على نسب النبي موسى «عليه السلام»، ولا حتى اسم أبيه أو أمه، وما يمكن أن نستخلصه من كتاب الله المجيد هو التالي:

١. ينحدر من بني إسرائيل (النبي يعقوب)، فبنو إسرائيل هم قومه. فقد بدأت سورة البقرة بخطاب بني إسرائيل في الآية ٤٧: ﴿يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِّى فَضْلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، ثم توالى الآيات في مخاطبتهم بأمور لها علاقة برسالة موسى (ع): ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ

عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾
وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ
عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾^(١)، ثم قال «تعالى» مبيناً أنهم قومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا
قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾^(٢).

وقد ذكر الله «تعالى» يعقوب بلقبه (إسرائيل) في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ
وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(٣).

٢. يعقوب هو ابن إسحاق، وإسحاق ابن إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالْبُشْرَى... وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رُتَابًا يَاسِحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾^(٤).

٣. إن اعتبرنا أن آزر هو أبو إبراهيم الصُّلبي ووالده، فسيكون موسى من ذرية آزر:
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥).
وقد بحثت هذه المفردة في كتابي (أبو الأنبياء)، فراجع.

٤. ينحدر من ذرية من حُمِّل في السفينة مع نوح «عليه السلام»: ﴿وَاتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾^(٦) ذُرِّيَّةَ مَنْ

١. البقرة: ٤٩-٥٣.

٢. البقرة: ٥٤.

٣. مريم: ٥٨.

٤. هود: ٦٩-٧١.

٥. الأنعام: ٧٤.

حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾^(١)، بل من نوح نفسه حيث قال «تعالى»: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾^(٢)، فالضمير في ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ يعود إلى نوح بحسب الظاهر كما ذكر العلامة الطباطبائي، لأنه المرجع القريب لفظاً من الضمير، ولأن في المعدودين في سلسلة الرسل في الآية والآيات اللاحقة مَنْ ليس من ذرية إبراهيم، وذلك مثل لوط^(٣).

بل حتى لو قلنا أن الضمير يرجع إلى إبراهيم، فإن إبراهيم من ذرية نوح: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾^(٤).

٥. وفي نهاية المطاف هو من ذرية آدم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا... أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ...﴾^(٥).

٦. له أخ هو هارون: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾^(٦).

١. الإسراء: ٢-٣.

٢. الأنعام: ٨٣-٨٤.

٣. الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٤٢.

٤. آل عمران: ٣٣-٣٤.

٥. مريم: ٥١-٥٨.

٦. مريم: ٥١-٥٣.

٧. له أخت لم يذكر اسمها: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَارِعًا ۖ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{١٠} وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^{١١}﴾^(١).

• نسبه في الروايات الإسلامية:

وأما في التراث الإسلامي الروائي والتفسيري والتاريخي فنجد اختلافاً في سلسلة نسب موسى «عليه السلام» عما ورد في التوراة، وذلك بلحاظ إضافة اسم (يصهر) على أنه والد (عمران) وابن (قهاث/قاهث):

قال المجلسي (ت ١١١١هـ) في (بحار الأنوار): (وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب «عليه السلام»)^(٢).

وروى الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه نسب موسى «عليه السلام» نقلاً عن محمد بن إسحاق، قال: (فَحَدَّثَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ لَاقِيَّ بْنَ يَعْقُوبَ نَكَحَ نَابِتَةَ ابْنَةِ مَارِي بْنِ يَشْخَرٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَرَشُونَ بْنُ لَاقِيٍّ وَمَرْزِيُّ بْنُ لَاقِيٍّ وَمَرْدِيُّ بْنُ لَاقِيٍّ وَقَاهْثُ بْنُ لَاقِيٍّ فَنَكَحَ قَاهْثُ بْنُ لَاقِيٍّ فَاهِيَّ ابْنَةَ مَسِينِ بْنِ بَتُوَيْلَ بْنِ إِيَّاسَ. فَوَلَدَتْ لَهُ يَصْهَرُ بْنُ قَاهْثٍ فَتَزَوَّجَ يَصْهَرُ شَمِيثَ ابْنِهِ بَنَادِيثَ بْنَ بَرْكِيَا بْنِ يَقْسَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَوَلَدَتْ لَهُ عِمْرَانُ بْنُ يَصْهَرٍ، وَقَارُونَ بْنُ يَصْهَرٍ، فَنَكَحَ عِمْرَانُ يَحْيَى ابْنَةَ شَمُوَيْلَ بْنِ بَرْكِيَا بْنِ يَقْسَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ بْنُ عِمْرَانَ وَمُوسَى بْنُ عِمْرَانَ).

١. القصص: ١٠-١١.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٣.

ونقل الطبري أيضاً عن غير ابن إسحاق أن يصهر هو والد عمران وليس قاهت/ قهاث^(١).

وقال الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) في كتابه (عرائس المجالس) والمعروف باسم (قصص الأنبياء): (هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب «عليه السلام»). قال أهل العلم بأخبار الأولين وسير الماضين: ولد ليعقوب «عليه السلام» لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة، ثم إن لاوي بن يعقوب نكح نابثة بنت ماوي بن يشجر فولدت له عرشون ومرزى ومردى وقاهت بن لاوي، وولد للاوي قاهت بعد أن مضى من عمره ست وأربعون سنة، فنكح قاهت بن لاوي قاهي بنت مبنير بن بتويل بن إلياس فولدت له يصهر، وتزوج يصهر شمبت بنت بتاويت بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى من عمره ستون سنة، وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة، فنكح عمران بن يصهر نخيب بنت إشموئيل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له هارون وموسى^(٢).

وكالطبري والثعلبي، ذكر كل من ابن الأثير في الكامل في التاريخ وابن عساكر في تاريخ دمشق، وآخرون نسب موسى كما سبق، بإضافة اسم (يصهر) الذي تخلو منه التوراة، بل إن التوراة تذكر (يصهار) على أنه ابن (قهاث) وأخو (عمرام)، أي هو عم النبي موسى «عليه السلام» وليس جدّه، ففي سفر الخروج: (وَبَنُو قَهَاتَ: عَمْرَامُ وَيَصْهَارُ وَحَبْرُونُ وَعَزِّيئِيلُ... وَبَنُو يَصْهَارَ: فُورُحُ وَنَافِثُ وَذَكْرِي)^(٣).

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١ ص ٨٥.

٢. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٠٥.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٦: ١٨-٢١.

وشدّ عنهم ابن خلدون في تاريخه حيث قال: (وهو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب) إذ اعتمد على المصدر الأصلي لنسبه «عليه السلام»، أي التوراة، والسبب في ذلك قناعته بصحة ما فيها من أنساب، قال: (وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى «عليه السلام» وإسرائيل وشعوب الأسباط)^(١).

وشخصياً لا أستبعد أن هذه الإضافة لاسم (يصهر/يصهار) جاءت عن طريق اليهود الذين كانوا يقصّون على المسلمين بعض ما في كتبهم ولكن مع التحريف والتزييف، وهو ما أعتدناه منهم في كثير من قصص الأنبياء والأمم السابقة، كما يبيّن ذلك مفصّلاً وبالشواهد في كتي السابقة: (في عمق التاريخ) و(أبو الأنبياء) و(المسيح عيسى ابن مريم).

وحيث أن محمد بن إسحاق قد جاء بهذه المعلومة، فالتقطها عنه المؤرخون من بعده، كالطبري وابن الأثير وابن عساكر وغيرهم، فمن المحتمل جداً أن مصدر ابن إسحاق هو أحد مسلمة اليهود، كوهب بن منبّه اليهودي الذي أسلم فعبث في التراث الإسلامي، بدءاً من السيرة النبوية إلى قصص الأنبياء إلى غير ذلك، وقد ذكر محمد بن عبد الله المعروف بابن سيّد الناس (ت ٧٣٤هـ) أن الإمام مالك بن أنس نقم على محمد بن إسحاق، والسبب: (ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث، إنما كان يُنكر عليه تتبعه غزوات النبي «صلى الله عليه وآله» من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم)^(٢).

ومن المحتمل أنّ من بين ما عُثِر به، هذه المعلومة الخاصة بنسب النبي موسى «عليه

١. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٨.

٢. ابن سيّد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

السلام». ولنلاحظ مصدر نسب قارون كما رواه ابن إسحاق عن وهب بن منبه بنقل الطبري في تفسير الآية ٢٤٦ من سورة البقرة: (القول في تأويل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).... فذكر لي أن النبي الذي قال لهم ذلك شمويل بن بالي بن علقمة... بن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه^(٢) وحيث أن عمران -بزعمهم- ابن يصهر، لذا جعل ابن إسحاق قارون عمًا للنبي موسى «عليه السلام». قال ابن كثير في تفسير الآية ٧٦ من سورة القصص: (وزعم محمد بن إسحاق بن يسار أن قارون كان عم موسى، «عليه السلام»)^(٣) والمصدر في نهاية المطاف ابن منبه.

• والدته:

أما والدته فهي بحسب التوراة كالتالي: (وَأَسْمُ امْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوْكَابَدُ بِنْتُ لَأَوِي الَّتِي وُلِدَتْ لِلأَوِي فِي مِصْرَ، فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَرِيمَ أُخْتَهُمَا)^(٤).

وآدعت التوراة الحاضرة أن زوجة عمران هي عمته في نفس الوقت! أي أنها أخت (قهاث) ابن لاوي بن يعقوب: (وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوْكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ وَمُوسَى)^(٥)، وسنناقش هذه المسألة لاحقاً.

يُكتب اسمها بالعبرية الحديثة תַּרְחִיפָה، وفي التراث اليهودي أنها دفنت في (مقبرة

١. البقرة: ٢٤٦.

٢. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢، ص ٦١٠.

٣. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٢٢٧.

٤. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ٢٦: ٥٩.

٥. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٦: ٢٠.



اللوحة رقم ٢ : خريطة توضّح موقع مقبرة الأمهات في فلسطين

الأمهات) Tomb of the Matriarchs في شمال مدينة طبرية [انظر اللوحة رقم ٢]، والتي تضم رفات عدة نساء من شخصيات الكتاب المقدس، هن:

١. بلهة إحدى زوجات النبي يعقوب «عليه السلام» وكانت خادمة زوجته راحيل وهي التي زوّجه بها.

٢. زلفة زوجة أخرى ليعقوب وجارية لزوجته الأولى لَيْثَة بنت لابان وقد وهبتها لزوجها.

٣. يوكابد أم النبي موسى «عليه السلام».

٤. صفوراء (صَفُورَة) زوجة النبي موسى «عليه السلام».

٥. أَلِيشَابَع زوجة النبي هارون.

٦. أَيْيَجَايِل إحدى زوجات النبي دواد.

وفي قاموس الكتاب المقدس أن الاسم يوكابد عبري ومعناه (يهوه مَجْد)^(١).

ويذكر النص السابق الوارد في سفر العدد أنها ولدت في مصر، بينما أوضح شرح سفر التكوين المسمى (مدرّاش سفر التكوين) GENESIS RABBA أنها وُلدت عندما كان والدها يدخلان مصر، في بوابة المدينة على وجه التحديد. وسيتبيّن معنا لاحقاً أن هذه المدينة هي أفاريس/أواريس [انظر اللوحة رقم ٣].

وتذكر الموسوعة اليهودية أن موسى كان يبلغ من العمر ثمانين عاماً عندما خرج بنو إسرائيل من مصر، وقد مضى على وجودهم فيها ٢١٠ سنوات؛ لذلك كانت يوكابد تبلغ من العمر ١٣٠ عاماً عندما ولدت موسى!

ويضيف المدرّاش أن عمّام والد موسى «عليه السلام» طَلّق زوجته وهي في الشهر الثالث من حملها، وذلك خوفاً من تبعات أمر فرعون بإلقاء الأولاد الذكور في النهر، ولكن استطاعت ابنته مريم أن تغيّر رأيه لاحقاً، فأعادها إليه زوجة من جديد، وكان العرس الثاني رائعاً مثل الأول^(٢)!

وتذكر نصوص أخرى من التراث اليهودي أن فرعون عندما أصدر أمره هذا، قال عمّام: (هل نجهد عبثاً؟ نلد أبناء سيقتلون في النهاية)، فطلّق زوجته، فقلّده رجال بني إسرائيل فطلّقوا زوجاتهم! وإن صح هذا الخبر، فلربما يُفسّر بخوف عمران على نفسه

1. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/28_E/E_321.html

2. <https://jewishencyclopedia.com/articles/8699-jochebed>



اللوحة رقم ٣ : خريطة توضح موقع مدينة أفارس/أواريس

من انتقام فرعون، فبحسب بعض ما روي في البين أنه كان يعمل في قصر فرعون، وروي أنه كان حارساً من حراس القصر، ولذا كان تواجد مريم أخت موسى بالقرب من امرأة فرعون أمراً طبيعياً ضمن تفاصيل قصة إلقائه في الماء ثم العثور عليه كما سيأتي معنا.

وتُكمل هذه النصوص سرديتها فتذكر أن ابنته مريم والبالغة من العمر ٦ سنوات جاءت إلى أبيها بعد الطلاق فقالت له: (أبي، أبي، قرارك أقسى من قرار فرعون. فرعون أصدر مرسوماً ضد الذكور فقط، لكنك أصدرت قراراً ضد كل من الذكور والإناث) لأن الرجال طلقوا نساءهم، ولن يستمر النسل بذلك. (أصدر فرعون أمره لهذا العالم فقط، لكنك أصدرت مرسوماً لكل من هذا العالم والعالم الآتي. إن أمر

فرعون مشكوكاً في تحقيقه، لأنه شرير، أما أنت فرجل صالح، ولا شك في أن مرسومك سيتحقق). حينها، انتبه عمرا م لكلام ابنته، وعاد إلى زوجته، فتزوجها مرة أخرى في احتفال عام بكل أبهة، وعاد سائر الرجال فتزوجوا طليقاتهم من جديد^(١).

وصور المدراس يوكابد على أنها امرأة حكيمة وصادقة وتقية، كافأها الله بسبب ذلك بأن أعطاها ثلاث معاجز:

المعجزة الأولى: أطال في عمرها، إذ عمّرت أكثر من ٢١٠ سنوات، فشهدت خروج بني إسرائيل من مصر وعودتهم إلى أرض كنعان، وصار أبنائها الثلاثة، موسى وهارون ومريم قادة لقومها.

المعجزة الثانية: أنها ولدت موسى وقد بلغت ١٣٠ سنة.

المعجزة الثالثة: أعاد الله إليها شبابها وجمالها.

بل وذكر بعض مفسري التوراة من اليهود أنها إحدى القابلتين اللتين رفضتا تنفيذ أمر فرعون حين أمر بقتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل عند ولادتهم، وهي التي أطلق عليها في سفر الخروج اسم (شفرة): (وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتِي الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الْأُخْرَى فُوعَةُ، وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكُرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَاهَا»). وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللَّهَ وَلَمْ تَفْعَلَا كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَيْتَا الْأَوْلَادَ. فَدَعَا مَلِكُ مِصْرَ الْقَابِلَتَيْنِ وَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا فَعَلْتُمَا هَذَا الْأَمْرَ وَاسْتَحْيَيْتُمَا الْأَوْلَادَ؟» فَقَالَتِ الْقَابِلَتَانِ لِفِرْعَوْنَ: «إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَالْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُنَّ الْقَابِلَةُ».

1. <https://jwa.org/encyclopedia/article/jochebed-midrash-and-aggadah>

فَأَحْسَنَ اللَّهُ إِلَى الْقَابِلَتَيْنِ، وَنَمَا الشَّعْبُ وَكَثُرَ جَدًّا. وَكَانَ إِذْ خَافَتِ الْقَابِلَتَانِ اللَّهَ أَنَّهُ صَنَعَ لَهُمَا بُيُوتًا^(١).

فسَّرَ القمص أنطونيوس فكري العبارة الأخيرة كالتالي: (لذلك كافأهن الله وصنع لهما بيوتاً = أي تزوجتا وصار لهما أولاد)^(٢). وفسَّرَ البعض العبارة الأخيرة في خصوص يوكابد بأن المراد منها جعلُ المُلِك (رئاسة الدنيا) والكهانة (رئاسة الدين) في ذريتها من بيت لاوي. كما اعتبروا أنها اكتسبت لقب (شِفْرة) بلحاظ أنها كانت تغسل الأطفال بعيد ولادتهم، وهذه العملية تعرف باسم (Meshaperet = مشابرت)، أو لأسباب أخرى ذكروها^(٣).

وقد أورد كتاب (النقد الكتابي: مدارس النقد والتشكيك والرد عليها، العهد القديم من الكتاب المقدس) للأستاذ حلمي القمص يعقوب، إشكالاً برقم ٦٠١، ومفاده: (كيف يتزوج عَمْرَام يوكابد عمته مع أن الشريعة تقول [عورة أخت أبيك لا تَكْشِف، إنها قريبة أبيك؟]^(٤)). وأجاب عن ذلك بثلاث إجابات:

١- سبق الإجابة بالتفصيل عن سؤال مشابه لهذا السؤال وهو كيف يتزوج إبراهيم أخته سارة؟ وفي الإجابة على هذا السؤال برقم ٤٧٩ قال:

أ) تدرّج الله بالبشرية خطوة خطوة، فقبل شريعة العهد القديم عاش الآباء في ظل

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٥-٢١.

2. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefer-El-Khoroug/Tafseer-Sefer-El-Khoroug__01-Chapter-01.html#1

3. <https://jwa.org/encyclopedia/article/jochebed-midrash-and-aggadah>

٤. الكتاب المقدس: سفر اللاويين، الإصحاح ١٨: ١٢.

الناموس الطبيعي، حيث وضع الله في الإنسان الضمير الذي يستريح لما هو صحيح ويدين ما هو خاطئ، وبهذا عرف يوسف الصديق أن الزنا شر عظيم قبل أن توجد شريعة مكتوبة تحرم الزنا، فقال لامرأة فوطيفار (كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله)^(١) ثم جاءت الشريعة المكتوبة (لا تزنا)^(٢) وفي العهد الجديد تقدّم الله بالبشرية أكثر نحو طريق الكمال فقال (قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تزنا. وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه)^(٣).

ب) بما أن أبونا إبراهيم عاش قبل شريعة موسى، فهو غير مقيد بما جاء في هذه الشريعة من أوامر ونواهي، وبهذا فهو لم يخطئ في زواجه بأخته غير شقيقته، لأنه لم تكن هناك ثمة وصية تمنع مثل هذا الزواج، وبذلك لم يرتكب إبراهيم عاراً، ولم تقع عليه اللعنة، ولا يستحق القتل، بل أن الله باركه وبارك مباركيه، وجعله رمزاً للراحة الأبدية، إذ يتكئ في أحضانه بنو الملوكوت.

ج) يقول الدكتور أحمد حجازي السقا (أنجب إبراهيم النبي «عليه السلام» بعد استقراره في أرض كنعان مهاجراً من العراق، إسماعيل وإسحق عليهما السلام.. إسماعيل من جارية مصرية تسمى هاجر.. وإسحق من أخته لأبيه سارة، وكان زواج الأخت جائزاً من قبل أن تنزل التوراة)^(٤).

٢- بدأت الشريعة المكتوبة الملزمة منذ عهد موسى، بينما تزوج عَمْرَام قبل عصر الشريعة، ولذلك لم يلتزم بهذا القانون السماوي فالإنسان مُلزم بالقانون منذ لحظة

١. الكتاب المقدس: سفر التكوين، الإصحاح ٣٩: ٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠: ١٤.

٣. الكتاب المقدس: إنجيل متى، الإصحاح ٥: ٢١.

4. <https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/479.html>

صدوره وسريانه، إلا إذا نص القانون على العمل به بأثر رجعي، وغالباً لفائدة الإنسان وليس لإدانته، ولم تنص الشريعة الإلهية التي جاء بها موسى على العمل بها بأثر رجعي من تاريخ كذا.

٣- الكلمة العبرية المترجمة إلى (عمته) تحتل العمّة أو بنت العمّة، مثلها مثل الكلمة العبرية التي تترجم إلى عم أو ابن عم^(١).

ولعل الإجابة الأخيرة التي ذكرها الأستاذ حلمي أقرب للقبول، فتكون يوكابد من ذرية لاوي، لا أنها ابنته المباشرة، وهذا تكرر معنا من قبل في بحث المسيح عيسى بن مريم، حيث يذكر عنوان الأخ والمراد به ابن الخالة مثلاً. وبهذا ترتفع الحاجة إلى إيجاد تبرير لولادتها النبي موسى في سن ١٣٠ سنة، وكيف قبل اقتراح أن ترضعه بعد إلقائه في الماء وهي في هذا العمر، ولماذا يختار عمار امرأة أكبر منه بكثير جداً. فقد وُلدت يوكابد قبل ٢١٠ سنوات من الخروج من مصر، وكان عمرها ١٣٠ سنة عندما ولدت موسى، وبعض النصوص في التراث اليهودي تقول أن عمار وُلد وجدّه لاوي في عمر ٦٤ سنة، وتوفي عمار وعمره ١٣٧ سنة، ففي سفر الخروج: (وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ وَمُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً)^(٢) فلو افترضنا وفاته في سنة الخروج، فهذا يعني أنها أكبر منه بـ ٧٣ سنة!

وسياًتي معنا في الفصل الخاص بشباب موسى وذكر ولديه جرشوم وأليعزر، أن إحدى شروح التوراة تذكر أن وجود الألف في (ابن) في إحدى النصوص التوراتية للدلالة على أن المذكور في النص كان من ذرية موسى، لا الحفيد المباشر (وَكَانَ يَهُونَاثَانُ ابْنُ

1. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/28_E/E_321.html

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٦: ٢٠.

جَرْشُومَ بْنِ ...) ^(١) إذ يُفترض أن تُكتب بدون الألف، وهذا ما قد ينطبق على ما نحن فيه أيضاً، إذ يبدو أنها من نسل لاوي لا البنت المباشرة له، وبذا نتخلص من إشكالية السن، وإشكالية النسب كعمة للزوج.

وقد طُرحت مسألة زواج عمار من عمته في التلمود البابلي أيضاً، حيث جاء فيه أنها كانت أخت قهات غير الشقيقة، وبما أنها لم تكن أخت قهات من جهة والدته، فلم تكن محرمة على عمار ^(٢).

جاء ذكر والده النبي موسى «عليه السلام» في موردين في القرآن الكريم دون ذكر اسمها ولا نسبها، كما لم يرد ذكر لوالده ولا اسمه، والموردان جاءا في سورة القصص:

١. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(٣).

٢. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لِتَبْذِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ ^(٤).

أما الأخبار والروايات في التراث الإسلامي حول اسمها فهي متضاربة وخضعت

١. الكتاب المقدس: سفر القضاة: الإصحاح ١٨: ٣٠.

2. <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.58b?lang=bi>

٣. القصص: ٧.

٤. القصص: ١٠-١٣.

لمخيلة القصاصين وأدعياء العلم ومن شاء أن يعث في هذا التراث:

١. في قصص الأنبياء لابن كثير: (قال السهيلي: واسم أم موسى [أيارخا]، وقيل [أياذخت])^(١).

٢. في تفسير القرطبي: (واسمها [أيارخا] وقيل [أيارخت] فيما ذكر السهيلي. وقال الثعلبي: واسم أم موسى [لوحا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب])^(٢).

٣. في كتاب الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي: (هي [يوحاند بنت يصهر بن لاوي]، وقيل [ياخوا]، وقيل [أبادخت])^(٣).

٤. في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (وأم موسى اسمها [بادونا]، وقيل [أبادخت]، ويقال [يوحاند])^(٤).

٥. في بحار الأنوار للعلامة المجلسي: (وقال الثعلبي: فنكح عمران بن يصهر [نخيب بنت إسموئيل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم] فولدت له هارون وموسى، واختلف في اسم أمهما، فقال محمد بن إسحاق: [نخيب]، وقيل: [أفاحية]، وقيل: [بوخائيد]، وهو المشهور)^(٥).

وبالرجوع إلى كتاب عرائس المجالس للثعلبي والذي أخذ عنه المجلسي نجد أنه ذكر الفقرة السابقة كالتالي: (فنكح عمران بن يصهر [نخيب بنت شمويل بن بركيا بن يشعان بن إبراهيم] فولدت له هارون وموسى، واختلف في اسم أمهما، فقال ابن

١. ابن كثير: قصص الأنبياء، ج ٢، ص ٨.

٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٢٥٠.

٣. ابن عقيلة المكي: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٣٠.

٤. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٠٣.

٥. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤-٥.

إسحاق: [نجيب]، وقيل: [ناحية]، وقيل: [بوحايل]، وهو المشهور^(١).

وهكذا نجد تخبّطاً كبيراً في تحديد اسم والدّة النبي موسى «عليه السلام»، مع عدم اعتمادهم في كل الاحتمالات السابقة على مصدر معلوم وموثوق، ومن الواضح وقوع التصحيف في كثير من الموارد، واختلاط الحروف بعضها ببعض لربما بسبب رداء الخط، مما أدّى إلى تكرّر الاسم الواحد بصيغ مختلفة، مثل نجيب ونجيب، أيارخت وأبادخت، بوخايل وبوحايل والذي اعتبره الثعلبي أنه هو الاسم المشهور لها، ولا ندري معتمده في اعتبار ذلك هو المشهور، وفي أي زمان كان هذا.

وقد نسجت بعض الأساطير بين عامة الناس حول اسمها، فقد قال الشيخ محمد جواد مغنية في (التفسير الكاشف): (ذكرنا أن اسم موسى مركب من مو اسم الماء، وسى اسم الشجر، لأن أمه وضعت في صندوق، وأقفلته إقفالاً محكماً، وألقته في النيل خوفاً عليه من فرعون إلخ. ومن الطريف أن يخترع مخترع من هذا القفل الذي أقفلت به أم موسى صندوق وليدها، أن يخترع منه اسطورة شاعت وذاعت مدى قرون من الزمن، وآمن بها كثيرون من البسطاء السذج.. وهي أنّ ما من قفل إلا ويفتح تلقائياً إذا قرئ عليه اسم أم موسى، ومن أجل هذا لا يعرفه إلا الخواص من أهل الأسرار.. وفي ذات يوم دخلت على أحد رجال الدين، وله اسم وشأن بين قومه، فوجدته يبحث وينقب مهتماً في مجلدات بحار الأنوار للمجلسي، فقلت له: ما شأنك؟ قال: أريد أن أعرف اسم أم موسى. ومنذ سنتين قصدني رجل يظن أنني من أهل الأسرار، وسألني عن اسمها، فقلت له: ليس المسئول بأعلم من السائل، فلم يقتنع، فقلت له: إن هذه خرافة.. فاعتقد أنني أتهرب منه، ولا أريد أن أطلعه على هذا السر العظيم.. ولما يئست

١. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٨٠.

منه قلت له: لا يجوز لي أن أطلعك عليه لأنني لا آمن أن تسرق أموال الناس، فأقسم وأغلظ في القسم أنه لن يفعل، فتظاهرت بعدم الثقة به، ومضت الأيام، وشرعت في تفسير القرآن الكريم، ولما بلغت هذه الآيات راجعت مصادرها، ومنها كتاب قصص القرآن وضعه أربعة من الكتّاب المصريين، وهم محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، والسيد شحاته، وإذا فيه أن اسم أم موسى يوكابد، ولكن المؤلفين لم ينسبوه إلى مصدر^(١).

وعلى المستوى الشخصي، فقد ذكر لي أحد قارئى العزاء، عندما كنت أدرس في الحوزة العلمية في قم، أنه ذهب إلى إحدى المناطق القروية في إيران بهدف قراءة مجالس التعزية، وتحدث في إحدى الليالي عن أم النبي موسى «عليه السلام»، فقاطعه أحد الحضور متسائلاً عن اسمها. وحيث لم يكن قارئ العزاء هذا يعرف اسمها، كما أنه وجد حرجاً في أن يقول على الملأ: لا أعرف، لذا فقد اخترع من نفسه اسماً لها، فإذا بالسائل ينظر يمينه ويسرة، وإلى السقف والباب والجدران وهو خائف مضطرب، فلما سأله عن تصرفه هذا قال: لقد سألت قارئ العزاء الذي سبقك نفس السؤال، فأجابني أنني لا أستطيع ذكر اسمها، لأنني لو ذكرته، فستسقط الجدران وينهار السقف على رؤوسكم! حينها علمت أن الذي سبقني قد تورّط في الإجابة، فاخترع من عنده هذه الأسطورة ليتهرب من الإجابة التي قد تخطأ، لذا قلت للسائل: انظر، لقد ذكرت لكم الاسم، ولم يقع شيء من ذلك!

وهكذا، كذب الاثنان -ساحهما الله- بسبب جهلهما بالاسم، ولو أنهما اكتفيا بقول: لا أدري لكفيا مؤونة الكذب واختراع الأمور، وقد روي عن النبي «صلى الله

١. مغنية: التفسير الكاشف، ج ٣، ص ٣٧٢-٣٧٣.

عليه وآله» في وصيته لأبي ذر: (يا أبا ذر، إذا سُئِلْتَ عن علم لا تعلمه فقل: لا أعلمه تنج من تبعته، ولا تَقُتِ الناس بما لا علم لك به تَنج من عذاب يوم القيامة)^(١).

وعن علي «عليه السلام»: (ألا لا يستقبحَنَّ مَنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ)^(٢). وعنه «عليه السلام»: ([لا أعلم] نصف العلم)^(٣)، لأن ذلك سيكون منطلقه للبحث وكسب المعرفة فيما لا يعلم.

• نتائج الفصل و خلاصته:

- الأقرب أن الاسم (موسى) جاء بلغة أهل مصر آنذاك ويعني (ابن الماء).
- جاءت هذه التسمية متأخرة نسبياً عن ولادته، ولذا فمن المنطقي أن يحمل اسماً قبل ذلك، وفي التراث اليهودي أنه (طوف) أو (طوبيا) بمعنى طيب أو حسن.
- لموسى في التراث الكتابي عدة ألقاب تم تأويلها من خلال بعض النصوص.
- بحسب المعلومات المتحصّلة من التنخ (العهد القديم)، يفصل موسى عن جده يعقوب ٣ آباء، وعن إبراهيم خمسة، وعن نوح ١٥ أباً، وعن آدم ٢٤ أباً.
- يصعب علينا قبول ما ادّعته التوراة من أن والد موسى قد تزوّج بعمّته ابنة لاوي، وأن اختصار النسب المذكور في النص، علاوة على استعمال بعض العناوين كالعلم وابن الخال في أكثر من معنى في النصوص العبرية القديمة قد يكون هو السبب في هذا الادعاء.

١. الطوسي: الأمالي، ص ٥٢٧.

٢. الآمدي: غُرر الحُكْم ودُرر الكَلِم، ح ٢٧٨٨.

٣. الآمدي: غُرر الحُكْم ودُرر الكَلِم، ح ٦٧٥٨.

مكانته وصفاته الأخلاقية

مكانته وصفاته الأخلاقية

• موضوعات هذا الفصل:

- محاولة استخلاص الصفات الأخلاقية والمعنوية التي وُصف بها النبي موسى في القرآن الكريم.
- تحديد العوامل التي ساهمت في اتصافه بهذه الصفات الإيجابية، والشواهد عليها.
- أثر الإحاطة بهذه الصفات في بيان مكانته عند الله «عز وجل»، وتكوين رؤية إجمالية عن شخصيته.
- بيان بعض الاختلافات القائمة بين المفسرين في قراءتهم لحقيقة هذه الصفات وما وراءها.

• كمالاته وصفاته في القرآن:

يمكننا من خلال تتبع آيات القرآن الكريم ضمن ما عرضته حول شخصية وسيرة النبي موسى «عليه السلام» أن نستخلص منها العناوين التالية حول مكانته عند الله

«عز وجل» وحول صفاته الأخلاقية والمعنوية العظيمة، وهي تتلخص في الآتي:

• الإحسان:

لو دققنا النظر في قصة هذا النبي الكريم في ما عرضه القرآن الكريم منها، وحاولنا ملء الفراغات الخاصة بمرحلة الطفولة والمراهقة وبدايات عهد الشباب، سنجد أنه عاشها في أجواء قصر حاكم طاغوت وظالم ومجرم، ومن الطبيعي جداً أن يتأثر أي شخص يتربى في مثل هذه البيئة بالعوامل السلبية المحيطة به، لاسيما حينما يلقي من العناية والدلال وترف الحياة والتمكين وطاعة الآخرين له ما يمكن أن يصوغ منه طاغوتاً آخر، أو شخصية عابثة لاهية، وهذا ما يمكن أن نفهمه من اعتباره (قرة عين) وبمثابة (ولد) للطاغوت فرعون: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

إلا أن الأمور سارت على خلاف ذلك تماماً، حيث انتشل موسى «عليه السلام» نفسه من كل دنس هذه البيئة الفاسدة والطاغوتية، ونزّهاها عن الوقوع في شراكها. ولربما تحقق ذلك - في جانب منه - بتأثير والدته التي كُفّت لاحقاً بإرضاعه، وحياطته من قبل أخته، ودور امرأة فرعون المؤمنة التي امتدحها القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، دون أن نغفل عن تأثير التوفيق الإلهي والتقوى الذاتية التي تمتع بها.

ومن هنا، أثنى الله «تعالى» على النبي موسى «عليه السلام» إذ صار شاباً (مُحْسِناً)

١. القصص: ٩.

٢. التحريم: ١١.

في تلك الأجواء (الفرعونية)، وبكل ما للكلمة (إحسان) من معنى ومصاديق تقف على النقيض تماماً من تلك الصور السلبية التي يمكن أن تنطبع في أذهان الناس عند الحديث عن شاب مترف مدلل مُقبل على الحياة بكل نزق واستهتار وترفع على الآخرين من حوله، فأثنى الله «سبحانه» عليه بذكر هذه الصفة المعنوية الراقية في شخصيته: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). لقد كافأه الله (عز وجل) على هذا الإحسان بأن آتاه الحكم والعلم ليمثلاً إضافة أخرى للعناصر الإيجابية المكوّنة لشخصيته.

• الحكم/الحكمة:

٢. عرّف العلامة الطباطبائي الحكم بأنه (القول الفصل وإزالة الشك والريب من الأمور القابلة للاختلاف)^(٢) ويتربّب على التحليّ بهذه الصفة أن يمتلك الإنسان البصيرة والرؤية السليمة في عامّة المعارف الإنسانية الراجعة إلى المبدأ والمعاد والأخلاق النفسانية والشرائع والآداب المرتبطة بالمجتمع البشري. وأضاف العلامة الطباطبائي أنه بالنظر إلى قوله «عليه السلام» لصاحبيه في السجن: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٣)، ثم قوله بعد ذلك: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٤)، أن هذا الحكم الذي أوتيّه كان هو حكم الله، فكان حكمه حكم الله، وهذا هو الذي طلبه إبراهيم «عليه السلام» من ربه إذ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٥).

١. القصص: ١٤.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١١، ص ١١٨.

٣. يوسف: ٤٠.

٤. يوسف: ٤١.

٥. الشعراء: ٨٣.

مكانته وصفاته الأخلاقية

وحيث أن النفوس التي تؤتي هذا الحكم لا تستوي هي والنفوس الخاطئة في حكمها، المنغمة في جهلها، لذا فإن إتيان هذه المواهب الإلهية لأحد من الناس لا يكون أمراً جُزائياً ولا لغواً أو عبثاً منه تعالى، ولذلك قال «سبحانه»: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، حيث يدل على أن هذا الحكم لم يكون موهبة ابتدائية، بل من قبيل الجزاء، جزاء الله به لكونه من المحسنين.

وكما أتى الله «سبحانه» موسى «عليه السلام» الحكم لأنه كان من المحسنين، كذلك أتاه يوسف «عليه السلام» من قبل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، والآية قريبة المضمون مع ما جاء بحق موسى «عليه السلام» لولا إضافة كلمة ﴿وَاسْتَوَى﴾ حيث قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣).

وأتى الله «سبحانه» نبيه لوط «عليه السلام» الحكم أيضاً ولكن رُبط ذلك بصلاحه: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾^(٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٥)، وهكذا الأمر بالنسبة إلى النبيين داود وسليمان «عليه السلام»: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(٦) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

١. القصص: ١٤.

٢. يوسف: ٢٢.

٣. القصص: ١٤.

٤. الأنبياء: ٧٤.

فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾^(١)، ويحيى «عليه السلام»: ﴿يَا يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢)، وعموم أنبياء بني إسرائيل كما قد يفهم من قوله «تعالى»: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وقد ذكر الله «سبحانه» عدداً من أنبيائه ورسله كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وزكريا وغيرهم ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾^(٤).

وفي المقابل فقد عرّف مفسّرون آخرون مصطلح (الحُكم) الوارد في القرآن الكريم بأنه نفس مصطلح (الحكمة) المستعمل أيضاً في القرآن، قال العلامة ابن عاشور: (والحكم والحكمة مترادفان، وهو: علم حقائق الأشياء والعمل بالصالح واجتناب ضده.. وقال فخر الدين: الحكم: الحكمة العملية لأنها حكمٌ على هدى النفس. والعلم: الحكمة النظرية)^(٥). فإن صحَّ هذا الرأي، فقد عُرِّفت الحكمة بتعريفات متعددة تلتقي في كونها تعني وضع الأمور في موضعها، بحيث أن الإنسان لا يتصرّف إلا بالصورة الأفضل، على مستوى القول أو الفعل، وذلك بعد التفكير وتقليب الأمور من خلال البصيرة التي يمتلكها، وقدرته على ترجيح الأصلاح منها فيختاره، لأن قراراته حينئذ تكون ناضجة، ثم يعمل على تنفيذ القرار الذي اتّخذه بالشكل الأحسن، ولا شك أن تحلّي الإنسان بهذه الصفة يُعدُّ خيراً كثيراً له وللآخرين وللحياة من حوله: ﴿

١. الأنبياء: ٧٨-٧٩.

٢. مريم: ١٢.

٣. الحائثية: ١٦.

٤. الأنعام: ٨٩.

٥. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٤٨.

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا^(١)، لأن التحلي بالحكمة من أهم مفاتيح النجاح في الحياة، بما تتضمنه من تفكير وتحليل سليم، ومن ثم اتخاذ القرار السليم، وأخيراً التنفيذ بالصورة المثلى. فهي تقدم للإنسان رؤية واضحة لتقييم الأمور على المدى البعيد.. وعندما يتخلى عنها فإنه قد يتخطى كثيراً مما قد يكلفه الكثير.

وحيث أراد الله «سبحانه» للناس أن يُحسنوا إعمار أرضه، وأن يتناغموا في حياتهم الدنيا مع الغاية من خلقهم، وأن يعملوا على التحكم في سلوكياتهم بما يقلل احتمالات وقوع النزاعات والصراعات، لذا فقد جعل تعليم الحكمة للناس من مهام رسله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وذلك بعد أن يؤتيهم الله الحكمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...﴾^(٣)، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤)، وكما قال بشأن النبي داود «عليه السلام»: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٥)، وبشأن النبي عيسى «عليه السلام»: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٦).

١. البقرة: ٢٦٩.

٢. البقرة: ١٥١.

٣. آل عمران: ٨١.

٤. النساء: ٥٤.

٥. ص: ٢٠.

٦. آل عمران: ٤٨.

وفي التراث الإنساني حِكْمٌ كثيرة، منقولة عن حكماء الصين واليونان وفارس وغيرهم، وهي تمثل ثروة بشرية جديرة بالدراسة، لأنها نتاج التجارب والتفكير، ولكن عندما تمتزج التجارب والتفكير بالتسديد الإلهي والنور الرباني ويكون منبعها رسول من رسل الله سبحانه، فالأمر يغدو أكثر إشراقاً وهدايةً.

وقد يكون الحكم بمعنى القيادة وامتلاك الصفات التي تستدعيها من قبيل امتلاك الكاريزما وقوة الشخصية والتأثير والحزم والحسم والقدرة على اتخاذ القرار الميداني، وهو ما ربما تحقق جزئياً في المرحلة التي سبقت هجرته إلى مدين، ثم تحقق بشكل كبير بعد الرسالة، ولذا قال: ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١).

• العلم:

عظفت الآية العلم على الحكم فيما أثنى به الله «سبحانه» على النبي موسى «عليه السلام» حيث قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢). ونبه العلامة الطباطبائي أن هذا العلم المذكور هنا (علم لا يخالطه جهل، كما أن الحكم المذكور معه حكم لا يخالطه هوى نفساني ولا تسويل شيطاني)، فقد يتلقى الإنسان علوماً من خلال التعليم في المدرسة أو الكلية أو من خلال الكتب والدروس والمحاضرات والتجارب والخبرات الحياتية، ثم يتبين لاحقاً وجود خطأ فيها، أو أنها خاطئة بالكامل، أو أن الحجة عليها ليست قوية، أو أنها تبقى مجرد فرضية، أو غير ذلك من الاحتمالات التي تزلزل الإيمان بالأمر وكون المعلومة

١. الشعراء: ٢٠-٢١.

٢. القصص: ١٤.

مكانته وصفاته الأخلاقية

تمثل الحقيقة الفعلية. أما هذا العلم الربّاني فليس من هذا الصنف بتاتاً، لأن مصدره العليم الحكيم، وقد قال «تعالى»: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾^(٢)، وأضاف: (فما آتاه من الحكم لا يخالطه تزلزل الريب والشك، وما يؤتیه من العلم لا يكون جهلاً البتة)^(٣)، وفي تفسير الآية ١٤ من سورة القصص أرجع المعنى إلى ما جاء في قصة يوسف.

وهذا بالطبع لا يعني أنه امتلك كل العلم، فهذا لا يملكه إلا الله سبحانه، وهو القائل لنبيه الأكرم «صلى الله عليه وآله»: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ التِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٥)، وغير ذلك من الآيات التي تؤكد أن لا أحد يملك علماً كاملاً، بما في ذلك ملائكة الله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٦).

بل إننا نجد موسى «عليه السلام» يقول للعبد الذي علّمه الله من لدنه علماً: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(٧)، فلو كان يملك ذلك العلم لما طلبه

١. يوسف: ٢١.

٢. الطلاق: ٣.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ١١، ص ١١٩.

٤. الأنعام: ٥٠.

٥. التوبة: ١٠١.

٦. البقرة: ٣٢.

٧. الكهف: ٦٦.

منه... وعلى هذا، فالمراد من إيتائه العلم -لاسيما بلحاظ تنكير الكلمة في الآية- إيتائه مقداراً من العلم فحسب، ولكن ميزته الكبرى أنه علم لا يشوبه الخطأ والباطل والشك والريب والضعف.

• المروءة:

تقترب المروءة من مفهوم الإنسانية بحسب المصطلح المعاصر لاسيما بلحاظ الاشتقاق اللغوي من كلمة (المرء) أي الفرد الإنساني، ولذا فهي توجي بالكمال الأخلاقي والاتزان السلوكي المتوافق مع الفطرة الإنسانية السليمة، والذي ينعكس على شخصية الإنسان، مع نفسه ومع مَنْ وما حوله، ولربما نفهم من الإجابة التالية التي قدّمها الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام» حين سئل عن المروءة، فقال: (شَحَّ الرجل على دينه، وإصلاحه ماله، وقيامه بالحقوق)^(١) سعة مجالات إعمال المروءة في الحياة، إلى المستوى الذي يقول فيه الإمام الكاظم «عليه السلام»: (مِنْ مروءة الرجل أن يكون دوابُّه سِماناً)^(٢) فمن إنسانيتك أن لا تكتفي بسد جوعها، بل وتكرمها بكمية ونوعية الغذاء. وقد اعتُبرت هذه الخلّة قريبة من دلالة العناوين التالية: (البسالة، البطولة، الحماسة، الشجاعة، النخوة، الأصالة، الرصانة، العِزة، التُّبّل، الرجولة)، ولعل بعضها من آثارها أو منطلقاتها. وتتجلى هذه الصفة عند النبي موسى «عليه السلام» في عدة مواطن، منها:

(أ) تدخّله لمساندة وإنقاذ المظلوم من يد الظالم في الآية التالية: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ح ١٥١٨٩.

٢. الكليني: الكافي، ج ٦، ص ٤٧٩.

فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١﴾.

وإذا كان «عليه السلام» قد ندم فيما بعد على تسرعه وانفعاله الذي أدى إلى قتل ﴿الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾؛ إلا أن تصرفه في حد ذاته دليل على مروءته وشهامته في الوقت الذي كان فيه محسوباً على البلاط والمُلك، وشخصية نافذة، وفي مثل هذه الحالات لا يتوقع أن يتم التصرف بهذه الصورة، بل ولربما على العكس من ذلك، بالتدخل لإيقاع المزيد من العقاب بحق الطرف المستضعف.

بل إننا نجد «عليه السلام» يبادر من جديد لإغاثة نفس الرجل من جديد لولا أن كشف أمره: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبِطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

قد يقال أن تصرفه الأول الذي أدى إلى قتل عدوه، علاوة على ما كاد أن يقع منه في الموقف الثاني، كلاهما دليلان على عدم الحكمة، ولو امتلكها لقدّر الأمور بشكل سليم، ولتجنّب العقابة التي خسر من خلالها الكثير من الامتيازات بحيث أنه أبدى ندمه على ما صدر عنه، فكيف يكون متصفاً بالحكمة كما مر معنا؟

ويمكن الرد على هذا الإشكال بالتالي:

١. القصص: ١٥.

٢. القصص: ١٨-١٩.

○ الالتزام بأن الحكم لا يعني الحكمة، بل يعني القيادة أو كما قال العلامة الطباطبائي: (القول الفصل وإزالة الشك والريب من الأمور القابلة للاختلاف).

○ أو بالالتزام بأن الحكم يعني الحكمة، ولكن بعض صفاته الشخصية كانت أقوى، فلما وقع التزاحم فيما بينها، تغلب بعضها على البعض الآخر، إذ أن الشهامة والمروءة بالإقدام الفوري لدفع الظلم وتخفيف معاناة الطرف المستضعف تغلبت عنده على ما تستدعيه الحكمة من التروي وتدبير الأمور بطريقة مختلفة.

ب) التدخل لإعانة المرأتين على الاستقاء من الماء: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾^(١). لاسيما بلحاظ الدافع الإنساني الذي انطلق منه لهذا العمل، والذي يدل عليه قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهو تعبير عن مزيج من التواضع، والاعتراف بفضل الله «سبحانه» عليه، ويشير ضمناً إلى أنه لم يقدم على هذا الفعل طمعاً في أجر من أحد، أو ثناء، أو سمعة، أو لفت نظر، أو محاولة تقرب من إحدى المرأتين، وأمثال ذلك، بل كانت نيته خالصة لله «تعالى» وبدافع إنساني يؤكد مروءته من جديد.

ج) احتجاجه المتكرر على تصرفات العبد العالم التي كانت في ظاهرها عدواناً على المستضعفين، بين تعدد على ممتلكاتهم وإلحاق الضرر بها وهي مصدر رزقهم، وقتل لغلام برئ، على الرغم من وعده المتكرر بأن لا يحتج ولا يسأل عن دوافع ذلك، ولعل قوة روح الشهامة والمروءة عنده تغلبت على أي شيء آخر، فأنسته ما وعده به، وسنتحدث

عن هذا بتفصيل أكثر في النقطة التالية، وكذلك عند التعرّض للقصة ضمن تفاصيل سيرته «عليه السلام».

• الوفاء بالوعد:

يصعب تصوّر اجتماع صفتي عدم الوفاء بالوعد مع النبوة والرسالة، لأنّ من شأن ذلك أن يُقلّل من مصداقية النبي والرسول، فيؤثّر سلباً على دوره في هداية الناس، فضلاً عن أنها صفة سلبية ممقوتة، فكيف يمكن أن تكون راسخة في أحدهم «عليه السلام»؟

وقد تجلّت صفة الوفاء بالوعد في موسى «عليه السلام» ضمن ما عرضه القرآن من قصصه، وذلك ضمن تقديم وصف موجز للاتفاق الذي تمّ بينه وبين والد المرأتين في مدين: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَاجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾. وهكذا كان: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ...﴾^(١).

ومع هذا، وفي مورد آخر، نجد أن النبي موسى «عليه السلام» يعدّ بشيء ولا يلتزم به، وبصورة متكررة، وذلك ضمن ما عرضه القرآن الكريم من موجز لقصة مصاحبته للبعد العالم: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢﴾﴾. فهل التزم النبي موسى «عليه السلام» بهذا الوعد؟ تقول الآية اللاحقة: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِئُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦١﴾﴾

١. القصص: ٢٧-٢٩.

٢. الكهف: ٦٧.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴿١﴾.

وجاء الوعد الثاني منه ضمن الاعتذار مما وقع منه: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.. وعند خوضه التجربة الثانية تكرر منه الإنكار ومخالفة الوعد: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٢﴾.

وجاء الوعد الثالث قاطعاً: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿٧٥﴾.. ويتكرر منه ذلك مع خوض التجربة الثالثة: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٤﴾.

ولكن الذي يهون الخطب هنا أنَّ العبد العالم كان يدرك أن موسى «عليه السلام» لن يستطيع الالتزام بالوعد، لا لكون ذلك من صفاته الراسخة -حاشاه- بل للظروف الخاصة بالتجارب القادمة التي يلقيها الغموض، وتتضمن في ظاهرها -ضمن التجربة الأولى والثانية- تعدياً على حقوق المستضعفين، وهو ما لا يرتضيه الإنسان صاحب المروءة والشهامة، ومن هنا قال له في بداية اللقاء وبضرس قاطع: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ والسبب: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.

١. الكهف: ٧١-٧٢.

٢. الكهف: ٧٤-٧٥.

٣. الكهف: ٧٦.

٤. الكهف: ٧٧-٧٨.

مكانته وصفاته الأخلاقية

ولربما يمكن القول أن صفة المروءة والشهامة عند النبي موسى «عليه السلام» كانت أقوى وأشدّ حضوراً في شخصيته بحيث أنسته وعده السابق، لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الفاصل الزمني الممتد بين الوعد الذي أطلقه في كل مرة، وبين الحدث الذي اندفع معه موسى للاحتجاج والإنكار، فالآيات قد اختصرت الزمن والرحلة في جمل متلاحقة، مما قد يوحي للبعض أن الأحداث متلاحقة بشكل متسارع، ولكنها لم تكن كذلك حتماً، وذلك بدلالة طبيعة المواقع المختلفة التي جرت فيها أحداث القصة، بين رحلة بحرية، والانتقال من موقع إلى آخر. ويمكن أن نضيف عاملاً آخر أثر على عدم الالتزام بالوعد المتكرر بعدم الاحتجاج والسؤال، ويتمثل في الطبيعة النفسية الانفعالية عند النبي موسى «عليه السلام» وردّات فعله السريعة في المواقف المختلفة، وهو ما سنناقشه لاحقاً ضمن عرض تفاصيل سيرته.

• توكله على الله وتعلقه القلبي به:

كل إنسان محتاج وفقير إلى الله، والله هو الغني، ومن هنا تأتي حاجة الإنسان إلى التوكل على ربه سبحانه، كعاملٍ نفسي مهم وحيوي يُستمد منه القوة في مواجهة الظروف المختلفة، وكواقعٍ عملي مؤثر في تيسير الأمور وحلّ المعضلات وتجاوز المصاعب. ولكن الخلل في سلوك الناس يكمن في إهمال التوكل عليه «سبحانه» لخطأ مفاهيمي، أو عجب وغرور، أو نتيجة الغفلة عن ذلك في زحمة الحسابات المادية. وعلى خلاف ذلك، نجد موسى «عليه السلام» في مراحل حياته المختلفة عبداً متوكلاً على الله تعالى، لم يمنعه من ذلك كل ما تمتّع به من عناصر شخصية، ومكانة في السلطة، وقوة مرحلة الشباب وعنفوانها، هناك مشاهد متعدّدة تبرز فيها هذه الصفة

عنده، وتمزجها مع بُعد روجي معنوي يتمثل في تعلقه القلبي «عليه السلام» بربه سبحانه، ومن بينها:

(١) أحداث خروجه من مصر، حيث لم يعتمد على إمكاناته في الخلاص من الملاحقة، بل لجأ إلى الله «تعالى»: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

(٢) وبعد الانتهاء من مساعدة المرأتين لم يشعر بنشوة القوة والشهامة لينسب ما جرى لقدراته، بل تذكر أن ما عنده هو بفضل من الله «سبحانه»: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢).

(٣) وعند صدور الأمر الإلهي بدعوة فرعون، حيث استمدّ القوة والسداد والتوفيق من الله: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي^(٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي^(٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي^(٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي^(٨) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي^(٩) هَارُونَ أَخِي^(١٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي^(١١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي^(١٢) وجعل المزيد من الارتباط الروحي برب العالمين غايةً من غايات ذلك: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾^(١٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا^(١٤)﴾^(٣).

(٤) ولم يكتفِ موسى «عليه السلام» بأن يكون كذلك في أجواء الدعوة وتحدياتها، بل وأمر المؤمنين معه بأن يتوكلوا على الله «سبحانه» ويثقوا به: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ

١. القصص: ٢١.

٢. القصص: ٢٤.

٣. طه: ٢٤-٣٤.

وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ (١).

هـ) ولما كانت الظروف والمعطيات على الأرض تدلّ على وقوع موسى «عليه السلام» ومن خرج معه من مصر في يد فرعون وأعدائه، وفشل محاولتهم الخلاص من بطشه، كان موسى على ثقة تامة بأن الله «تعالى» إذ وعده بالخلاص، فإنه لا توجد قوة على الأرض أو في السماء يمكنها أن تسوق الأمور إلى غير هذه النتيجة: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ (٢).

• حبّ الله والأنس به:

لم تكن علاقة موسى «عليه السلام» بربه علاقة جامدة في إطار طاعة الأمر وتنفيذه، فمثل هذه الحالة تُفقد العمل روحانيته وجماله، بل كانت علاقة ملؤها الحبّ والأنس والتعلّق الروحي. ولربما من الموارد الدالة على ذلك ما جاء في الحوار الذي دار بينه وبين الله «سبحانه» في بداية البعثة، إذ يسأله الله «تعالى» سؤالاً واضحاً وبسيطاً ليكون تمهيداً لصدور الأمر فيقول له: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى﴾، وإذا بموسى «عليه السلام» ينطلق في الإجابة بإسهاب، ولا يكتفي بالجواب المباشر من قبيل: (عصا).. (هي عصا)، وما شابه ذلك، بل يستثمر الفرصة ليطيل الكلام مع محبوبه: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (٣). هذا

١. يونس: ٨٣-٨٦.

٢. الشعراء: ٦١-٦٢.

٣. طه: ١٧-١٨.

كما قيل: (لأن المقام -وهو مقام المناجاة والمسارة مع المحبوب- يقتضي ذلك، لأن مكلمة المحبوب لذينة ولذا ذكر أولاً أنه عصاه ليرتب عليه منافعها العامة)^(١).

ولكن في البين رأي آخر رجّحه العلامة الطباطبائي في سبب الإطالة في الجواب: (فإنه لما سمع السؤال عما في يمينه -وهي عصا لا يُرتاب فيها- فهم أن المطلوب ذكر أوصافها، فأخذ يذكر اسمها ثم أوصافها وخواصها، وهذه طريق معمولة فيما إذا سئل عن أمر واضح لا يتوقع الجهل به)^(٢).

ولعل من موارده الطلب الذي قدّمه موسى «عليه السلام» بين يدي الله «سبحانه»: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٣)، شوقاً إلى رؤية محبوبه الذي تكررت محادثته، ولكن لم تتسن رؤيته. ولهذا الطلب تفسيرات أخرى سنبحثها في محله عند عرض تفاصيل سيرته «عليه السلام».

• التواضع:

لدى الإنسان قابلية أن يُبتلى بالعجب فالغرور فالكبر نتيجة امتلاك شيء من الامتيازات، ولكننا نجد موسى «عليه السلام» -ريبب القصر الفرعوني- يعمل في الصحراء في الرعي ولسنوات ممتدة. صحيح أن الظروف القاهرة هي التي دفعته للهروب من مصر والحلول في مدين، ولكن كان بإمكانه أن يبحث عن بيئة أخرى، وعمل آخر يتناسب وشأنه السابق، ولكنه قَبِلَ أن يكون أجيراً، وأن يعمل في هذا المجال، وذاك مؤثّر على تواضعه.

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٤٢.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٤٢.

٣. الأعراف: ١٤٣.

كما أنه «عليه السلام» حظي بنعمة التكليف بالرسالة من خلال حوار إلهي مباشر معه، لا من خلال ملك مرسل، ومع هذا استمرّ على تواضعه وبساطته في العيش، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: (واستعيذوا بالله من لواقح الكبر، كما تستعيذونه من طوارق الدهر. فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه. ولكنه «سبحانه» كره إليهم التكبر ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفروا في التراب وجوههم. وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا أقواماً مستضعفين.... ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون «عليه السلام» على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال: [ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليهما أسورة من ذهب] إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه^(١).

ومن تواضعه أنه لم يترفع النبي موسى «عليه السلام» عن طلب الاستعانة بأخيه في أداء مهمته الرسالية: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾^(٢٩) هَارُونَ أَخِي^(٣٠) اشدُّ بِهِ أَزْرِي^(٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي^(٣٢)، وذلك بعدة لحاظات ذكرها في حوار مع الله «سبحانه»: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٣٣) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْظِلُّ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ^(٣٤) وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ^(٣٥)، وجاء هذا الحوار بعبارات أخرى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣٦) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ

١. الرضي: نهج البلاغة، خ ١٩٢.

٢. طه: ٢٩-٣٢.

٣. الشعراء: ١٢-١٤.

أَفْصَحَ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون ﴿٣٤﴾ (١).

ولعل بعض القيادات وأصحاب المشاريع الإصلاح والدعوية يستنكفون أن يستعينوا بأحد ضمن مشروعهم وأن يوظفوا الطاقات البشرية الأخرى لصالح العمل الرسالي، مخافة أن يأخذ عليهم البعض ضعف إمكاناتهم، أو أن يكون ذلك سبباً لانكشاف نقاط ضعفهم، أو يتحرّزون من أن يُنسب الفضل في نجاح المشروع للمستعان بهم، أو أن يكون ذلك سبباً لبروز الآخرين على حساب شهرتهم وسمعتهم وانقياد الناس لهم، إلا أن النبي موسى «عليه السلام» بهذا التصرف ضَرَبَ مثلاً لكل قيادة وصاحب مشروع أن الأهم هو الرسالة لا الأشخاص، فالمهم توفير أسباب نجاح المشروع، وليس صعود الشخص على حساب الرسالة.

ومن تواضعه أيضاً قبوله -وهو النبي المرسل- أن يتعلّم من إنسان آخر، وأن يوافق على ما يُشترط عليه ضمن الرحلة التعليمية المترقّبة، وأن يعتذر مما صدر عنه بما يخالف الوعد الذي وعده به من قبل.

• التأدّب بين يدي المعلم:

وتأتى هذه الصفة استتماماً لصفة التواضع وتكاملاً معها، وهو ما نلاحظه في كلماته مع العبد العالم: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا.. قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا.. قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٢).

١. القصص: ٣٣-٣٤.

٢. الكهف: ٦٦-٧٦.

• الحرص على التعلم:

فليس من السهل أن يقبل صاحب الشأن والمكانة أن يتعلم من الآخرين، ومع هذا نجده «عليه السلام» يُقِيل ويحرص على لقاء العبد العالم ويطلب منه الاستزادة مما لديه من علم: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلِمتَ رُشدًا﴾ (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِط بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) (١)، وعلى الرغم مما حدث بعد ذلك، وحراجه الموقف بالنسبة له مع الاعتذار المتكرر، أصرّ النبي موسى «عليه السلام» على متابعة الصحبة أملًا في الاستمرار في الحصول على العلم.

• العزيمة والهمة وقوة الإرادة:

من شأن المحن والمصاعب التي يمرّ بها الإنسان أن تقوّي من عزمته وتصلّب عودَه وتجعله أكثر تحملاً، وذلك بشرط الصبر والتوكّل على الله «سبحانه». وعندما نمّر بمفردات سيرته «عليه السلام» والمراحل الرسالية التي طواها، سنجد هذه الميزة واضحة في شخصيته، وواحدة من الشواهد على ذلك ما حكاه القرآن حول ما دار بينه «عليه السلام» وبين بني إسرائيل حين أمرهم بدخول الأرض المقدسة، ونكوصهم وتقديمهم الأعذار الواهية بعد كل التجارب التي مرّوا بها، ووجدوا فيها المدد الإلهي من دون أية موارد: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (١١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (١٢) (٢) ولم يُستثن من ذلك

١. الكهف: ٦٦-٦٩.

٢. المائدة: ٢١-٢٢.

سوى رجلين فقط: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ولم يغير ذلك من موقفهم، بل ازدادوا إصراراً ورفضاً: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢)، أي قيادي يواجهه مثل هذا الموقف العصيب قد ينهار، ولربما ينسحب ويعتزل الحياة العامة... ولكنه موسى «عليه السلام»، صاحب العزيمة الراسخة والإرادة الجبارة، المتوكل على الله «سبحانه»: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣) وصدر الأمر الإلهي باستمرار مهمته القيادية والرسالية ولكن في ظروف صعبة ستؤدي إلى تغيير مسار الأحداث، وتوجّل المشروع الإلهي إلى جيل لاحق: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤). وستتضح الصورة أكثر عندما نستعرض هذه السيرة بتفاصيلها.

• قوة الشخصية:

وهي صفة ضرورية للقيادة الناجحة، ولذا نجده يتّخذ القرار الحاسم بتدمير العجل الذهبي الذي عكفوا على عبادته، وإنزال العقوبة بالسامري الذي قاد القوم إلى الضلالة، وينفّذ ذلك، على الرغم من أن الأمر سيستدعي فقدانهم الذهب الذي تخلّوا عنه ضمن صناعة العجل: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُحْفِقَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ

١. المائدة: ٢٣.

٢. المائدة: ٢٤.

٣. المائدة: ٢٥.

٤. المائدة: ٢٦.

فِي الْيَوْمِ نَسْفًا^(١)، ثم يصدر الأمر بالإعدام المتبادل كسبيل وحيد لتحقيق التوبة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(٢)». ومع هذا كله، كانت بعض الظروف أقوى منه، حيث بلغ التمرد ببني إسرائيل أن رفضوا دخول الأرض المقدسة كما مر معنا مسبقاً، ولكنهم خضعوا لاحقاً لأمر البقاء في التيه لأربعين سنة!

• قوة الحجة والاستدلال العقلي:

فالحوارات التي نقلها القرآن الكريم -وإن جاءت مختصرة- إلا أنها ترشد إلى قوة حضور الذهن عند النبي موسى «عليه السلام» وسرعة البديهة في الردّ على أسئلة فرعون الاستفزازية المنطلقة من واقع استكباري متعنّت، لا من موقع الطالب للهداية والمعرفة، ولقدرته «عليه السلام» على تجاوز الأسئلة الملغمة التي كان يحاول فرعون من خلالها أن يستجلب عطف المملأ ويوجّه غضبهم نحو موسى لإفشال دعوته، وهذا ما نلاحظه في السؤال التالي: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى^(٣) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى^(٤) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى^(٥)﴾^(٦)، لقد أراد فرعون بهذا السؤال الملغوم أن يثير موضوع القرون الأولى ليثير الأجواء السلبية حول موسى، لإيجاد جو عاطفي في المجتمع المحيط بموسى يدفع هؤلاء باتجاه الدفاع عن آبائهم الذين يرميهم موسى بالضلال، ويحكم عليهم بالعذاب. إلا أن موسى «عليه السلام»

١. طه: ٩٧.

٢. البقرة: ٥٤.

٣. طه: ٤٩-٥١.

التفت إلى مكر فرعون وسؤاله الخبيث فأجاب بكل حكمة: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(١)، فكان إيكال موسى علم هؤلاء في مصيرهم إلى الله الذي يعلم من جزئيات أعمالهم ما لا نعلمه، طريقة للخروج من أجواء الجدل العقيم، والجدل المؤدي إلى إثارة المشكلات في وجه الدعوة.

هذا الأسلوب الحكيم يحتاج إليه الرساليون عندما يواجهون مثل هذه الحالة ممن يريدون إيقاعهم في أجواء الإثارة الاجتماعية أو السياسية الانفعالية، ما يخلق الكثير من الإرباك في العمل الرسالي.

وأراد فرعون أن يخرج موسى «عليه السلام» أمام الملأ في موقف آخر، وذلك من خلال تذكيره بتربيته داخل قصره، وهو الأمر الذي يستوجب الشكر والامتنان والخضوع لإرادة الحاكم، بالإضافة إلى محاولة إسقاط شخصيته واعتبارها بلحاظ أنه قد قتل نفساً أيام شبابه قبل أن يهرب إلى مدين: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ^(١٩) ﴿٢٠﴾، فكان من مصداقية موسى وتواضعه أن أقرّ بذلك ولم ينكر الأمر: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٢١) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ^(٢٢) ﴿٢٣﴾، وكأنه يقول له: ولماذا تستغرب أن يكون لي هذا الموقع الرسالي، فتحاول أن تستذكر طفولتي التي عشتها معكم؟ فهل هي قضية شخصية أو نابعة من اختيار شخصي لتبحث في حياتي الخاصة التي كنت تعرف قسماً منها؟ إنها قضية

١. طه: ٥٢.

٢. الشعراء: ١٨-١٩.

٣. الشعراء: ٢٠-٢١.

مكانته وصفاته الأخلاقية

ربانية واختيار إلهي نابع من حكمة الله ولطفه ورحمته.

ثم كيف تكون التربية الأولى أساساً للحكم على الشخصية بعد غياب طويل، وسنين عديدة، قد يحصل الإنسان فيها على معارف جديدة ومواهب عالية تؤهله لأكثر المواقع تقدماً في الحياة، ما يجعل منطقك بعيداً عن التوازن والتركيز والواقعية؟

ثم استفاد النبي موسى «عليه السلام» من الموقف بتوجيه الاتهام إلى فرعون بنفس منطق: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١)، لربما يشير بذلك إلى أنه لولا قراراته الاستكبارية الطاغوتية لما اضطرت والدته لإلقائه في اليم ومن ثم الصيرورة في بيت فرعون، ولربما يردّ بهذه الكلمات على الروح المتعالية التي حملها هذا الطاغية في نظره إلى ما كان يقدمه لمن تحت يديه من موارد استهلاكية وحاجات معيشية، في الوقت الذي يُطبق فيه الحصار على حريتهم، ويحوّلهم إلى أدوات صماء عمياء لأطماعه وأغراضه، وللوصول إلى غاياته الظالمة.

إن موسى «عليه السلام» في هذه الكلمة القصيرة يشير إلى حقيقة أن حرية الإنسان من عبوديته للإنسان أغلى من كل المتع والمنافع التي يقدمها السادة للعبيد، لأن الحرية تعني الارتفاع بالإنسانية إلى المستوى الأعلى في رحاب الحياة، بينما العبودية تعني الانحطاط بالإنسانية الإنسان إلى أسفل دركات الحياة.

• المرونة في أساليب الدعوة:

وذلك بين اللين والحزم والشدة، فحين أمر الله «تعالى» نبيه موسى بمعية أخيه هارون «عليه السلام» بحمل الرسالة إلى فرعون ابتداءً، أوصاهما بأن يعتمدا الأسلوب

اللين في الدعوة: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤) (١) بعيداً عن الكلمات الحادة والاتهامات العنيفة والخشونة في القول، وهذا ما عكسته أيضاً الآيات التالية: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٧) فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (١٩) (٢)، ولكن دون التنازل عن المبادئ والممالة والمداهنة، وفي ذلك قال العلامة فضل الله: (لين الكلام لا يعني الابتعاد عن الخط الأصيل في الدعوة للفكرة، بل يعني مواجهة الإنسان بالفكرة بالطريقة التي لا تثير حساسيته وعدوانيته، وذلك بالأسلوب الذي جرت عليه هذه الآيات في إثارة المسألة بطريقة اللمحة واللفتة، لا بطريقة المواجهة المباشرة، ما يفسح المجال للمخاطب ألاّ يعتبر نفسه معنياً بالمسألة، لأن القضية كانت مطروحة في نطاق العموميات التي لا تسبب الإحراج المباشر لقائلها وسامعها. وهذا هو معنى القول اللين، ألاّ تتنازل عن الفكرة بكل عناصرها الحية، ولكن بشرط أن تعالجها بالأسلوب الذي يجعلها تدخل الفكر والروح والشعور من باب واسع) (٣).

ولذا أرفقت تلك الوصية باللين برسالة حازمة: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ (٤)، تكشف عن عدم التنازل عن المبادئ.

كان هذا مطلوباً في بداية الدعوة، ولكن عندما شاهد فرعون الآيات المرسله مع موسى «عليه السلام»، وأقيمت عليه الحجج تلو الأخرى، أبى واستكبر واتهم صاحب

١. طه: ٤٣-٤٤.

٢. النازعات: ١٧-١٩.

٣. فضل الله: من وحي القرآن، ج ١٥، ص ١١٨.

٤. طه: ٤٧.

الرسالة بالسحر والكذب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٢٤﴾^(١)، وبالجنون ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٥﴾^(٢)، وأراد أن يتحداه في مواجهة علنية: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٢٦﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ٢٧﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ٢٨﴾^(٣)، وانتهت المواجهة بفشل فرعون، فما كان منه إلا أن ازداد استكباراً وعلواً في الأرض بدلاً من الاعتراف بهزيمته: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأُرْجَلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا صَلِيبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ٢٩﴾^(٤)، وتآمر عليه وعلى بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٣٠﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ٣١﴾^(٥)، وسعى في نهاية المطاف لطردهم من الأرض: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ ٣٢﴾^(٦).

ومن هنا تغيّر الخطاب وأسلوب الدعوة، واتّجه نحو الشدة ومقابلة الإساءة بالإساءة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ٣٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ

١. غافر: ٢٣-٢٤.

٢. غافر: ٢٧.

٣. الشعراء: ٣٨-٤٠.

٤. الشعراء: ٤٩.

٥. غافر: ٢٥-٢٦.

٦. الإسراء: ١٠٣.

وَالْأَرْضَ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾^(١)، والمثبور هو المهلك.

• الأمانة:

عندما تعرّضنا لصفاته الخلقية الجسمانية، ذكرنا هناك أن إحدى المرأتين وصفته «عليه السلام» لأبيها بأنه قوي أمين: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢)، أما القوة فمن السهل اكتشافها، فمن أين عرفت أمانته ولم يطل معرفتها به؟ قال العلامة الطباطبائي: (وفي حكمها بأنه قوي أمين دلالة على أنها شاهدت من نحو عمله في سقي الأغنام ما استدلت به على قوته، وكذا من ظهور عقته في تكليمهما وسقي أغنامهما، ثم في صحبته لها عندما انطلق إلى شعيب حتى أتاه ما استدلت به على أمانته)^(٣). وقد روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام» أنه قال في وصف هذا الحدث: (قالت: يا أبت، أي مشيت قدّامه، فقال: امشي من خلفي، فإن ضللت فأرشدني إلى الطريق، فإنا قومٌ لا ننظر في/إلى أدبار النساء)^(٤).

• العفة:

تضمّن كلام العلامة الطباطبائي السابق الإشارة إلى دلالة الآية على عفة النبي موسى «عليه السلام» أيضاً علاوة على الأمانة، واستدل بعض المفسرين على ذلك أيضاً باكتفاء النبي موسى بقوله: ﴿مَا خَطُبُكُمَا﴾^(٥) ولم ينقل عنه القرآن الكريم

١. الإسراء: ١٠١-١٠٢.

٢. القصص: ٢٦.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ١٦، ص ٢٦.

٤. الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٢.

٥. القصص: ٢٣.

أيّ كلامٍ إضافي، إلى أن تم لقاءه بأبيهما ففتح الكلام على مصراعيه ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾^(١).

وهكذا، فإنه لما سقى لهما توجّه مباشرة إلى الظل، ولم ينتظر شكراً منهما، على خلاف ما قد يفعله الشباب عادة في مثل هذه المواقف استغلالاً لتقديم خدمة لفتاة مثلاً، لاسيما في الظروف الصعبة، ولربما اكتفى أحدهم بابتسامة منها أو سماع صوتها كنوع من إشباع الشعور بالرضا عنده، وهذا ما لم يفعله موسى «عليه السلام».

• الغيرة الشديدة على الدين:

يمكن ملاحظة ذلك في ردّة فعله الغاضبة ومواقفه الحازمة وقراراته الحاسمة عندما تجرّأ قومه على الشرك بالله واتخاذ العجل فأخبره الله بذلك: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَفْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ... وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^(٢).

• الوجاهة عند الله:

قال «تعالى» في معرض نهي المؤمنين عن إيذاء النبي محمد «صلى الله عليه وآله»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^(٣)، والوجيه يعني ذو الوجاهة، والوجاهة تعني التقدّم على الأمثال، والكرامة

١. القصص: ٢٥.

٢. الأعراف: ١٥٠-١٥٤.

٣. الأحزاب: ٦٩.

بين القوم، ويقولون: هو وَجْه القوم أي سيدهم والمقدّم بينهم. فوجيه الناس المكرّم بينهم، ومقبول الكلمة فيهم، وهي وصف مشتق من الوجْه للإنسان، وهو أفضل أعضائه الظاهرة منه، وأجمعها لوسائل الإدراك وتصريف الأعمال، فأطلق الوجه على أوّل الشيء على طريقة الاستعارة الشائعة فيقال: وجْه النهار لأوّل النهار. ومعنى كونه وجيهاً عند الله أنه مرضي عنه، مقبول، مغفور له، مستجاب الدعوة.

• رسول من أولي العزم:

النبى موسى «عليه السلام» أحد الرسل من أولي العزم، قال «تعالى»: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١)، وتذكر بعض الروايات التفسيرية للقرآن الكريم أن موسى «عليه السلام» من بين الرسل من أولي العزم الذين أشارت إليهم الآية السابقة، ومن بين هذه الروايات:

○ في بحار الأنوار للمجلسي (ت ١١١٠هـ) عن كتاب (المحاسن) لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ): (عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: قول الله ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾؟ فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وعلى جميع أنبياء الله ورسله....)^(٢).

○ في الكافي للكليني (ت ٣٢٩هـ): (عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن هشام عن ابن أبي يعفور قال: سمعتُ أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: سادة النبيين والمرسلين خمسة وهم أولو العزم من الرسل، وعليهم دارت الرحي،

١. الأحقاف: ٣٥.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٠.

نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد «صلى الله عليه وآله» وعلى جميع الأنبياء^(١).

وقد يُستدل على ذلك من القرآن أيضاً حيث تمّ ذكر الخمسة من النبيين على حدة ضمن الحديث عن الميثاق المأخوذ من عمومهم، قال «تعالى»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٢).

وحين ذُكر هؤلاء الخمسة مرّة أخرى عند الحديث عن الدين والشرعة الإلهية، قال «تعالى»: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾^(٣).

وحيث لم تذكر الآيتان أنها بصدد بيان أولي العزم من الرسل، لذا من الصعب -قرآنيّاً- الجزم بذلك، كما أنّ ما لدى أهل السنة من أقوال في تحديد أسمائهم ليس من باب الرواية عن النبي «صلى الله عليه وآله»، بل هو خبر عن أبي هريرة مباشرة، والخبر كالتالي: (قال أبو بكر البزار: حدّثنا عمرو بن علي، حدّثنا أبو أحمد، حدّثنا حمزة الزيات، حدّثنا علي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وخبرهم محمد «صلى الله عليه وسلم» أجمعين). وعلّق عليه ابن كثير بقوله: (موقوف) أي لا تصريح فيه بأنه مروي عن النبي (وحمزة فيه ضعف)^(٤).

١. المازندراني: شرح أصول الكافي، ج ٥، ص ١١٣.

٢. الأحزاب: ٧.

٣. الشورى: ١٣.

٤. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١١، ص ٣٣.

وخبر آخر عن ابن عباس كما في : (أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: أولو العزم من الرسل النبي «صلى الله عليه وآله» ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى^(١)).

وجاء في الموسوعة العقدية: (وقد اختلفت الأقوال في تعيين أولي العزم من هم. ويمكن تصنيفها إلى قسمين، الأول: قول من جعل التعيين بالصفة لا بالتسمية... والثاني: قول من جعل التعيين بالتسمية، وهي أقوال: ف قيل: هم الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام الآيات ٨٤ - ٨٦ لقوله «سبحانه» في عقب ذكرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢). وهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط.... وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى «عليه السلام»، وهم المذكورون على النسق في سورتي الأعراف والشعراء. وقيل غير ذلك. ولكن الأشهر المتداول في كتب العلم أنهم خمسة وهم: محمد، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى «عليهم الصلاة والسلام»... والقول بأنهم هم أولو العزم، مروى عن ابن عباس وغيره من السلف الصالح «رضوان الله عليهم»، وعن أبي هريرة....^(٣)).

ولكنها - كما أشرت من قبل - موقوفة، ومن أقوال أبي هريرة وابن عباس وقتادة وغيرهم، ولذا لا معول عليها دون إسناد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» إذ تبقى

١. السيوطي: الدر المنثور، ج ٦، ص ١٨.

٢. الأنعام: ٩٠.

المطلب الأول: تعيين أولي العزم/1935/aqadia/3. <https://dorar.net>

اجتهادية. نعم، إن صحّت الروايات عن أئمة أهل البيت «عليه السلام» فسيكون المعول عليها، ويكون مضمون الآيتين من سورتي الأحزاب والشورى مؤيداً لذلك.

• نتائج الفصل و خلاصته:

- الكمالات والصفات الأخلاقية والمعنوية التي وُصف بها النبي موسى في القرآن الكريم: الإحسان - الحُكم - العلم - المروءة - الوفاء بالوعد - التوكل على الله والتعلق القلب به - حبّ الله والأنس به - التواضع - التأدّب بين يدي المعلم - الحرص على التعلم - العزيمة والهمة وقوة الإرادة - قوة الشخصية - قوة الحجة والاستدلال العقلي - المرونة في أساليب الدعوة - الأمانة - العفة - الغيرة الشديدة على الدين - ذو وجهة عند الله - رسول من أولي العزم.
- اتصاف موسى ببعض هذه الصفات والكمالات وهورييب قصر الطاغوت فرعون أمرٌ يدعو إلى العجب والإعجاب وفهم ما وراء العناية الإلهية الخاصة به.

صفاته الْخَلْقِيَّة

صفاته الخلقية

• موضوعات هذا الفصل:

- عرض لأهم ما جاء في وصف النبي موسى في المصادر الكتابية من الناحية الجسمانية والشكل والمظهر الخارجي.
- تأثير ما جاء في التراث الكتابي على مرويات المسلمين بعد خلوّ القرآن الكريم من الحديث عن صفاته الجسدية ومظهره الخارجي إلا في عنوانين هما لون بشرته ولربما قوته الجسدية.
- قصة الرسام العربي الذي رسم النبي موسى حال حياته بأمر من أحد الملوك العرب.
- انعكاس الموروث الكتابي على لوحات الفنانين الشرقيين والغربيين عندما رسموا النبي موسى من وحي مخيلتهم.
- تأثير بيئات الفنانين الغربيين وقصور المعرفي على ما قدّموه من نتاجات متضادة وغير متلائمة مع هيئة الإنسان (الشرقي)، وما جاء في وصف النبي موسى في التراث.

○ لماذا يظهر النبي موسى في العديد من اللوحات والمجسمات الغربية وله قرنان في رأسه؟ وهل للموروث اليهودي دور في ذلك أم أنها من الأخطاء الناجمة عن سوء الترجمة؟ ولماذا تم استبدالهما لاحقاً بشعاعين من نور؟

• صفاته الجسدية في القرآن:

لم يعتن القرآن الكريم -عموماً- بذكر الصفات الخلقية الجسدية للأنبياء «عليه السلام» أو لغيرهم من الأفراد أو الجماعات إلا بما يحقق غرضاً ما، وذلك من قبيل الامتنان بالنعم وكيف يكفر بها أصحابها: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ... أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

ومن قبيل بيان سبب اصطفاء فرد ما من بين سائر أفراد قومه ليقوم بالمهمة المحددة، كالقيادة العسكرية: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

ومن هنا، لا نجد وصفاً للبعد الخلقى للنبي موسى «عليه السلام»، إلا ما استفاده البعض من جانب من قصة وسيرة هذا النبي الكريم في شبابه حيث يقول «تعالى»: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ

١. الأعراف: ٦٥-٦٩.

٢. البقرة: ٢٤٧.

وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١﴾.

فحيث أن الوكر هو الضرب بجمع الكف، وهذا المقدار لا يستوجب موت الموكوز عادةً، لاسيما بلحاظ استعمال جملة (فَقَضَى عَلَيْهِ) كناية عن الفراغ من أمره بموته، (والمعنى: فدفعه أو ضربه موسى بالوكز فمات، وكان قتل خطأ، ولولا ذلك لكان من حق الكلام أن يُعبّر بالقتل) ^(٢)، إلا أنه أدّى إلى موته فعلاً، فاستدلّ البعض بذلك على ما كان يتمتع به النبي موسى «عليه السلام» من قوة جسدية كبيرة أو استثنائية.

وبرأيي أن هذا في حدّ ذاته لا يصح أن يكون دليلاً حتمياً على القوة الجسدية الاستثنائية، فلربما أدّت الدفعة إلى أن يختل توازن الموكوز فيسقط ويضرب رأسه بشيء حاد أو صلب فينزف ويموت، ولربما وقع الحدث في منطقة مرتفعة عن الأرض، فأدّى ذلك إلى سقوطه وموته.

المورد الآخر الذي استدلّ به على قوته الجسدية الاستثنائية ما جاء بقلم د. راشد البلوشي في مقال له بعنوان (من الدلائل اللغوية على قوة موسى «عليه السلام»)، استناداً على مضمون قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣).

١. القصص: ١٥.

٢. الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ١٨.

٣. الأعراف: ١٤٣.

وتقريب الاستدلال بالآية أن كلمة (لن) تفيد النفي في الزمن المستقبل، بمعنى أن موسى لن يستطيع أن يرى الله «تعالى» كما طلب، ولو استطاع الجبل أن يتحمّل موقف رؤية الله «تعالى» (أو رؤية جزء من الذات الإلهية)، فإن موسى «عليه السلام» سوف يتحمّل هذا الموقف، وما ذاك إلا لأنّ موسى أقوى وأكثر تحملاً من الجبل نفسه، كما تقول لشخص: إذا استطاع هذا الطفل أن يحمل هذا الثقل، فمن باب أولى أن تستطيع أنت -الكبير- حمّله. ومن هنا نجد أن الجبل قد اندكّ حين تجلّى الله له وتحول إلى تراب، بينما أقصى ما جرى لموسى أنه خرّ صعقاً، أي فقد وعيه، ولم يتحوّل جسده إلى أشلاء مثلاً^(١).

إلا أنّ هذا الاستدلال غير سليم، لأنّ تأثر الجبل -ومن ثم النبي موسى- بالتجلّي الإلهي الذي سنبحثه في مورده بشكل أكثر تفصيلاً، ليس بالضرورة أن يكون باللاحظ المادي حتى نقول هذا أقوى من هذا مادياً، بل لا تصح المقارنة حتى باللاحظ المادي، فعند وقوع الزلزال قد تنهار عمارة ضخمة جداً، بينما لن يتحطم إنسان بفعل ذلك. كما ولا يُعقل أن يكون جسد موسى «عليه السلام» أقوى من كتلة الجبل الصلدة بحجمه الهائل كي تكون المقارنة من هذه الناحية، ولذا فإنّ الاستدلال بهذه الآية على القوة الجسدية للنبي موسى «عليه السلام» استدلال في غير محله.

المورد الثالث الذي استُدل به -قرآنياً- على القوة الاستثنائية الجسدية للنبي موسى «عليه السلام» يتمثل في الشهادة التي قدّمتها إحدى المرأتين بحقه بعد أن أعانهما، حيث قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢).

1. <https://www.alfalq.com/?p=8852>

٢. القصص: ٢٦.

ولكن يمكن ردّ هذا الاستدلال أيضاً بلحاظ أنّ المرأة قد وصفته بالقوّة في حدود الدور الذي نهض به، وهو السقي، وبما يُتوقّع منه أن يقوم به مستقبلاً، كرعي الأغنام مثلاً، وسائر المهام التي يُفترض به أن يقوم بها لمساعدة المرأتين ووالدهما، وهي مهام عادية لا تتطلب شخصاً صاحب قوة استثنائية، وكأنّها قالت إنه ليس بالرجل الهزيل أو العليل الذي سيكون عالّة علينا بدلاً من أن يُعيننا، فهو يمتلك ذلك المقدار من القوة الذي يُمكنه من أن يكون خير معين، لاسيما بلحاظ الصفة الأخرى التي يتمتّع بها وهي الأمانة.

وخلاصة الكلام أننا لا نملك دليلاً قرآنياً أكيداً وحاسماً على امتلاك هذا النبي الكريم قوة جسدية استثنائية، إلا أنه جاء عن المؤرّخ محمد بن إسحاق ما يدلّ على ذلك: (وكان موسى قد أوتي بسطةً في الخلق، وشدةً في البَطَش)^(١)، ولا نعلم مصدر هذا الوصف الذي جاء به ابن إسحاق، هل كان رواية أم استنتاجاً شخصياً، وهل كان من مصدر إسرائيلي، أم غير ذلك.

• في التراث الكتابي:

أما في التراث الكتابي، فنجد بعض الأوصاف القليلة جداً التي لا توضّح المعالم الجسدية للنبي موسى «عليه السلام» بشكل كاف، تماماً كما عانينا من صعوبة الحصول على معلومة حول الهيئة الجسدية للنبي عيسى «عليه السلام» ضمن التراث الكتابي عند البحث في سيرته، وبيّنت هناك أن اللوحات المجسدة لشخصيته متضاربة بشدة ولا تستند إلى نصوص، بل إلى تخيلات الرسامين والنحاتين، وقد عكس كلّ منهم بيئته وثقافته، وهذا ما ينطبق تماماً على اللوحات والمجسمات التي قدمها الفن حول

١. الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩، ص ٥٣٧.

شخصية النبي موسى. وإذا كان التراث الفني الغربي قد طبع في الأذهان صورة معينة عن السيد المسيح «عليه السلام» غلبت التصور القبطي والأثيوبي والبيزنطي، إلا أننا لا نجد مثل ذلك بخصوص النبي موسى «عليه السلام»، حيث جاءت صورته في الفن الغربي متفاوتة بشكل كبير من لوحة إلى أخرى، كما أن اليهود أنفسهم ليسوا متحمسين لذلك، فقد جاء في الوصية الثانية من الوصايا العشر بحسب التوراة الحاضرة: (لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمَثَالًا مَنَحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ)^(١)، وإذ وقع الاتفاق بين رجال الدين اليهودي على حظر وحرمة التصوير ثلاثي الأبعاد بالنحت وما شابه، إلا أنهم اختلفوا في جواز التصوير الثنائي، بالرسم وحتى التصوير الفوتوغرافي، ولذا نجد أن الحاخام تسيفي أشكنازي رفض -حين كان في لندن- أن يجلس لیتّم رسمه، فقام بعض الجالية اليهودية بذلك دون علمه، ثم وضعت اللوحة في متحف لندن^(٢).

وفي ما يلي بعض ما جاء في هذا الباب:

جاء في التلمود البابلي ما ترجمته عن الترجمة الإنجليزية: (وتختتم القصة: كم كان طول موسى؟ كان طوله عشرة أذرع) עשר אמות Ten Cubits (وأخذ فأساً طوله عشرة أذرع، وقفز عشرة أذرع، وضرب عوج في كاحله وقتله)^(٣).

وبالعودة إلى الموسوعة البريطانية فإن الذراع وحدة قياس طولي استخدمتها العديد من الشعوب القديمة وفي العصور الوسطى. ربما نشأت في مصر حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد؛

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢٠: ٤.

٢. للمزيد حول الرأي الشرعي اليهودي من الرسم والنحت وأمثالهما راجع:

<https://torah.org/torah-portion/weekly-halacha-5773-vayera/>

3. <https://www.sefaria.org/Berakhot.54a.1-54b.23?lang=bi>

قُدِّر الذراع عموماً بما يساوي ١٨ بوصة (٤٥٧ مم)، وذلك استناداً إلى طول الذراع من الكوع إلى طرف الإصبع الأوسط. وقُدِّر في بعض الثقافات القديمة بما يصل إلى ٢١ بوصة (٥٣١ ملم)^(١). ولو ضربنا ٤٦ سم تقريباً في الرقم عشرة، فسيكون طوله أكثر من أربعة أمتار ونصف المتر!

وفي معجم الكتاب المقدس Bible Lexicons أن الذراع يساوي تقريباً ١٨ بوصة^(٢).

وذكر الحاخام أبراهام حاييم نيه أن الذراع يساوي ٤٨ سم (١٩ بوصة)، وعارضه في ذلك أبروهوم يشايا كاريليتز حيث حدّد الذراع بطول ٥٧,٦ سم^(٣).

ونجد وصفاً آخر للنبي موسى «عليه السلام» في التراث الكتابي جاء في كتاب (التحضير للإنجيل) Praeparatio Evangelica / Preparation for the Gospel للأسقف يوسابيوس القيصري Eusebius of Caesarea (ت ٣٣٩م) نقلاً عن المؤرخ اليهودي الإسكندري (أرتبانوس) Artapanus (القرن الثاني قبل الميلاد)، وهو وصف للنبي وقد بلغ الثمانين من عمره: (ويقولون أن موسى كان طويلاً وأحمر اللون وله شعر أبيض طويل)^(٤).

ومن الواضح أن هذا المؤرخ اليهودي لم يوثّق هذه المقولة ولم ينسبها إلى جهة محددة واستعمل كلمة (يقولون) التي لا تُسَمَّن ولا تُغني من جوع.

1. <https://www.britannica.com/science/cubit>

2. <https://www.studylight.org/lexicons/eng/hebrew/520.html>

3. <https://en.wikipedia.org/wiki/Cubit>

4. Eusebius of Caesarea (1903). "Praeparatio Evangelica" [Preparation for the Gospel]. Translated by Gifford, E. H. Book 9. Retrieved 30 April 2021

وجاء في سفر أعمال الرسل، من العهد الجديد: (وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وُلِدَ مُوسَى وَكَانَ جَمِيلًا جِدًّا، فَرُبِّيَ هَذَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فِي بَيْتِ أَبِيهِ)^(١).

وتحدث أيضاً عن جمال النبي موسى الكاتب (لويس جينزبرغ) Louis Ginzber مؤلف كتاب (أساطير اليهود) The Legends of the Jews قال: (بسبب جماله غير العادي، لم تسمح له بالخروج من القصر مطلقاً. فمن كان ينظر إليه، لم يستطع أن يتوقف عن ذلك، لذلك خافت بيثيا) الاسم المفترض لابنة فرعون التي وجدت موسى في الماء (أن تتركه بعيداً عن أنظارها. أما بالنسبة لجماله، فقد كان جذاباً لدرجة أن من يقابلونه أثناء حمله في الطريق يضطرون إلى الالتفات والتحديق في وجهه. كانوا يتركون ما تجمعوا حوله، ويقفون ساكنين لفترة طويلة، يمعنون فيه، لأن جمال الطفل كان عجباً لدرجة أنه كان يلفت نظر المتفرج.

وعلى الرغم من هذا الوصف الذي يؤكد جمال صورته الخارجية، إلا أن بعض المصادر التراثية اليهودية تتحدث عن أن الانطباع الذي يتركه عند مَنْ يراه -لما كبر سناً وخرج من مصر مع بني إسرائيل- انطباعٌ سلبي بكل ما للكلمة من معنى!

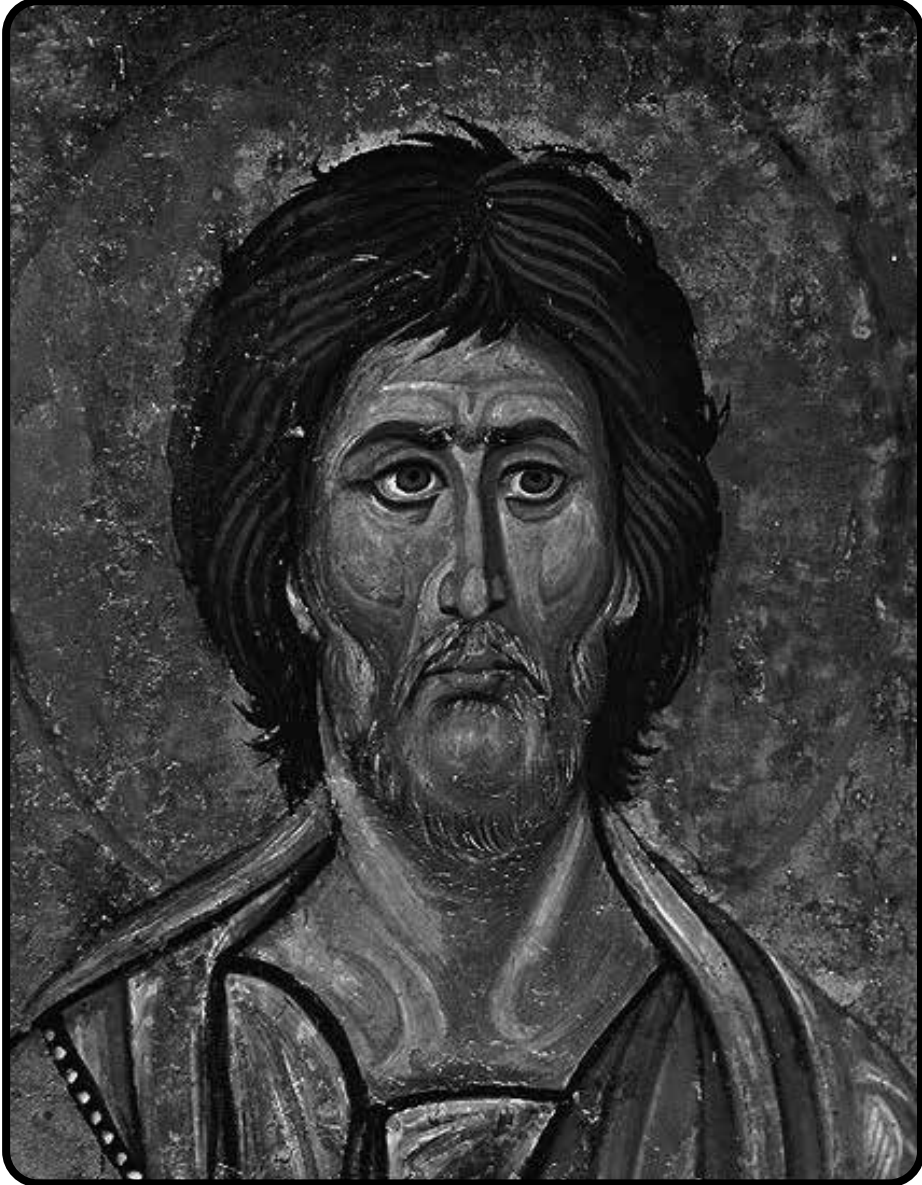
ويدلّ على ذلك أن ملكاً عربياً أرسل فناناً إلى موسى ليرسم صورته، حتى تكون صورة هذا الإنسان الإلهي حاضرة أمامه على الدوام. عاد الرسام بلوحته، وجمع الملك الحكماء، وخاصة أولئك الذين كانوا على دراية بعلم الفراسة، ثم عرض عليهم اللوحة، ودعاهم إلى الحكم عليها. كان الرأي -بالإجماع- أنها تصوّر رجلاً طماعاً، متغطرساً، شهوانياً، وباختصار، إنساناً مشوهاً بكل الصفات القبيحة الممكنة. غضب الملك لهذا الحكم الذي أصدره وهم الذين يدّعون أنهم أسياد علم الفراسة، فكيف يمكن

١. الكتاب المقدس: العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٧: ٢٠.

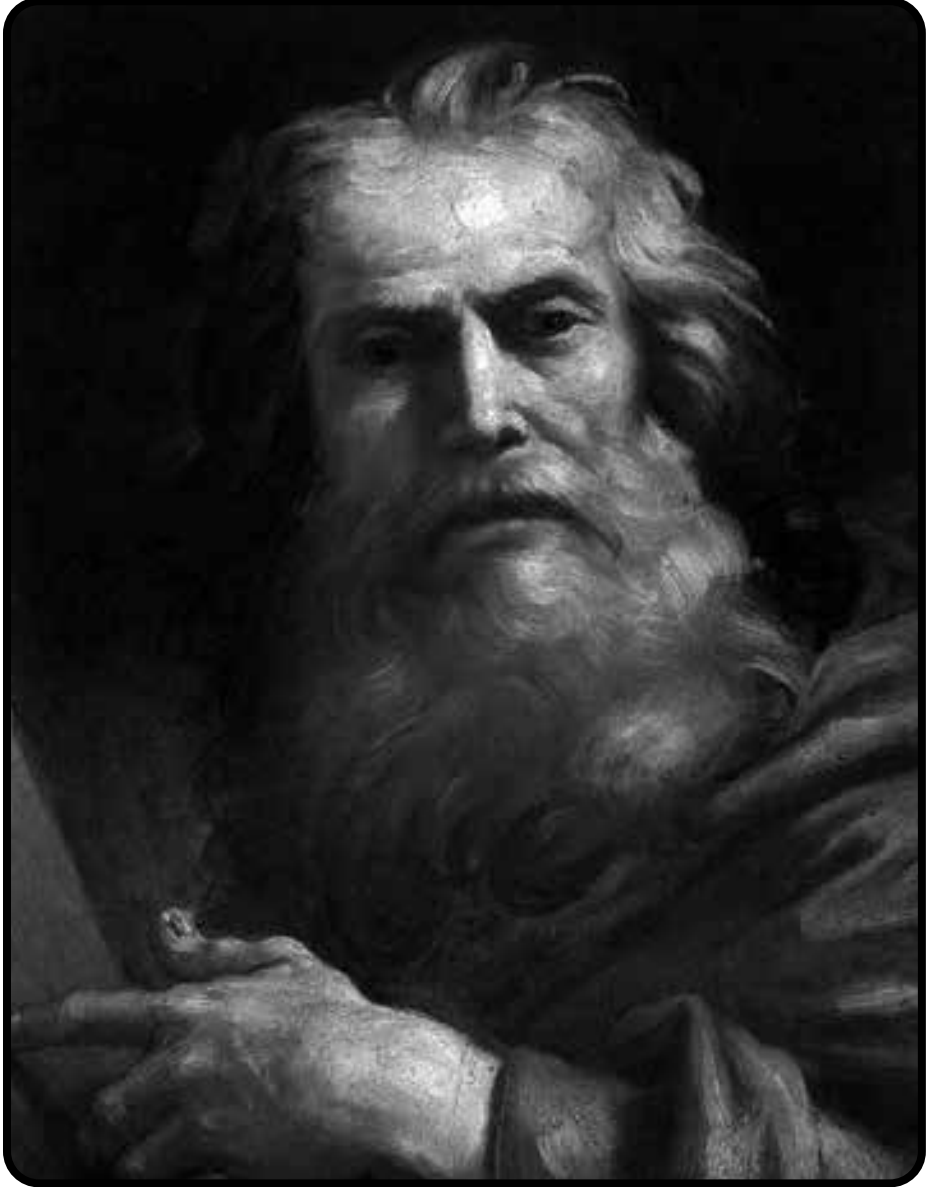
أن يحكموا على صورة الرجل المقدس والإلهي -موسى- بأنها صورة رجل شرير؟! دافع الحكماء عن أنفسهم بآتهام الفنان بأنه فشل في تقديم لوحةٍ تعبّر عن الصورة الحقيقية لموسى، بينما أصر الفنان على أن عمله يشبه الأصل إلى حد كبير.

وإذ عجز الملك عن تحديد مَنْ المُحقّ مِنَ الطرفين، ذهب بنفسه لرؤية موسى، وعندها، لم يسعه إلا أن يعترف بأن اللوحة كانت بالفعل تحفة فنية، لأن موسى الذي رآه بلحمه ودمه، هو ذات الشخص الظاهر في اللوحة، ومن هنا، فقد اعتبر الملك العربي -ومن دون شك- أنّ الحكماء هم الذين أخطأوا الحكم حين قدّموا ذلك الانطباع السلبي، وأن كلامهم كان مجرد هراء.

أخبر الملك موسى بما جرى، فردّ عليه قائلاً: رسّامك وخبرائك، كلهم -على حد سواء- سادة، كلّ في مجاله، فإذا كانت صفاتي الجميلة من نتاج الطبيعة، فلن أكون حينها أفضل من جذع خشبي حافظ على هيئته إلى الأبد كما أنتجت الطبيعة في البداية. أعتز لك أنني امتلكت بطبيعتي كل الصفات البغيضة التي قرأها حكماءك في لوحتي ونسبوها إليّ، ولربما بدرجة أكبر حتى مما يعتقدون، لكنني سيطرت على دوافعي الشريرة بإرادتي القوية، وأصبحت ما أنا عليه من خلال التزامي الشديد بالتقوى ومخالفة النوازع الشخصية التي ولدت بها. ومن خلال هذا التغيير الذي أحدثته بمجهودي الخاص، اكتسبت الشرف والثناء على الأرض، وكذلك في السماء^(١) [انظر اللوحات ٤-١٣].



اللوحة رقم ٤ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى
من المحتمل أنها من إنتاج رسام فرنسي من الصليبيين (القرن ١٣ م)



اللوحة رقم ٥ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى من إنتاج
المدرسة البولونية الإيطالية (القرنان ١٦-١٧م) Bolognese School



اللوحة رقم ٦ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى والألواح
لفنان هولندي غير معروف، واللوحة تعود إلى بدايات القرن السابع عشر



اللوحة رقم ٧ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى رسمت سنة ١٦٤٥م.
اللوحة جزء من مجموعة فنية يُحتَفَظ بها في شمال روسيا.



اللوحة رقم ٨ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى
للفنان الفلمنكي جاكوب جوردانز (ت ١٦٧٨م) Jacob Jordaens



اللوحة رقم ٩ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى مع هارون وحُور، للفنان
الإنجليزي جون إيفريت ميليه (ت ١٨٩٦م) John Everett Millais



اللوحة رقم ١٠ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى للفنان الأمريكي الأفريقي
الأصل أرثيلوبيك (ت ٢٠٠٤م) Arthello Beck Jr

في عموم اللوحات الفنية والمنحوتات عبر العصور واختلاف البيئات الجغرافية والثقافات، نلاحظ تباين تصوّر الفنانين لسمات النبي موسى وملاحمه، لتتراوح بين الملامح الأفريقية السمراء كما في هذه اللوحة، واللامح الأوروبية والغربية والشرقية بالبشرة البيضاء والعيون الفاتحة اللون والشعر المائل إلى الأشقر أو البني، والمسترسل أيضاً بشكل يبتعد عن التصرّو الواقعي لهوية هذا النبي الكريم المنتمي لبني إسرائيل الساميين، وصاحب بشرة سمراء كانت آية من آياته أن يتغير لون بشرة يده إلى الأبيض باتفاق التوراة والقرآن الكريم.



اللوحة رقم ١١ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى ويده الألواح
للفنان الكندي المعاصر جيرارد كرافجك Gerard Kravchuk



اللوحة رقم ١٢ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى والوصايا العشر للفنان

الفرنسي المعاصر زاديك Zadik



اللوحة رقم ١٣ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى عند ماء مدين
للفنان الفرنسي جيمس جاكوس جوزيف تيسوت (ت ١٩٠٢م)

• موسى ذو القرنين!

من السمات الغربية لبعض لوحات الفنانين الأوروبيين في العصور الوسطى وعصر النهضة للنبي موسى (ع) ومنحوتاته، أنها صورتها (ع) بقرنين، وبما يُشبه إلى حد كبير المنحوتات القديمة لآلهة يونانية ورومانية ظهرت بقرنين [انظر اللوحات ١٠-١٥].

ويعتقد عدد من أهل الاختصاص أنَّ السبب في هذا التصور عن النبي موسى ناتج عن خطأ في ترجمة الكتاب المقدس، وهي الترجمة المعروفة باسم الفولغاتا Vulgate، والتي تمت في بداية القرن الخامس الميلادي، حيث تُرجمت النصوص من اللغة العبرية إلى اللغة اللاتينية في سنة ٣٨٢ م وذلك على يد القديس جيروم (ت ٤٢٠ م) Jerome بتكليف من البابا (دماسوس الأول) Pope Damasus I، ومن خلال مراجعة الترجمات اللاتينية القديمة، وأصبحت هذه الترجمة هي النص الرسمي المقبول في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

والخطأ ناشئ من ترجمة النص التالي: (وَكَانَ لَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سَيْنَاءَ وَلَوْحًا الشَّهَادَةِ فِي يَدِ مُوسَى، عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ، أَنَّ مُوسَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلَامِهِ مَعَهُ. فَنَظَرَ هَارُونَ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ، فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ)^(١) بحيث تُرجمت كلمة (يَلْمَعُ) للإشارة إلى حالة نوارنية إلى (مُقرن) أي لديه قرن، والنص بالعبرية كالتالي: ويهي بردت مשה ماهر סיני ושני לחת העדת ביד-משה بردתו מן-ההר ומשה לא-ידע כי קרן עור פניו בדברו אתו. וירא אהרן وكل-בני ישראל את-משה והנה קרן עור פניו וייראו מגשת אליו.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣٤: ٢٩-٣٠.

فكلمة ١٦٣ وتُلفظ (كُرن) Qurn تُرجمت إلى ما يعني (قرن) بدلاً عن (لامع/مُشع/نوراني)... هكذا فهمها المترجم جيروم، وهكذا انتقلت إلى تصوّر عدد من الفنانين الأوربيين لاحقاً، فصوّروا موسى (ع) بقرنين! ويرى البعض أنّ من الممكن أن يكون هذا أكثر من مجرّد خطأ بسيط في الترجمة، وأن الأمر لا يقتصر على الوسط المسيحي فحسب، إذ كان ضمن يهود ذلك العصر من اعتقدوا بالفعل أنه ظهر لموسى قرنان بعد ذلك اللقاء مع الله سبحانه، إذ توجد في البين عدد من الابتهالات الدينية (الأناشيد) المدوّنة في ذلك العصر تقريباً واشتملت على ذات التصرّور، ومن بينها ابتهاال (أنشودة) باللغة الآرامية بعنوان (الرب طأطأ السماء إلى سيناء)، والتي وجدت طريقها إلى عدد من كتب الدعاء والصلاة اليهودية في أوروبا الشرقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حول لقاء الله مع موسى في سيناء، وتتضمّن عبارة (لقد وضعتُ قرون العظمة على رأسك حتى إذا اقترب ملكك، فستنتطحه بها). في أنشودة أخرى باللغة العبرية تعود إلى القرن التاسع، نجد موسى يهزأ بالملائكة قائلاً: (لن أنزل، لن أنزل، حتى أثبت أنني بطل، حتى أنطح أجسادكم بِقُرُوني). من الواضح -إذاً- أنّ بعض اليهود على الأقل اعتقدوا أن لموسى قُرُوناً، لكن من المحتمل أن تكون هذه الفكرة حاصلة بسبب ترجمة متأخرة زمنياً، ولم يكن هذا المضمون معروفاً عند أسلافهم، كما ومن المحتمل -بحسب بعض الباحثين- أنّ للفكرة علاقة بمعتقد قديم للوثنيين يربط بين بعض الآلهة وصورة الثور والعجل والبقرة، وبالتالي بين حالة من الألوهية وامتلاك قرنين، بحيث تغلغل هذا المعتقد إلى اليهود من خلال تأثرهم به. وحيث تمّ تصحيح الترجمة وتغييرها بعد عصور، تمّ استبدال القرنين في اللوحات والمنحوتات الفنية اللاحقة إلى ما يمثل شعاعين من نور [انظر اللوحات ١٤-٢٣].



اللوحة رقم ١٤ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى بقرنين مع الثعبان النحاسي
مرسومة في نسخة للكتاب المقدس تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي

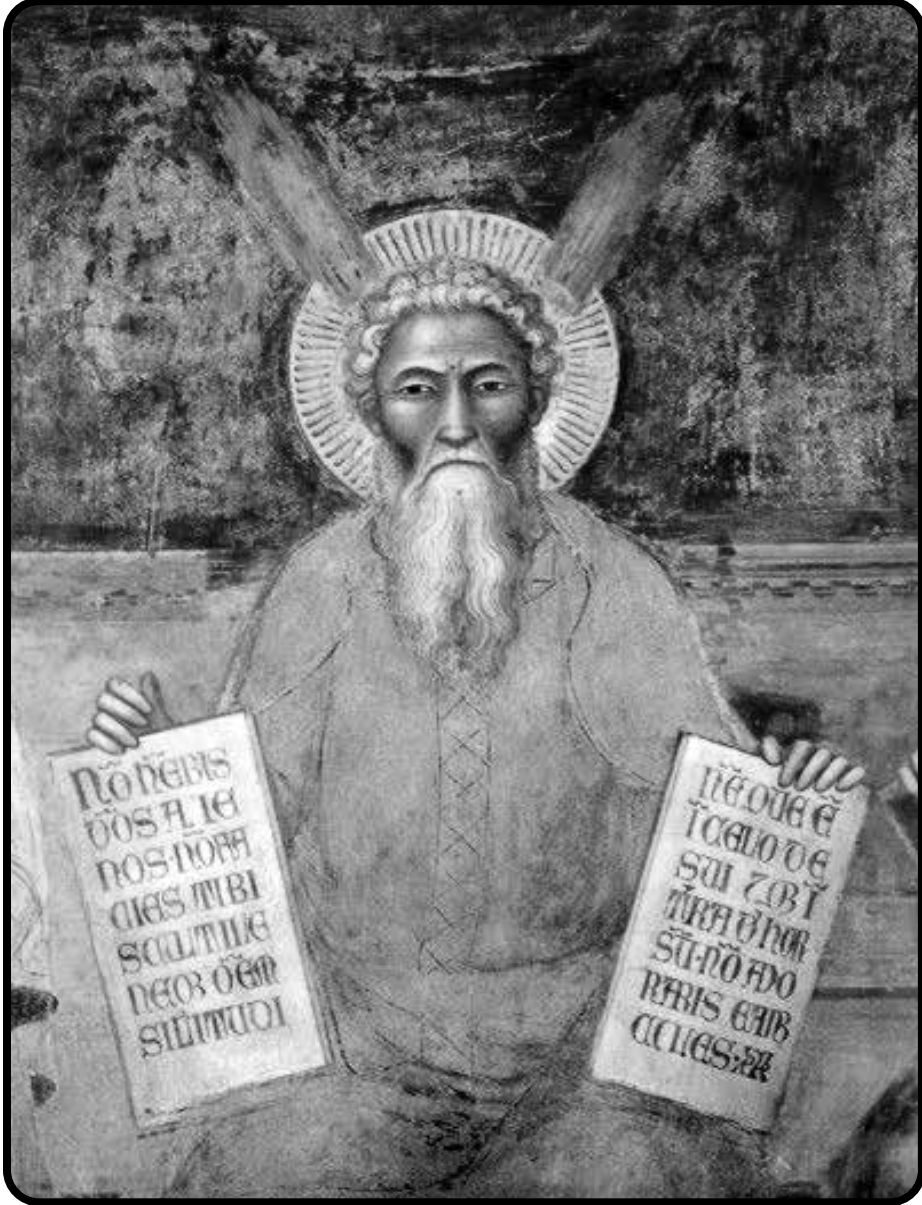


اللوحة رقم ١٥ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى بقرنين مع الشعب النحاسي
مرسومة في نسخة للكتاب المقدس من تنفيذ الراهب الفرنسي جويارت ديس
مولينس (ت ١٣٢٢ م) Guyart des Moulins

واللوحة تمثل قصة واردة في الإصحاح ٢١ من سفر العدد من التوراة، الآيات (٥-٩):
(وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي
الْبَرِّيَّةِ؟ لَأَنَّهُ لَا خُبْزَ وَلَا مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ». فَأَرْسَلَ الرَّبُّ
عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتْ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى
الشَّعْبُ إِلَى مُوسَى وَقَالُوا: «قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلَّمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ، فَصَلِّ إِلَى الرَّبِّ
لِيَرْفَعَ عَنَّا الْحَيَّاتِ». فَصَلَّى مُوسَى لِأَجْلِ الشَّعْبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةَ
مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَأْيَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدَّغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ
وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةً إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا).



اللوحة رقم ١٦ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى والألواح، ضمن كتاب يعود إلى القرون الوسطى، ويظهر فيها النبي موسى بقرنين



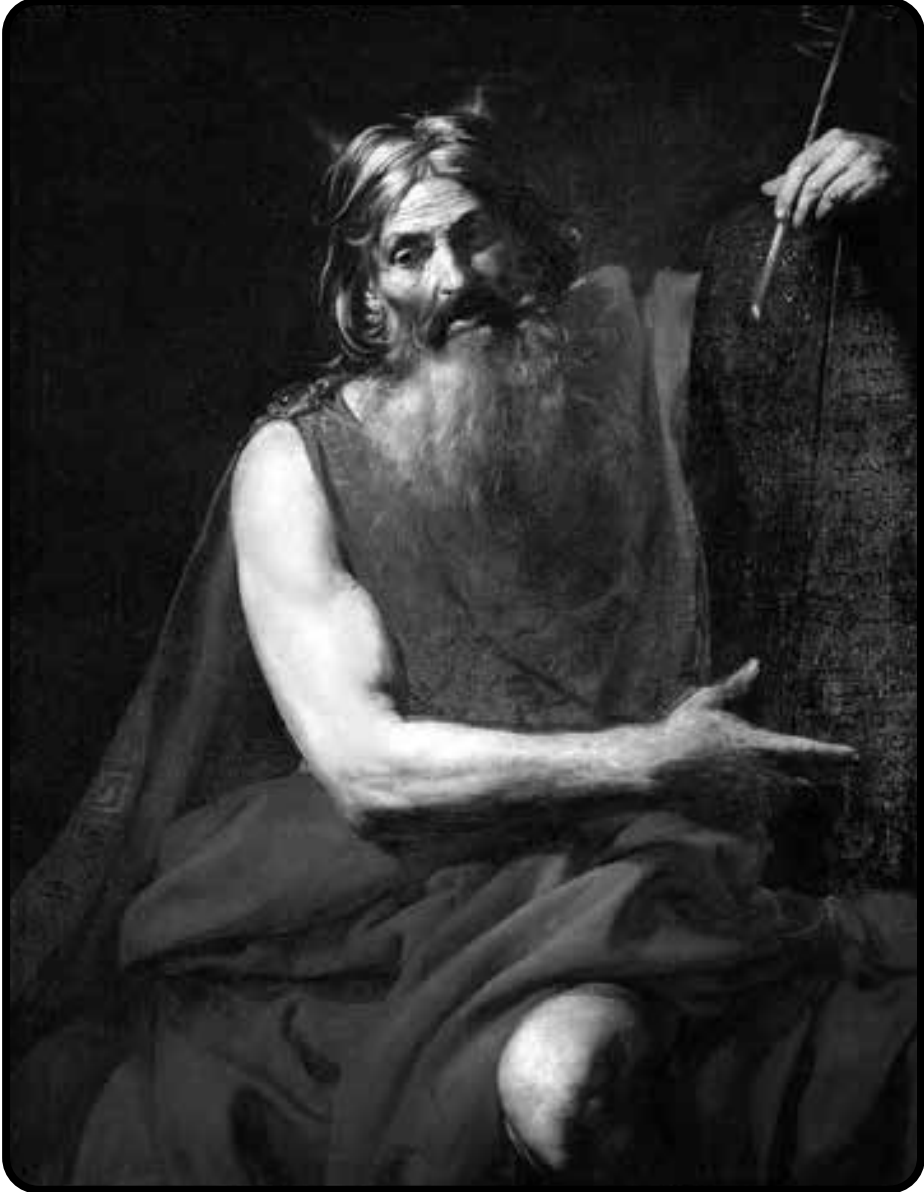
اللوحة رقم ١٧ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى والألواح، للفنان الإيطالي
أندريا دي بونايتو (ت ١٣٧٧ م) Andrea di Bonaiuto



اللوحة رقم ١٨ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى (بقرنين) والوصايا العشر،
للفنان الأسباني جون ركساش (ت ١٤٨٢ م) Juan Rexach



اللوحة رقم ١٩ : منحوتة فنية تخيلية للنبي موسى بقرنين
للفنان الإيطالي ميكيلانجلو (ت ١٥٦٤م) Michelangelo Buonarroti



اللوحة رقم ٢٠ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى، للفنان الفرنسي فالنتين دي بولونيا (ت ١٦٣٢م) Valentin de Boulogne ويظهر بشعاعين صغيرين



اللوحة رقم ٢١ : لوحة فنية للنبي موسى للفنان الأسباني-الإيطالي خوسيه دي ريبيرا (ت ١٦٥٢ م) José de Ribera ويظهر بشعاعين بدلاً عن القرنين



المجسم رقم ٢٢ : منحوتة فنية تخيلية للنبي موسى والتوراة
في روما - إيطاليا (١٨٥٧ م) ويظهر بشعاعين شبيهين بقرنين



اللوحة رقم ٢٣ : لوحة فنية تخيلية للنبي موسى متكئاً على هارون وحُور،
 للفنان الويلزي توماس بريستوك (ت ١٨٨٢ م) Thomas Brigstocke
 من الواضح في هذه اللوحة ولوحات ومنحوتات أخرى، أنه تم تعديل الخلل الذي
 كان يظهر في بعض اللوحات الفنية الأوروبية القديمة حيث كان يُصوّر النبي
 موسى بقرنين، نتيجة الخطأ في ترجمة نص التوراة من العبرية إلى اللاتينية، ولعوامل
 أخرى. ولذا نجده بات يُصوّر في عصور متأخرة بشعاعين من نور بدلاً عن القرنين
 كما في هذه اللوحة وذلك بعد أن بات الكتاب المقدس مترجماً بعدة ترجمات في
 متناول الناس، بما في ذلك الفنانين أنفسهم.

• في روايات المسلمين:

أما في التراث التاريخي والروائي الإسلامي فنجد نصوصاً متعدّدة تصف النبي موسى «عليه السلام» كالتالي:

١. عن ابن عمر قال: (قال النبي [ص] رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم، جسيم، سبط، كأنه من رجال الزُّط)^(١).

(آدم)، أي: به سُمرَةٌ في اللَّون، (جسيم)، أي: طويل، (سبط)، شعر مسترسل ناعم ليس فيه انثناء، بخلاف الجعد، (كأنه من رجال الزُّط)، قيل أنهم العجر الأصليون، وموطنهم الأصلي نواحي الهند والباكستان، وقد وُصفوا بأنهم طوال الأجساد مع نحافة.

٢. عن ابن عباس قال: (قال رسول الله [ص]: مررت ليلة أُسري بي على موسى بن عمران [ع]، رجلٌ آدم، طوال، جعد، كأنه من رجال شُوءة)^(٢) (شُوءة) أزد شُوءة أو شُوءة: اسم لمجموعة من القبائل العربية تنتمي إلى الأزد، وهم معروفون بالطول.

٣. عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله [ص]: حين أُسري بي، لقيت موسى، قال: فَتَعَتَهُ، فإذا رجلٌ -حَسْبَتْهُ قال-: مُضْطَرَبٌّ، رَجُلُ الرَّأْسِ، كأنه من رجال شُوءة)^(٣).

(مضطرب): طويل، غير الشديد في طوله. (رَجُلُ الرَّأْسِ) شعره فوق المسترسل ودون الجعد. ولنلاحظ أن أبا هريرة بحسب هذه الرواية غير متأكد من أن هذا هو كلام النبي «صلى الله عليه وآله» على وجه الدقة.

١. صحيح البخاري، ح ٣٢٥٥.

٢. صحيح مسلم، ح ١٦٥.

٣. المباركفوري: تحفة الأحوذى، ح ٣١٣٠.

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن بشرته لم تكن بيضاء، حيث قال الله «سبحانه» و«تعالى»: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾^(١)، وقال «سبحانه»: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾^(٢)، ولا بد أن سمرة لم تكن قريبة من البشرة البيضاء وإلا لم يكن التغير واضحاً للناس خاصة مع بُعد المسافة، وهو ما يدل على أن سمرة تميل إلى الشدة إن لم تكن شديدة.

وعلى الرغم من اتفاق الروايات الثلاث على اتصاف النبي موسى «عليه السلام» بالسُمرَة والطول، إلا أن بينها اضطراباً واضحاً في وصف شعر النبي موسى «عليه السلام»، إذ تراوح الوصف بين السبط (الناعم المسترسل) والجعد (على الضد من السبط) والرجل (بين السبط والجعد)، فبأيها نأخذ؟

وأسجل هنا التحقق على ما جاء في باب معراج النبي «صلى الله عليه وآله» من روايات كما بيّنت ذلك في الجزء الثاني من كتابي (في عمق التاريخ)، فراجع.

٤. وفي تاريخ الطبري عن السدي: (وكان موسى «عليه السلام» رجلاً آدم أفنى جعداً طوالاً)^(٣).

(أفنى) صفة للأنف وتعني ارتفاع وسط قصبته وضيق منخرية.

٥. وقال الثعلبي: (قال كعب الأحبار: ... وكان موسى بن عمران نبي الله رجلاً آدم، جعداً، طويلاً، كأنه من رجال أزد شنوءة، وكان بلسانه عقدة ثقل، وكانت فيه سرعة وعجلة، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء)^(٤).

١. طه : ٢٢.

٢. الشعراء: ٣٣.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٢٨٤.

٤. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٠٨.

صفاته الخلقية

أضاف كعب الأحبار صفة رابعة، تتمثل في الشامة على لسان النبي موسى «عليه السلام». ولا أستبعد أن تكون هذه المقولة لكعب أحبار اليهود التي نفذت إلى التراث الإسلامي باسم ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة ثم نسبت للنبي «صلى الله عليه وآله»، كما تغلغلت إلى التراث الإمامي أيضاً بنفس الطريقة، وهو أمرٌ تكرر معنا في بحوث عديدة ضمن قصص الأنبياء «عليه السلام»، وبيّنت عدداً من مواردها في كتي (ميثولوجيا الخضر) (في عمق التاريخ) (أبو الأنبياء) (المسيح عيسى ابن مريم).

وأما المصادر الروائية الإمامية فلم تبتعد عن المرويات السابقة، ففي قصص الأنبياء للراوندي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: (قال رسول الله [ص]: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم، فأما موسى فرجل طوال، سبط، يشبه رجال الزط، ورجال أهل شبوة...) (١).

وقد بيّنت في كتاب (في عمق التاريخ) رأي بعض أهل التحقيق في قصص الأنبياء للراوندي، وأنه غير مسند ومليء بالمرويات الغريبة والضعيفة والمرسلة.

وروى الشيخ الصدوق في (كمال الدين وتمام النعمة) عن الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو سعيد سهل بن زياد الآدي الرازي قال: حدثنا محمد بن آدم النسائي، عن أبيه آدم بن أبي إياس قال: حدثنا المبارك بن فضالة عن سعيد بن جبير، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله [ص]: (لما حضرت يوسف [ع] الوفاة، جمع شيعته وأهل

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١١.

بيته، فحمد الله وأثنى عليه ثم حدثهم بشدة تنالهم، يُقتل فيها الرجال، وتُشقّ بطون الحبالى، وتُذبح الأطفال، حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب) أي النبي موسى (وهو رجل أسمر طوال، ونعته لهم بنعته...) ^(١)، والرواية ضعيفة السند بأكثر من راوٍ.

وفي ذات المصدر رواية أخرى رواها الصدوق عن أبيه ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنهما قالاً: حدثنا سعد بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر الحميري، ومحمد بن يحيى العطار، وأحمد ابن إدريس جميعاً قالوا: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن أبان بن عثمان، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (إن يوسف ابن يعقوب صلوات الله عليهما حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران «عليه السلام»، غلام طوال، جعد، آدم. فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى). ^(٢).

والرواية معتبرة السند، فإن صحّ صدورها عن الإمام الصادق «عليه السلام»، فقد حدّد من خلالها ثلاثة معالم متفقة مع رواية ابن عباس. ولا بد أن أوضح هنا أن اعتبار السند لا عني بالضرورة حتمية صدور الكلام عن الإمام «عليه السلام»، فهناك عدة عوامل تُبقي الرواية في إطار الظن، وذلك من قبيل احتمالية التزوير في الكتب والمصادر، وتزوير سند الرواية، وانقطاع سند الكتاب نفسه، وغيرها.

١. الصدوق: كمال الدين، ج ١، ص ١٧٣.

٢. الصدوق: كمال الدين، ج ١، ص ١٧٣.

وفي تفسير القمي، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله «عليه السلام» -الإمام الصادق- في خبر المعراج عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (... ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل كأنه من شبوة) وفي نسخة [من شعر] (ولو أن عليه قميصين لنفذ شعره فيهما، وسمعته يقول: يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم ولد آدم على الله، وهذا رجل أكرم على الله مني، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال أخوك موسى بن عمران...) (١).

ونجد هنا إضافة لصفاته الجسدية، وهي كثرة وكثافة شعره. وقد بيّنت من قبل أن تفسير القمي المتوفر حالياً بأيدي الناس لم يثبت أنه متطبق مع ما كتبه المؤلف، بل من المؤكد أنه يشتمل على كتاب آخر. ومن أحب الاطلاع على المزيد فليراجع الجزء الأول من كتابي (في عمق التاريخ).

• نتائج الفصل و خلاصته:

- لم يرد في القرآن الكريم ما يخص الوصف الجسماني للنبي موسى إلا في ما يخص لون بشرته، وأما قوته الجسدية الاستثنائية فلا دليل عليها.
- بالغت النصوص الكتابية خارج إطار التوراة في صفاته الجسدية، وأحياناً إلى حدٍّ مستهجن، وقد أثرت بعض هذه المعطيات على ما جاء في التراث الإسلامي الروائي.
- لا دليل على صحة ما جاء في قصة الرسام العربي الذي رسم النبي موسى حال حياته بأمر من أحد الملوك العرب، وهي تسع إلى شخصه وإن بدت في خواتيمها كما لو كانت ذات هدف معنوي.

١. القمي: تفسير القمي، ج ٢، ص ٩.

○ فشل الكثير من الفنانين الغربيين - القدماء منهم والمعاصرين - في تقديم صورة مقبولة ومنطقية عن النبي موسى من خلال لوحاتهم ومجسماتهم، وكان ذلك ناتجاً عن قصورهم المعرفي، ولربما بسبب عنصرية بعضهم للعرق الأبيض، فصوّروه في هيئة الأوربيين، من حيث الملامح ولون البشرة والشعر.

○ ظهر النبي موسى في العديد من اللوحات والمجسمات الغربية وله قرنان في رأسه، وكان لإحدى الترجمات القديمة للتوراة دور في ذلك، حيث فهم منها ظهور قرنين لموسى بعد أن لاقى الله وكلمه، ويرى البعض أن نصوصاً يهودية سبقت هذه الترجمة تدلّ على أن تصوّر موسى بقرنين كان راسخاً عند بعض المجتمعات اليهودية.

التحديد الزمني

التحديد الزمني

• موضوعات هذا الفصل:

- عرض تاريخي مختصر للتاريخ السياسي لمصر ومن حكمها من المصريين وغيرهم كالهكسوس والآشوريين والفرس واليونانوس والرومان.
- استعراض لأهم وجهات النظر المختلفة التي طرحها الباحثون حول تحديد هوية الحاكم المعاصر في مصر للنبي موسى، فرعون النبي موسى.
- استخلاص مجموعة من المعايير القرآنية التي يمكنها أن تساعد في محاولة تحديد شخصية فرعون بعد أن غاب اسمه عن النصين القرآني والتوراتي، وتقليص دائرة الاحتمالات من خلال هذه المعايير، ومن ثم تقريب السنة التي وُلد فيها موسى.
- عرض ونقد الرأي القائل بأن فرعون كان من الهكسوس المحتلين لمصر، ولم يكن من أهل مصر، مع بعض المعلومات الخاصة بالهكسوس ومن أين جاءوا، وكيف سيطروا على مصر، ومدة سيطرتهم عليها.

• صعوبات متعددة:

تحديد العصر الذي عاش فيه النبي موسى «عليه السلام»، ومن ثم تحديد شخصية فرعون المذكور في القرآن الكريم، يعتبر من الأمور التي تمثل تحدياً كبيراً لكل من يبحث في سيرته «عليه السلام»، ليس في الوسط الإسلامي فحسب، بل عند اليهود والمسيحيين أيضاً. بل ربما تكون المسألة أكثر تعقيداً عندهم، بلحاظ تعدد الحكام الذين عاصروهم «عليه السلام» بحسب النص التوراتي.

فالقرآن الكريم لم يذكر اسم فرعون، كما لم تفعل التوراة ذلك، كما لم يُعط أيُّ من المصدرين مؤشراً واضحاً يساعد على تحديد هذا الحاكم/الحكام.

وفي المقابل، فإن الدراسات التاريخية والآثرية الخاصة بحكام مصر منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة قد نضجت كثيراً خلال القرن ونصف القرن الماضيين، وصارت سلسلة الأسماء شبه كاملة. بل وقد تم جمع كم من المعلومات التاريخية الخاصة بعدد من الحكام، من قبيل أسمائهم الحقيقية ومعناها، وانتمائها الأسري، وترتيبها في سلسلة حكام الأسرة التي ينتمي إليها كل حاكم، وعمره حين وفاته، وغير ذلك.

كما انفتح باب البحوث التاريخية والآثرية المصرية على مصراعيه، وتكاثرت المعطيات والتفاصيل الناتجة عن ترجمة النصوص الهيروغليفية للعصور المصرية المختلفة.

وحيث يخلو التاريخ عادة من العناية بسيرة الرسل والأنبياء «عليهم السلام» والمصلحين لذا فإن تحديد عصرهم وأسماء الحكام الذين عاصروهم يغدو أمراً غير محسوم، ومنوطاً بالتحليل والتخمين.

كما وغابت من المتون التاريخية المصرية النصوص (الجلية) التي تتحدث عن النبي موسى «عليه السلام»، أو الأحداث الجسام التي عاصرها وتضمّنت الآيات الأرضية والسمائية وموت فرعون غرقاً وما إلى ذلك.

• مؤلفات وآراء متضاربة:

وفي العصر الحديث، تم تأليف عدة كتب بالعربية والإنجليزية تصب في اتجاه محاولة تحديد عصر النبي موسى وشخصية الحاكم/الحكام المعاصر له، ومن بينها:

١. فرعون ذو الأوتاد: أحمد سعد الدين
٢. ملوك مصر القديمة: د. محمد راشد
٣. محاكمة فرعون: محمد عبدالرازق جويلي
٤. من هو فرعون موسى: د. محمد فارس الفارس
٥. فرعون موسى: خالد علي نبهان
٦. فرعون موسى من العماليق الهكسوس: د. عبدالله بن سعد العويمري الرشدي
٧. الملك البرئ: محمد أمين العوضي
٨. فرعون موسى: عاطف عزت
٩. موسى وهارون.. من هو فرعون موسى؟: د. رشدي البدرابي
١٠. المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى وفرعون: د. زاهية الدجاني

12. Moses and Akhenaten: Ahmed Osman

13. The Legacy of Moses and Akhenaten: Sheldon L. Lebold

14. Moses and Pharaoh: Philip Quenby

والنتائج المتحصلة من كل كتاب قد تختلف تماماً في نتائجها والأدلة والشواهد التي تتمسك بها.

ولعل أول عنصر في البحث هو حسم ما إذا كان فرعون/الحاكم المذكور في القرآن الكريم والتوراة من المصريين أم من الغزاة المتعارف على تسميتهم بعنوان (الهكسوس).
العنصر الآخر هو حسم تعدد الحكام الذين عاصروهم منذ ولادته «عليه السلام» إلى حين هجرته بمعية بني إسرائيل وعبورهم اليم وغرق فرعون الذي كان يلاحقه أم هو حاكم واحد فقط؟

لا خلاف ولا شبهة في أن العهد الذي عاش فيه النبي موسى «عليه السلام» جاء بعد عهد إبراهيم ويعقوب ويوسف «عليه السلام». بل ونجد القرآن الكريم يصرّح بذلك ضمن أحداث الصراع بين فرعون ومن والاه من جهة، وبين موسى «عليه السلام» وهارون «عليه السلام» من جهة أخرى، قال «سبحانه» على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ... وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾^(١).

• إطلالة على التاريخ السياسي لمصر:

وقبل الاسترسال، لابد من التنبيه إلى مصطلح سيتردد معنا، وهو عنوان (الأُسَر) حيث يقال أن الحاكم الفلاني لمصر كان من الأسرة الرابعة أو الأسرة السادسة وهكذا. والمراد من ذلك قريب من قولنا في بيان تاريخ الدولة الإسلامية: الدولة الأموية، الدولة العباسية، الدولة العثمانية، ففي كل دولة منها عدد من الملوك حكموا بشكل متعاقب، وهم ينحدرون من أسرة محددة، هي آل أمية مثلاً. ولكن ينبغي ملاحظة أن حكام بعض الأسر في تاريخ مصر القديمة قد لا يكونون من أبناء نفس الأسرة على وجه التحديد، بل من قادتها العسكريين مثلاً، أو من أصهارهم مثلاً.

في عصر ما قبل التاريخ -أي قبل التدوين- استقر بعض الناس في وادي النيل، قبل حوالي ٨٠٠٠ سنة، ومارسوا الزراعة والرعي ضمن مجتمعات صغيرة. وبالتدريج تكونت في مصر دولتان، دولة في الشمال (الدلتا)، ودولة في الجنوب (الصعيد). يُطلق على الشمالية (مصر السفلى)، وعلى الجنوبية (مصر العليا). والسبب يعود إلى اتجاه حركة نهر النيل والتي تكون من الجنوب باتجاه البحر الأبيض المتوسط، والأشياء تسقط عادة من الأعلى إلى الأسفل، لذا اتخذوا التسميتين من مسار اتجاه النهر.

ثم في عصر التدوين والكتابة، ما بين سنة ٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م. وحد الملك (مينا) القسمين/القطرين، تحت سلطة مركزية واحدة يرأسها حاكم واحد، ليبدأ العصر الثاني لمصر، وهو العصر (التاريخي)، والذي ينقسم على حكم ٣٠ أسرة ملكية وثلاث دول، تراوحت بين حكومات مركزية قوية وفترات اضمحلال وتفكك، ويمكن إجمالها كالتالي:

العصر العتيق: ويشمل الأسرتين ١، ٢.

الدولة القديمة: وتشمل الأسر من ٣-٦ (حوالي ٢٦٩٠ - ٢١٨٠ ق.م) وهو عصر بناء الأهرام.

وأعقبها عصر الاضمحلال الأول: ويشمل الأسر من ٧-١٠ (حوالي ٢١٨٠ - ٢٠٦٠ ق.م)، فوضى واضطراب وتفكك وتراجع.

الدولة الوسطى: وتشمل الأسر من ١١-١٤ (حوالي ٢٠٦٠ - ١٧١٠ ق.م)، اهتم فيه الملوك بالسياسة الخارجية، وسيطروا على النوبة السفلى، ونفذوا مشروعات ري ضخمة.

ثم جاء عصر الاضمحلال الثاني: ويشمل الأسرات ١٥-١٧ (حوالي ١٧١٠ - ١٥٦٠ ق.م) ووقعت فيه مصر تحت احتلال [الهكسوس]، وتعتبر الأسر ١٥-١٦ من الحكام الغزاة. مع ملاحظة تداخل عصر الأسرة ١٦ من الهكسوس مع ١٧ من المصريين، إلى أن انتهى حكم الغزاة، وعاد الحكم للمصريين من جديد.

الدولة الحديثة: تشمل الأسرات ١٨-٢٠ (حوالي ١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق.م) مدّت مصر سيادتها إلى شمال سوريا وبلاد النهرين وتمددت داخل السودان.

عصر الاضمحلال الثالث: ويشمل الأسر ٢١-٢٥ (حوالي ١٠٨٥ - ٦٦٣ ق.م) حكم فيها البلاد ملوك من أصل ليبي ونوبي. كما غزاها الآشوريون.

ثم ثار المصريون وحرروا البلاد من سيطرة الآشوريين، وتأسست الأسرة ٢٦ (حوالي ٦٦٣ - ٥٢٩ ق.م). ثم استولى الفرس على البلاد، ونجحت بعض الشخصيات القوية في طردهم، ولكنهم عادوا طوال الأسرات ٢٧-٣٠.

وانتهى تاريخ حكام مصر القديمة حين غزا الإسكندر الأكبر مصر وطرد الفرس سنة ٣٣٢ ق.م. ولم تقم بعد ذلك أسرة بحكم مصر، ومن بعد اليونان جاء الرومان، ثم الفتح الإسلامي إلى هذا اليوم.

ما يهمنا كثيراً -لتحديد العصر الذي ولد فيه النبي موسى- هو الاطلاع الإجمالي على أسماء حكام الأسر ١٨ و ١٩، لأن موسى «عليه السلام» عاش -على الأرجح- في هذا العصر ١٥٨٠-١٢٠٠ ق.م. تقريباً. فبعد حرب تحرير البلاد من الهكسوس، دخلت مصر في طور حربي واسع، فبدأ ملوكها الحرب باتجاه آسيا، فسيطروا على أرض كنعان (فلسطين) وسورية حتى وصلوا إلى نهر الفرات، وباتجاه الجنوب في أفريقيا حتى الشلال الرابع في السودان.

أقام ملوك الأسرة ١٩ المعابد الهائلة مثل الكرنك والأقصر، وعاشت البلاد في أزهى مظاهر الرفاهية والفن والعلوم والتجارة. وحيث أن المظنون أن موسى عاصر أحد ملوك الأسرتين ١٨ وأوائل ملوك الأسرة ١٩، لذا سنستعرض أسماء هؤلاء الملوك.

١. أحمس الأول: فترة الحكم ١٥٥٠-١٥٢٥ ق.م.
٢. أمنحتب الأول: فترة الحكم ١٥٢٥-١٥٠٤ ق.م.
٣. تحتمس الأول: فترة الحكم ١٥٠٦-١٤٩٣ ق.م.
٤. تحتمس الثاني: فترة الحكم ١٤٩٣-١٤٨١ ق.م.
٥. حتشبسوت: فترة الحكم ١٤٧٩-١٤٥٨ ق.م. وصية على الملك اللاحق
٦. تحتمس الثالث: فترة الحكم ١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م.

٧. أمنتب الثاني: فترة الحكم ١٤٢٧-١٤٠١ ق.م.
 ٨. تحتبس الرابع: فترة الحكم ١٣٩١-١٤٠١ ق.م.
 ٩. أمنتب الثالث: فترة الحكم ١٣٩١-١٣٥٣ ق.م.
 ١٠. إخناتون: فترة الحكم ١٣٣٦-١٣٥٣ ق.م.
- الأحداث التي أعقبت وفاة إخناتون غير واضحة. الشخصان المدعوان باسم سمنخ (كا رع) و(نفر نفرو آتون) معروفان ولكن مكانتهما ودورهما النسبي في التاريخ لا يزالان موضع نقاش كبير. من المحتمل أن يكون (نفر نفرو آتون) اسم ملكي لنفرتيتي، زوجة إخناتون، كفرعون.
١١. توت عنخ آمون: فترة الحكم ١٣٣٢-١٣٢٣ ق.م.
 ١٢. آي: فترة الحكم ١٣٢٤-١٣٢٠ ق.م.
 ١٣. حور محب: فترة الحكم ١٣١٩-١٢٩٢ ق.م.
- قائمة أسماء أول خمسة ملوك الأسرة ١٩:
١. رمسيس الأول: فترة الحكم ١٢٩٢-١٢٩٠ ق.م.
 ٢. سيتي الأول: فترة الحكم ١٢٩٠-١٢٧٩ ق.م.
 ٣. رمسيس الثاني: فترة الحكم ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م.
 ٤. مرنبتاح: فترة الحكم ١٢١٣-١٢٠٢ ق.م.
 ٥. آمون مسس: فترة الحكم ١٢٠١-١١٩٨.

ومن المحتمل أنه أعقبه ثلاثة حكام أو أقل بفترات حكم قصيرة، ثم جاء عهد ملوك الأسرة ٢٠.

لاحظنا فيما سبق وجود تداخل أو فراغات أحياناً في سنوات حكم بعض الملوك مقارنة بمن سبقهم، وهذا طبيعي، وذلك لعدة أسباب:

١. غياب بعض المعلومات الخاصة بسنوات الحكم، فيكون التحديد تقديرياً.

٢. تنازع الملك بين حاكمين متزامنين.

٣. وصاية الأم على ملك صغير ثم إعلانها ملكاً مستقلاً.

٤. خلافات بين المختصين في تحديد سنوات الحكم لاختلافهم في الدلائل والمؤشرات.

وظهر مؤخراً رأي تبناه عدد من الباحثين المسلمين وغير المسلمين بأن فرعون موسى كان من الهكسوس الغزاة لا من الحكام المصريين، أي كان من الأسرتين ١٥ و ١٦، وتم تأليف عدة كتب في هذا المضمار، وذهب البعض منهم إلى أن (فرعون) اسم لهذا الحاكم وليس لقباً له، وسنناقش هذا بالتدريج.

فأي الحكام السابقين هو فرعون الذي تحدث عنه القرآن الكريم؟

• فرعون واحد أم أكثر؟

نعود الآن لنطرح المعضلة المتعلقة بعدد الحكام المصريين الذين عاصرهم موسى «عليه السلام» منذ ولادته وحتى خروجه من مصر، والاحتمالات الإجمالية المذكورة:

١. فرعون الولادة هو نفسه فرعون الخروج.

٢. فرعون الولادة هو والد فرعون الخروج، إذ عاصر موسى حاكمين بين هذين الحدثين، الأب وابنه.

٣. فرعون الولادة سبق فرعون الخروج في الحكم، دون أن يكون والده، بل من أسرة حاكمة أخرى سابقة.

٤. فرعون الولادة هو جدّ فرعون الخروج، إذ عاصر موسى ٣ حكام بين هذين الحدثين، الجد، وابنه، وابن ابنه.

[انظر اللوحة رقم ٢٤ وفيها جدول حول الاحتمالات المختلفة التي ذكرها الباحثون سعياً منهم لتحديد اسم فرعون -أو الفراعنة- الذين عاصروهم النبي موسى «عليه السلام» من حين ولادته إلى خروجه من مصر].

وقد لاحظت أحياناً أن بعض النتائج والأدلة التي يسوقها الباحثون تواجه أكثر من إشكالية، كما لاحظت التعسف أحياناً في محاولة تكييف الأدلة والشواهد لتأكيد رأي الباحث، وأن الاستدلالات قد تتوافق مع ما جاء في النصوص الدينية من جهة، ولكنها تتعارض معها من جهة أخرى.

وعلى كل حال، أي الاحتمالات هو الأقرب للصحة؟

التوراة الحاضرة، تتحدّث بصراحة وبالنص عن اختلاف فرعون الولادة/التسخير عن فرعون الخروج. فبعد أن عرضت التوراة قصة هرب النبي موسى «عليه السلام» من مصر ولجؤه إلى مدين على إثر قتل الرجل القبطي، قالت: (وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ)^(١) فالذي مات هو فرعون الولادة/التسخير.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ٢٣.

التحديد الزمني

١٤٥

فرعون الخروج				فرعون الاضطهاد				
ت	الاسم/اللقب	الأسرة	الترتيب	حكم ق.م	الاسم/اللقب	الأسرة	الترتيب	حكم ق.م
١	أحمس الأول	١٨	١	١٥٢٥-١٥٥٠	تحتمس الأول	١٨	٣	١٤٩٣-١٥٠٦
٢	تحتمس الأول	١٨	٣	١٤٩٣-١٥٠٦	تحتمس الثاني	١٨	٤	١٤٨١-١٤٩٣
٣	تحتمس الأول	١٨	٣	١٤٩٣-١٥٠٦	أمنحتب الثاني	١٨	٧	١٤٠١-١٤٢٧
٤	تحتمس الثالث	١٨	٦	١٤٢٥-١٤٧٩	أمنحتب الثاني	١٨	٧	١٤٠١-١٤٢٧
٥	أمنحتب الثاني	١٨	٧	١٤٠١-١٤٢٧	أمنحتب الثالث	١٨	٩	١٣٥٣-١٣٩١
٦	تحتمس الرابع	١٨	٨	١٣٩١-١٤٠١	رمسيس الأول	١٩	٢	١٢٧٩-١٢٩٠
٧	أمنحتب الثالث	١٨	٩	١٣٥٣-١٣٩١	رمسيس الثاني	١٩	٣	١٢١٣-١٢٧٩
٨	إخناتون	١٨	١٠	١٣٣٦-١٣٥٣	توت عخ آمون	١٨	١٢	١٣٢٣-١٣٣٢
٩	حور محب	١٨	١٤	١٢٩٢-١٣١٩	رمسيس الثاني	١٩	٣	١٢١٣-١٢٧٩
١٠	سيتي الأول	١٩	٢	١٢٧٩-١٢٩٠	رمسيس الثاني	١٩	٣	١٢١٣-١٢٧٩
١١	رمسيس الثاني	١٩	٣	١٢١٣-١٢٧٩	مرنبتاح	١٩	٤	١٢٠٢-١٢١٣
١٢	رمسيس الثاني	١٩	٣	١٢١٣-١٢٧٩	رمسيس ٣	٢٠	٢	١١٥٥-١١٨٦

اللوحة رقم ٢٤ : جدول للاحتمالات المختلفة لتحديد هوية فرعون موسى

ثم تتحدث التوراة عن بعثة النبي موسى «عليه السلام» وتكليفه بالرسالة: (فَالآنَ هَلُمَّ فَأَرْسِلْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ)^(١) وهذا هو مَنْ يُعرف بعنوان فرعون الخروج. ولكن التوراة في نفس الوقت تخلو من ذكرٍ لاسم فرعوني الولادة والخروج، وتكتفي باللقب (فرعون).

أما من منظور قرآني، فظاهر الآيات القرآنية وحدة شخصية فرعون في هذه القصة بحسب ظاهر السياقات القرآنية، وإن كنا لا نستطيع أن ننفي الاحتمال الآخر جزماً،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ٢٣.

وهو التعدّد، لأن عنوان (فرعون) مجرد لقب للحاكم المصري، كما يقال (كسرى) للحاكم الفارسي، و(قيصر) للحاكم الروماني. وعليه، فإن القرآن الكريم لم يهتم بالتنبيه على تعدّد الحكام، لأنه لا يهتم بمثل هذه التفاصيل التاريخية في مجمل ما عرضه من قصص، فالمهم في القصة القرآنية هو بيان الفعل والموقف ضمن ما يخدم الهدف العام المتمثل في الهداية والاعتبار بقصص وتجارب الماضين، لا الأسماء وتحديد هوية الأفراد. وإذا كان القرآن الكريم لا يُسَعِّفنا -بشكل قاطع- في تحديد هوية مَنْ يُصْطَلَح عليه (فرعون الولادة)، أي الحاكم الذي عاصر ولادة موسى «عليه السلام» بمصر، ويعرف أيضاً بعنوان (فرعون التسخير)، أي الذي سخر بني إسرائيل واستعبدهم واضطهدهم، إلا أن المؤشرات والقرائن تسوقنا إلى القول بوحدة الشخصية على الأظهر، وأن فرعون الولادة هو ذاته فرعون الخروج.

من القرائن على ذلك أن القصة القرآنية بدأت كالتالي: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، ويبدو لي أن القرآن الكريم باستعماله عبارة ﴿بِالْحَقِّ﴾ إنما يشير ضمناً إلى وجود خطأ أو أكثر في القصة المتداولة بين الناس حول ذات الشخصية أو الشخصيات، سواء ما كان منها من مصدر كتابي أو غيره، ونلاحظ ذلك في قوله:

١. ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، حيث يتداول الناس تفاصيل عن القصة تتضمن أن سبب الصراع بينهما كان صراعاً على التقرب إلى

١. القصص: ٣.

٢. المائدة: ٢٧.

أنثى، بينما يؤكد القرآن الكريم أن الأحداث ارتبطت بأمر له علاقة بالتقرب إلى الله «تعالى» وتقديم القرбан الخالص لوجهه.

٢. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾^(١)، وقد ذكرت السورة نفسها الاختلاف الحاصل بين الناس في تحديد عددهم وفي عدد سنين نومهم.

وعليه، فإن الإتيان بهذا الوصف ﴿بِالْحَقِّ﴾ ضمن سرد أحداث قصة موسى «عليه السلام» منذ ولادته إلى رسالته، مؤشر على تصحيح القرآن لأخطاء وقع فيها أهل الكتاب عند تناول تفاصيل سيرته «عليه السلام»، ولا شك أن مصدرهم الأساسي في ذلك هو التوراة الحاضرة. ولربما من بين هذه الأخطاء هو ادعاء تعدد فرعون الذي عاصره موسى «عليه السلام»، وأن موسى بلغ الثمانين من عمره عند تحمله مهام الرسالة ومن ثم الخروج من مصر، ومن المعلوم أن من غير المعهود استمرار حاكم لثمانين سنة في الحكم على أقل تقدير، ولذا فإن الحل يكمن في القول بتعدد الحكام الذين عاصروهم موسى «عليه السلام». أما في القصة القرآنية، فلا حديث عن تحديد عمر موسى «عليه السلام» عند الخروج.

يضاف إلى ما سبق أن السياق العام للقصة وتسلسل الأحداث يرشد إلى وحدة الحاكم الذي التفت في حضرته موسى «عليه السلام» مع الحاكم الذي دخل في صراع رسالي معه إلى أن انتهت المواجهة بالغرق، لاسيما بلحاظ ارتباط شخصية المسئول الكبير (هامان) الذي كان الجند يأترون بأمره كما يأترون بأمر فرعون:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾^(١)، وتحميله مسؤولية الجرائم التي ارتكبت في ذلك العهد بجانب تحميلها لفرعون: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٢).

وقصة موسى «عليه السلام» وفرعون ضمن آيات سورة القصص بدأت بهذه الصورة، ثم تستعرض قصة الولادة ثم قتل موسى لعدوه وهروبه إلى مدين ثم عودته إلى مصر وتبليغه الرسالة لفرعون بأمر من الله «سبحانه» إلى آخر الأحداث. هذا السياق مع ما جاء في السياقات القرآنية الأخرى كما في سورة غافر والعنكبوت وطه والشعراء وغيرها تُرشد إلى وحدة شخصية فرعون منذ ولادة موسى واضطهاد بني إسرائيل، إلى عودة موسى إلى مصر ومن ثم الخروج منها وغرق فرعون. واستمرار ظهور هامان في سياق الأحداث بعد عودة موسى «عليه السلام» من مدين وبدء رسالته مؤشراً آخر:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).
﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾^(٤).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾^(٥).

١. القصص: ٨.

٢. القصص: ٦.

٣. القصص: ٣٨.

٤. العنكبوت: ٣٩.

٥. غافر: ٢٣-٢٤.

فوجود هامان إلى جانب فرعون منذ بداية سرد القصة إلى نهايتها تقريباً يرشد -ولو بشكل غير قاطع- إلى وحدة شخصية فرعون دون التعدد، فلو افترضنا وجود هامان كمستول في الدولة عند ولادة موسى ثم بقاءه في وظيفته لمدة ثمانين سنة، فإن ذات الإشكالية التي طرحناها بخصوص فرعون تترتب هنا أيضاً.

ولذا يمكن القول أننا غير مضطرين للقول بتعدد فرعون في هذه القصة، لأننا لا نملك دليلاً على أن عمر موسى قد تقدم كثيراً عند الخروج بحيث يصعب معه فرض وحدة فرعون.

وإذا قلنا أن قوله «تعالى» بحق موسى «عليه السلام»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾^(١)، يرشد إلى بلوغه سن العشرين تقريباً، ثم بقاءه في مدين قرابة العشر سنين، فهذا يعني أنه عاد إلى مصر وقد بلغ الثلاثين، أي أننا نبحت عن حاكم لمصر استمر حكمه لثلاثين سنة على أقل التقادير، وهذا يجعلنا نستبعد الحكام الذين لم يستمروا لفترة تقل عن ذلك كتوت عنخ آمون الذي استمر في الحكم ١٢ سنة مثلاً، بل وكان في بدايتها طفلاً صغيراً. أما إذا التزمنا بتعدد الحكام، ويسن الثمانين لموسى «عليه السلام» عند الخروج من مصر، فهذا يُدخل توت عنخ آمون في قائمة الاحتمالات، على اعتبار أنه فرعون الخروج، لاسيما بلحاظ موته الغامض والمفاجئ وهو في ريعان الشباب، ووجود كسرين اكتُشفا عند دراسة موميائه، وذلك في كل من جمجمته، وفخذه، ولأسباب مجهولة لم يذكرها التاريخ، بما قد يُفسر على أنهما حدثا عند غرقه وارتطامه بالصخور مثلاً، أو بالعربة التي كان يركبها، وإن كان تعرّض أي حاكم للاغتيال بعنف قد يؤدي إلى ذلك أيضاً.

• المعايير القرآنية لتحديد هوية فرعون:

أما المعايير المستخلصة من القرآن الكريم والتي يمكنها أن تساعدنا في تقريب الاحتمالات لتحديد هوية فرعون المعاصر للنبي موسى «عليه السلام»، فكالآتي:

١. وحدة شخصية فرعون المعاصر للنبي موسى منذ ولادته «عليه السلام» إلى حين غرق هذا الحاكم.

٢. دوام حكمه ٣٠ سنة على أقل التقادير وبما يتناسب مع عمر موسى بعد المبعث.

٣. ضعف الدولة المركزية أو انهيار الحكم بعد غرقه، بلحاظ غرق جنوده معه، وآثار ذلك على جوانب عديدة من بينها القدرة الحربية الهجومية والدفاعية.

٤. تأليه نفسه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(١)، ﴿قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(٢).

٥. احتمال حرمانه من الذرية أو من الذكور إلى أن تبني موسى على الأقل، بلحاظ قول زوجته: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣). والتعبير بقولها ﴿نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾ يرشد بنحو ما إلى حرمانها معاً من الذرية، ولو كانت هي المحرومة من الذرية من بين زوجاته لكانت (أتخذ ولدًا). ولربما لم يُحرَم من الذرية الذكور إلا أنه ابتلي بموتهم حال حياته، لاسيما إن كان ذلك لسبب مرضي وراثي، بما يجعله قلقاً على مستقبل العرش، وباحثاً عن ابن بالتبني بعد أن بلغ سنّاً متقدّمة يخاف معه أن يفاجأه الموت قبل حسم الأمور.

١. القصص: ٣٨.

٢. الشعراء: ٢٩.

٣. القصص: ٩.

٦. بقاء بدنه بعد موته غرقاً: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾^(١).

ولو عدنا إلى قائمة من حكموا مصر من الأسر ١٨-٢٠، وهي الأقرب بحسب الترتيب الزمني لأحداث التاريخ المتعلقة بالنبي إبراهيم فيوسف فداود ثم سليمان «عليهم السلام»، فسنجد أنه من الممكن أن يدخل في حساباتنا:

١. تحتمس الثالث، فترة الحكم: ١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م، أي ٥٤ سنة. [انظر اللوحات رقم ٢٥-٢٧]. خاض ١٦ حرباً ضد خصومه في بلاد ما بين النهرين وسورية والأناضول وغيرها وذلك بعد طرد الهكسوس من مصر، ثم خاض حرباً في النوبة العليا التي تمثل جزء من السودان حالياً، حيث أن بلاد النوبة هي المنطقة التاريخية الممتدة على طول نهر النيل من الشلال الأول جنوب أسوان شمالاً إلى جنوبي التقاء النيلين الأزرق والأبيض جنوباً، وكانت النوبة تنقسم إلى منطقتين رئيسيتين: النوبة العليا والنوبة السفلى^(٢)، وغالبية النوبة التاريخية بقسميها ضمن حدود السودان حالياً [انظر اللوحة رقم ٢٨].

وبذا استطاع تحتمس الثالث أن يقيم امبراطورية من أقدم الامبراطوريات في التاريخ، وهي أقصى حدود لمصر في تاريخها. وحفظ موميائه إلى اليوم يقوّي احتمالية كونه هو الحاكم المنشود.

يضاف إلى ذلك قلة ذريته، وهو أمر لافت ويصب في صالح ترشيحه، يقول الدكتور

١. يونس: ٩٢.

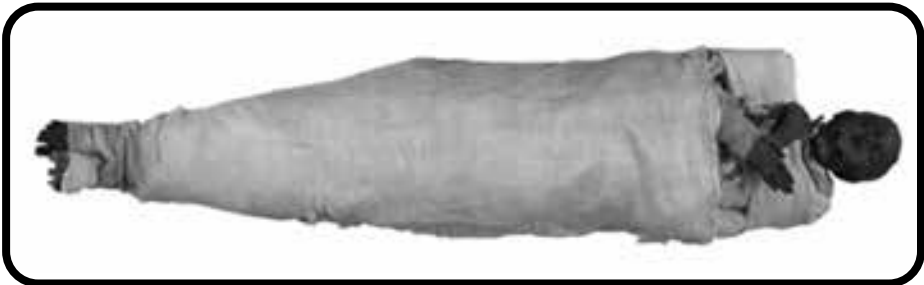
٢. التقسيم إلى عليا وسفلى بلحاظ مسار نهر النيل، لا بلحاظ الشمال والجنوب، ولذا تأتي التسمية معكوسة، فالنوبة العليا تقع إلى الجنوب، والنوبة السفلى تقع إلى الشمال.



اللوحة رقم ٢٦ : تمثال تحتمس الثالث



اللوحة رقم ٢٥: لوحة تذكرا سم تحتمس الثالث وهو (من خبر رع)



اللوحة رقم ٢٧ : مومياء تحتمس الثالث



اللوحة رقم ٢٨ : خريطة تتضمن الحدود الشمالية والجنوبية للنوبة قديماً

سليم حسن: (أما أولاد هذا الفرعون، فلم يُذكر في قبره إلا اسم الأميرة «نفرتاري» المرحومة، ولما لم يكن اسمها قد أُحيط بطغراء، فيظهر إذن أنها لم تكن من دم ملكيٍّ خالص^(١)، وله ولد هو الملك أمنتب الثاني. والطغراء عبارة عن شكل يشبه الكبسولة وتُعرف أيضاً باسم (الخرطوش)، وهو عبارة عن بروز يُحيط باسم الملك ويؤطره كنوع من التمييز عن بقية الكلمات الواردة في النص [راجع اللوحة ١ ص ٣٥].

1. <https://www.hindawi.org/books/81363602/57/>

التحديد الزمني

ولكن حيث لم يعرف تاريخ مصر ملكاً بكى عليه المصريون وحزنوا عليه حزناً شديداً مثل ما حدث مع تحتمس الثالث، وأقيمت مراسم الحداد والدفن الملكية له والتي تبعه فيها كل المصريين وهي أضخم جنازة في التاريخ القديم، فإنّ هذا يُضعف احتمالية كونه الشخصية التي نبحت عنها، إذ لا يتناسب مع كونه الحاكم الذي سبب ويلات لمصر بعناده واستكباره، وكانت خاتمته أن غرق أبناء مصر من الجنود في اليم وهلكوا بصورة مفاجئة.

٢. أمنتختب الثالث، فترة الحكم: ١٣٩١-١٣٥٣ ق.م، أي ٣٨ سنة. [انظر اللوحات رقم ٢٩-٣١]. وهذا الامتداد في فترة الحكم يصب لصالح ترشيحه أنه كان آخر فرعون حكم الامبراطورية المصرية من أقصاها إلى أقصاها، وهي ذلك المُلك الشاسع الذي فتحه أسلافه المحاربون، وهذا يعني ضعف الحكم والدولة من بعده.

اعتُبر أعظم ملك قام بأعمال البناء والتعمير في عهد أسرته الثامنة عشرة. أحبَّ التمتع بمناعم الحياة الدنيا وزينتها والصيد كان رائده الأعلى طَوَالَ مدة حكمه. أبدى اهتماماً قليلاً بالعمليات الحربية. اتسم معظم حكمه بالاستقرار والرخاء. هناك الكثير من الجدل حول ما إذا كان ابنه إخناتون قد تولى العرش بعد وفاة والده، أو ما إذا كان هناك حكم مشترك.

وعلى الرأي الثاني، فقد دلّت الكشوف الحديثة أنه كان لا يزال على قيد الحياة حتى السنة التاسعة أو الثانية عشرة من حكم ابنه «إخناتون»، وهذا يُضعف احتمالية أن يكون بالفعل هو الشخصية التي نبحت عنها.

أيضاً، فإن وجود ذرية من عدة من الذكور (٨ على الأقل) يُضعف أيضاً من احتمالية



اللوحة رقم ٣٠ : تمثال أمنحتب
الثالث



اللوحة رقم ٢٩ : تمثال أمنحتب
الثالث بجوار (الإله) سويك برأس تمساح



اللوحة رقم ٣١ : مومياء أمنحتب الثالث

كونه الشخصية المرادة، ولكن مما يصب لصالح ترشحه حفظ موميائه.

٣. رمسيس الثاني، فترة الحكم: ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م، أي ٦٦ سنة على الأقل [انظر اللوحات رقم ٣٢-٣٤]. ثالث ملوك الأسرة ١٩، وهو ابن الملك سيتي الأول. الحاكم الأكثر شهرة والأقوى طوال عهد الامبراطورية المصرية، وسماه خلفاؤه والحكام اللاحقون له بالجد الأعظم.

ففي نص مُثَبَّت على لوحة أثرية تتضمن مديحاً لرمسيس الثاني وُصف بأنه: (ملك الأقواس التسعة، السيد العظيم لكل الممالك، وإنَّ السماء أُغْلِقَتْ، والأرض زُلْزِلَتْ عندما استولى على مملكة «رع»، وإنه استولى على تيجان «آتوم» مع صل سيد الكون على رأسه، واجتمع على شخصه رمز السيدين «حور»، و«وست»، وسلطانهما وملكهما في متناوله، وقد فتح الجنوب والشمال، والغرب والشرق يحنيان رأسيهما، وإنه البذرة المقدسة لكل إله، وأنه وُضِعَ من كل إلهة، وقد نشأ الكبش سيد «منديس» في المأوى العظيم في «هليوبوليس»: رعمسيس.....^(١) وثامن آلهة «الأشمونيين» عندما خلقوا، وأنه مثل «خبري» عندما يرتفع، ومثل «شو»، و«تفنوت» أمام «حورتن» لأجل أن ينظم مصر كما يجب عليه، وعندما يمد الأرض بالمعابد: «رعمسيس». وإنه صورة «رع» الحية، ورمز من يسكن «هليوبوليس»، ومَن لحمه من ذهب، وعِظَامُهُ من فضة، وأعضاؤه من حديد، ابن «ست»، ومربي «عنتا»، والثور القوي مثل «ست» صاحب «أمبوس» «حور» المقدس محب الناس، والإله العظيم بين الآلهة، حامي مصر، والمدافع عن القطرين، ومن يجعل حدوده على حسب ما يريد، وكل البلاد في سكينته، وليس بجانبه خارجون، والماهر في غزواته، إذ يسير إليها، ويحرز النصر: (رعمسيس)... لمصر،

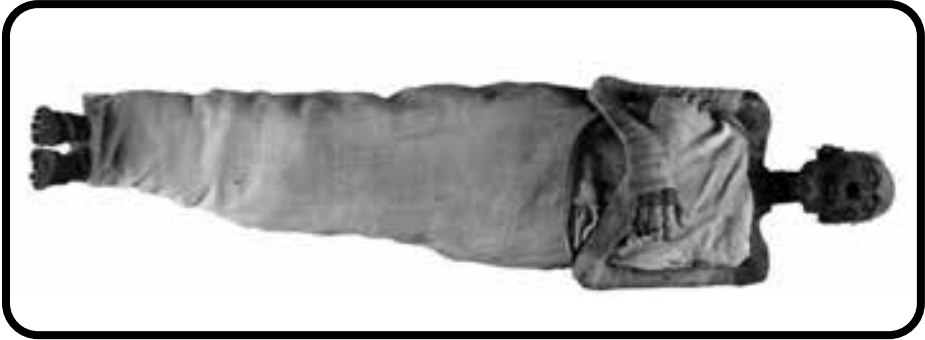
١. كلمات مفقودة من النص الأصلي، وسيكرر هذا في النص.



اللوحة رقم ٣٣ : تمثال رمسيس الثاني
وهو طفل ومن لفه (الإله) حورن



اللوحة رقم ٣٢ : تمثال رمسيس
الثاني وهو شاب



اللوحة رقم ٣٤ : مومياء رمسيس الثاني

والثمين للناس من الجنسين.... ويأتون إليه.... وكل فيضاناته تأتي بالخير...: «رعمسيس»،
والمفيد في الصعيد، والمحبوب في الدلتا، ومن برؤيته تبتهج كل الأنام، ومن جماله لهم
بمثابة الماء والهواء، وحبه كالطعام واللباس، وقرص الشمس لمصر قاطبة، والإله شو،
للقطرين، والقطران متحدان معاً كرجل واحد، قائلين لـ «رع» عند شروقه: امنحه
الأبدية في الملك حتى يسطع لنا كل يوم مثلك، واجعله يجدد لنا دائماً مثل القمر، وأن
ينعم كنجوم السماء، امنحه الأبدية كما منحها ابنك «ست» الذي في قارب ملايين
السنين: «رعمسيس». وإنه «رع» الحي والجميل من الذهب، وسام الآلهة، ومن يملأ
الأرضين بانتصارات يمينه، والفخار في الأعمال التي يأتيها ساعده، وهو بكر «بتاح
تن» الذي أنجبه... «رعمسيس»... وهذا الإله الكامل هو «آتوم»، ووارث «رع»، والصورة
المعظمة لمن في «عين شمس»، ومن يكون معه جسماً واحداً، ومن يشرق كل يوم في
الأفق ليسمع التضرعات التي يوجهها إليه عندما يخاطبه كل شروق في الصباح: ماذا
تريد؟ لأجل أن أفعله لك، وهو يتكلم على الأرض، ويسمع في السماء... على طريقة الإله
نفسه بقلبٍ منبسط مثل «رسي انيف»؛ أي الذي جنوبي جداره يقصد الإله بتاح،
فإنه.... مثل جلالة «تحت»: «رعمسيس»، والذي مثل... جاساً الأجسام مثل «رع» رب
السماء، وإن خوفه هو الذي.... الناس هذه البلاد في عيد لشجاعته عندما.... كل البلاد
بقوته: «رعمسيس»^(١).

وجاء في نص حواري عُثر عليه يخاطب فيه رمسيس الثاني مستشاريه: (لقد كنتُ
«رع» الشمس وهو إله عندهم (فوق الناس، فأهل الجنوب وأهل الشمال كانوا تحت
نعلي). وجاء جواب المستشارين كالتالي: (وعندئذ تكلم السُّمار الملكيون مجيبين الإله

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٦، ص ٢١٦.

الطيب: «إنك «رع» [الشمس]، وجسمك جسمه، ولا يوجد قط ملك يشابهك.. وكل الأماكن تعرف أنك إله لكل الموجودات»^(١). ويمكن لهذا أن يكون مؤيداً لما جاء على لسان فرعون في قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(٢).

حفظ موميائه مما يصب لصالح ترشيحه، وهذا يتلاءم مع قوله «تعالى»: ﴿فَالْيَوْمَ نَنجِيكَ بَبَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾^(٣).

وفي أول حكم رمسيس الثاني، كانت العاصمة في طيبة/الأقصر ولكنه بعد سنوات قليلة بدأ في إنشاء عاصمة جديدة سماها (بررمسيس مري آمون) أي (بيت رمسيس محبوب آمون)، وهذا متوافق مع ما جاء في التوراة من تسخير فرعون لبني إسرائيل لإنشاء مدينة (رَعْمَسِيس): (... فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْنِ مَحَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعْمَسِيسَ). وهي المعروفة اليوم باسم (قنتير) في محافظة الشرقية، وكان يُطلق عليها اسم (بر رمسيس)، وهذا يؤيد أيضاً أنه فرعون المنشود، لأن مستقر بني إسرائيل -والنبي موسى- كان في هذه المنطقة لا في الأقصر حيث الصعيد، ولا في منف جنوب القاهرة والحيزة. كما عُثر على قصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود وهي المسماة «لوحة مرنبتاح» وتسمى أيضاً «لوحة إسرائيل» [انظر اللوحات رقم ٣٥-٣٧]، وفي ختام هذه القصيدة يعدد الشاعر القبائل أو الأقاليم التي أخضعها «مرنبتاح» ابن رمسيس الثاني. ومن بينها قبيلة بني إسرائيل، وهذه أول مرة يعثر في المتون المصرية على آثار يُذكر فيها هؤلاء القوم وبهذا العنوان على وجه التحديد، ولذلك سُميت هذه

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٦، ص ٢١٣-٢١٤.

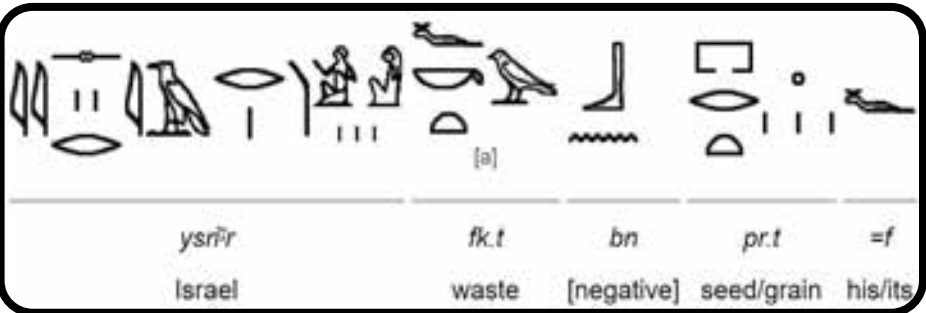
٢. القصص: ٣٨.

٣. يونس: ٩٢.



اللوحة رقم ٣٦ : نسخة عمّا جاء
في لوحة مرنبتاح

اللوحة رقم ٣٥ : لوحة مرنبتاح
(لوحة إسرائيل)



اللوحة رقم ٣٧ : النص الوارد في لوحة مرنبتاح والخاص بإسرائيل مع ترجمته

اللوحه باسمهم، واستدل البعض بذلك على أن مرنبتاح هو فرعون الذي بُعث إليه موسى. والنص هكذا: (وإسرائيل خربت وليس بها بذر)^(١).

وبرأيي أن هذا النص لا يدلّ على أكثر من أن خروج بني إسرائيل من مصر كان قبل حكم مرنبتاح، لأن فرعون قضى غرقاً في ملاحقته لهم. ومن الممكن أنه يشير إلى ما جرى على عهد أبيه رمسيس الثاني من التخلص من بني إسرائيل بخروجهم من مصر، فلم يبقَ لهم بذر (ذرية) فيها. وعندما حكم مرنبتاح ابنه من بعده، كانت أوضاع مصر آخذة بالتدهور، وطمع فيها الغزاة من كل ناحية، يقول الدكتور سليم حسن: (والواقع أن السنين الأخيرة من عهد رمسيس الثاني كانت سنيّ تدهور مستمر، وقد انتهزت القبائل القاطنة على حدود مصر الغربية تلك الفرصة وأخذ جنودها يزحفون على الأرض الواقعة على حافة النيل الخصيب حتى وصلوا في زحفهم إلى جانب النيل. وقد مكثوا هناك عدة أشهر واحتلّوا الواحة البحرية وخرّبوا «واحة الفرافرة»، وقد زاد الطين بلة أن هؤلاء اللوبيين قد ألفوا حلفاً مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضّون على الدلتا من «سردينيا» وفي الجهات الغربية من آسيا الصغرى على الشرق)^(٢). وإذا صحّحنا كونه هو فرعون موسى، فلربما تكون السنوات الأخيرة من حكمه قد واجهت هذا الضعف -أيضاً- بسبب الآيات المتتالية التي جاءت بصنوف العذاب: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾^(٣)، ولك أن تتخيّل حجم الآثار الكارثية المترتبة على الطوفان والجراد وغير ذلك من الآيات التي جاءت في صورة ضربات

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٧، ص ١٠١.

٢. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٧، ص ١٤.

٣. الأعراف: ٩.

متتالية، وذلك بالنسبة إلى بلد يعتمد على الزراعة بشكل كبير، بل على أي بلد بغض النظر عن موارده الاقتصادية.

ويضيف الدكتور سليم عند حديثه عن نهاية عهد مرنبتاح: (يدلّ ما لدينا من الآثار الباقية على أن «مرنبتاح» لم يمكث على عرش الملك أكثر من ثماني سنوات... وتُعد الفترة التي تلت موت «مرنبتاح» فترة اضطراب وقلق في داخل البلاد بسبب الثورات التي قامت من أجل عرش الملك والتطاحن عليه بين أفراد أسرة هذا العاهل... والواقع أن البلاد بعد عهد «مرنبتاح» كانت في حالة إعياء وفقر داخلي بالغين؛ فقد كانت -قبل عهد «مرنبتاح»- منهكة في الحروب التي شنها «رعسميس الثاني» على البلاد المجاورة، كما أنه كذلك كان قد استنفد مواردها في إقامة المباني الدينية والتمائيل الهائلة التي ملأ بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها، حتى إن ابنه «مرنبتاح» أي ابن «رعسميس الثاني» لما تولى عرش الملك لم يجد من المال ما يمكنه من إقامة آثار لنفسه، فاغتصب آثار أسلافه كما ذكرنا، وقد زاد الطين بلة تألب بلاد «لوبيا» عليه ومهاجمة ممالك البحر لمصر، ولم يكن في استطاعته صدهم عن احتلال الدلتا إلا بشق الأنفس، ومع ذلك نجد أن هؤلاء الأقوام كانوا قد أخذوا يتسربون إلى البلاد ويتخذون لأنفسهم مساكن فيها، بل وكانوا يشغلون أيضًا بعض وظائف الدولة الهامة، ومن أجل ذلك نجد أنه لما تُوفي «مرنبتاح» كانت الأمور مهيأة لقيام الاضطرابات وتأليف الأحزاب التي نجدها تنمو وترعرع في مثل هذه الأحوال لانعدام الشخصية القوية التي تضرب على أيدي العابثين والنفعيين؛ وقد بقيت البلاد حقًا في اضطراب مستمر منذ نهاية حكم «مرنبتاح» حتى مجيء «رعسميس الثالث» الذي خلصها زمنًا من الفوضى التي كانت تهدد كيانها وتسير بها نحو الانحلال أولاً ثم

الفناء آخرًا. وتتجلى مظاهر الفوضى في البلاد في تلك الفترة فيما نشاهدها من انعدام الآثار التي تحدد لنا تتابع الملوك الذين جاءوا بعد «مرنبتاح»، ولا يزال المؤرخون مختلفين في أمرهم في هذا الشأن حتى الآن^(١).

يضاف إلى ذلك تصريح التوراة بأن بني إسرائيل أجبروا على بناء مدينة رعمسيس، وهي (بر رعمسيس) المجاورة لأواريس أو بمثابة امتداد لها: (فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُودًا بَنُوا إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالْ لَهُمْ لَيْلًا يَنْمُوا، فَيَكُونَ إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيَحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الْأَرْضِ». فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذَلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْنِ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعْمَسِيْسَ)^(٢)، ومن المعلوم أن الذي بنى هذه المدينة هو رمسيس الثاني.

كل ما سبق يقوّي احتمال كون رمسيس الثاني بالفعل هو فرعون الذي تحدّث عنه القرآن الكريم كحاكم معاصر للنبي موسى «عليه السلام».

ولكن مما يضعف احتمالية كونه الشخصية التي نبحث عنها وجود ذرية كثيرة له. يقول الدكتور سليم حسن: (لا غرابة إذا كان «رعمسيس الثاني» قد ضرب الرقم القياسي في إنجاب الذكور، ومن خلف وراءه من الإناث، والواقع أنه قد وُفق أكثر من كل من سبقه من الملوك في كل نواحي الحياة؛ فقد برّهم في المباني، كما وهب مدة حكم تربي على مدة أي فرعون آخر إذا استثنينا «بيبي الثاني» أحد ملوك الأسرة السادسة، وكذلك كان له القدح العليّ فيمن تركه خلفه من ذرية تُعد بالمئات.... فنعرف من زوجاته على وجه التأكيد ثلاثاً، وهن: «نفرتاري»، و«إست نفرت»، و«مات نفروع»^(٣).

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٧، ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١، ٩-١١.

كما نعرف أنه تزوج بثلاث من بناته، وهن: «بنت عنتا»، و«مريت آمون»، و«نبت تاوي»، أما باقي نسائه فلا نعرفهن على وجه التأكيد، ولا بد أنهن كنَّ كثيرات لأن قائمة العرابة قد عدت لنا ثلاثة وثلاثين ابناً واثنين وثلاثين ابنة. كما ذكرت لنا قائمة معبد «وادي السبع» أحد عشر ومائة ذكر، وإحدى وخمسين ابنة. ولكن مما يؤسف له أن القائمتين كليهما ممزقتان، ولا نزاع في أن معظم هؤلاء الأولاد كانوا من حظيات أو زوجات ثانويات^(١).

إلا أن د. رشدي البدراوي الأستاذ بجامعة القاهرة مؤلف كتاب (موسى وهارون عليهما السلام، من هو فرعون موسى؟) يذكر أن رمسيس الثاني كان يُرزق بالبنين من زوجته (نفرتاري مونموت) إلا أنهم كانوا سرعان ما يموتون، ثم تزوج (إست نفرت) التي اعتبرها المذكورة في القرآن الكريم بعنوان (امرأة فرعون)، وتكرر الأمر مع أولادها الذكور، ولذا تبني موسى الذي أُلقيَ من النهر، ثم بعد ذلك بسنوات، رُزق رمسيس الثاني بالذرية الذكور الذين بقوا أحياء وذلك من زوجته نفرتاري وإست نفرت ومحظياته وسراريه، فولد له العشرات، بنيناً وبنات، حتى بلغ عدد أبنائه على ما ورد في التسجيلات ١١١ ولداً و٧٦ بنتاً^(٢).

ولا أعلم مصدر هذا الادعاء، وكيف توصل إلى النتيجة المتعلقة بموت كل أبنائه صغاراً إلى أن تبني موسى، فتغيّر الأمر. نعم، يذكر الدكتور سليم حسن أن اثنين من أولاده من زوجته الأولى ماتا صغاراً، قال: (يعترض المؤرخ صعوبات جمّة عندما يريد فحص أولاد رعمسيس الذكور ويرتبهم ترتيباً تاريخياً، فعلى حسب نظرية الأستاذ

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٦، ص ٤٣٠.

رمسيس-الثاني-فرعون-مصر 2. <https://quran-m.com/>

«سيلي» يكون «رعمسيس» قد أنجب في أول حياته ولدين، وهما: الأمير «آمون حر ونمف»، ثم الأمير «خعمواست»، وأنهما ماتا في طفولتهما كما تثبته النقوش التي على معبد «بيت الوالي»، ويقول: إنه قد أنجبهما من الملكة «نفرتاري»^(١).

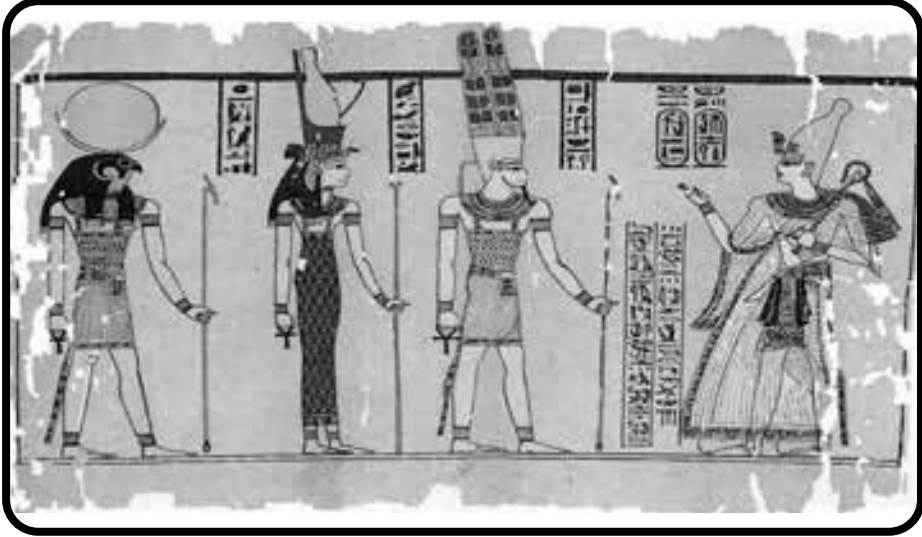
بل وذكر الباحث الأمريكي في العهد القديم وعالم الآثار والمصريات المتخصص في قضايا تاريخ العهد القديم (الدكتور جيمس هوفمير) James K. Hoffmeier أن مرنبتاح الذي سيصبح فرعوناً من بعد أبيه رمسيس الثاني، هو أول الناجين من الأولاد بعد موت الاثني عشر الذين سبقوه.

هذه المعطيات يمكنها أن تساعد في افتراض أن رمسيس الثاني هو الفرعون المنشود، وترفع بذلك أحد الإشكاليين السابقين.

ملاحظة: لا يوجد دليل على أنه مات غرقاً كما يشاع، وقد أجريت فحوصات وأشعات على موميائه، وليس بينها ما يثبت صحة ذلك.

٤. رمسيس الثالث، فترة الحكم: ١١٨٦-١١٥٥ ق.م، أي ٣١ سنة. [انظر اللوحات رقم ٣٨-٤٠]. ثاني ملوك الأسرة العشرين في مصر القديمة. يُنظر إليه باعتباره آخر ملك عظيم في المملكة الحديثة يمارس سلطة كبيرة على كامل مصر. تطورت ثلاث إضرابات لعمال المقابر الملكية في عهده، وكانت هذه الإضرابات الأولى الموثقة في تاريخ البشرية... فهل هي في الواقع حركة بني إسرائيل بقيادة النبي موسى؟ تظهر أدلة على المومياء الخاصة به ترشد إلى ممارسة العنف ضده، إذ يوجد بالمومياء جرح مميت. قيل أنه اغتيل في مؤامرة بقيادة إحدى زوجاته الثانويات (تي)، وابنهما بينتاور،

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٦، ص ٤٣٧-٤٣٨.



اللوحة رقم ٣٨ : بردية تمثل رمسيس الثالث وهو يتحدث مع ثلوث آلهة
طيبة: آمون وموت وخنسو، وتعود إلى سنة ١١٥٠ ق.م



اللوحة رقم ٤٠ : مومياء رمسيس ٣



اللوحة رقم ٣٩ : رمسيس ٣

ومجموعة من كبار المسؤولين، إلا أن ذلك غير مؤكد. بموته، ترك عرش مصر في حالة من الضعف الكبير، ولم يستطع وريثه رمسيس الرابع تعديل الأوضاع، وبدأ عصر انهيار الدولة الحديثة بمصر.

مما سبق يتّضح أن أقوى المرشحين هو رمسيس الثاني، وبذا من المحتمل أن يكون مولد النبي موسى «عليه السلام» في سنة ١٢٤٣ ق.م، أو قبل ذلك بقليل، كل هذا شريطة الأخذ بعين الاعتبار صحّة ما ذكره الدكتور رشدي البدراوي والدكتور جيمس هوفمير حول ذريته، وتخطئة التوراة في سلسلة نسب موسى «عليه السلام» وصولاً إلى يعقوب، لأنها قصيرة إذا قلنا بأن يوسف «عليه السلام» عاصر حاكماً من الهكسوس الذين حكموا من سنة ١٧٣٠ ق.م إلى ١٥٠ سنة تقريباً، أي إلى بدايات القرن السادس عشر قبل الميلاد، فالفارق كبير بين هذا التاريخ وبين منتصف القرن الثالث عشر، وهو قرابة ٣ قرون على أقل تقدير، هذا إن لم نقل أنّ يوسف عاش في بدايات أو منتصف حكم الهكسوس... فكيف يكون بين موسى وجده لاوي المعاصر للنبي يوسف أبوان فقط هما قهات وعمران؟

وهكذا لا يستقيم أن يكون النبي إبراهيم «عليه السلام» قد عاش في القرنين التاسع عشر والثامن عشر أو حتى السابع عشر قبل الميلاد - كما بحث ذلك في كتابي أبو الأنبياء - ويفصله عن موسى خمسة آباء فقط.

ومما يساعد على القول بنقصان شجرة نسب موسى - الواردة في التوراة - إلى جده النبي يعقوب الآية التالية: (وَمَاتَ يُوسُفُ وَكُلُّ إِخْوَتِهِ وَجَمِيعُ ذَلِكَ الْجِيلِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وَكَثُرُوا كَثِيرًا جَدًّا، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ)^(١)، فكيف تمتلئ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ٦-٧.

الأرض منهم ويكثرون إلى أن يبلغوا ٦٠٠ ألف نسمة عند الخروج مع موسى لاحقاً بحسب التوراة: (فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ رَعْمَسِيْسَ إِلَى سَكُوتَ، نَحْو سِتِّ مِئَةِ أَلْفٍ مَآشٍ مِنَ الرِّجَالِ عَدَا الْأَوْلَادِ)^(١)؟ بالطبع الرقم مبالغ فيه كثيراً، ولكن عددهم كان كبيراً حتماً كما تدلّ على ذلك تفاصيل الأحداث لاحقاً. ومثل هذه العدد الكبير لا يتحقّق في جيلين أو ثلاثة فقط مهما بالغنا في التزاوج والتوالد وعدم موت أحد منهم. وإلى هذا أشار بعض الباحثين ومنهم (جاري جرينبرج) في كتابه (أسطورة موسى) حيث قال: (على أية حال، فإن تاريخ آباء إسرائيل خاطئ. فخذ مثلاً تلك الإشكالية: ينتهي سفر التكوين بوفاة يوسف، ثم يستكمل سفر الخروج الرواية بدايةً من مولد موسى. وهذا التحوّل يشمل عدة أجيال وربما عدة قرون. لكن في تلك الأثناء نمت إسرائيل من مجرد بضعة أفراد يُعدّون على أصابع اليد إلى ٦٠٠,٠٠٠ رجلاً وعائلاتهم. بينما كل ما تم إخبارنا به بشأن هذا التحوّل هو أن فرعوناً خشي الإسرائيليين فدفّعهم إلى العبودية بغرض إزالة أي تهديد قد يُمثّلونه. هذه الفجوة تحديداً في تاريخ إسرائيل هي المسؤولة عن كل الجدل الدائر حول تحديد تاريخ الخروج. فلماذا يحتوي الكتاب المقدس على تأريخ بمثل هذا التفصيل عن أسلاف إسرائيل منذ بدء الخليقة وحتى وفاة يوسف، ثم منذ ميلاد موسى وحتى نهاية التاريخ التوراتي دون ذكر أي تفاصيل أو توضيحات عما حدث خلال تلك القرون التي فصلت بينهما. ويجد المرء أن عليه أن يتساءل: خلال تلك المئات من السنين والتي نمت فيها إسرائيل من عائلة صغيرة إلى مملكة ضخمة، ثم إلى أمة مستعبدة، أما حدث شيء هام خلال تلك الفترة؟ ألم تكن هناك حكايات تستحق الذكر؟ ألم توجد أية بطولات أو قصص ملهمة أو اختبارات

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٢: ٣٧.

إيمانية؟ ألم توجد أية أفعال خير أو شر تستحق التدوين؟^(١).

واعتبر جرينبرج أن بالإمكان تقريب زمن خروج موسى «عليه السلام» وبني إسرائيل من مصر من خلال تحديد سنة وفاة يوسف «عليه السلام» اعتماداً على التواريخ التي قدّمها التنخ وسنوات مواليد وأعمار الأنبياء فيه، قال: (مات آدم عام ٢٨٣١ قبل الميلاد بعد أن تمّ تأسيس أول أسرة فرعونية مصرية، وبتتبع الصلات الزمنية بين آدم ويوسف، يمكننا تحديد تاريخ وفاة يوسف بعام ١٤٥٤ قبل الميلاد، وبالعثور على هذا التاريخ سيمكننا التخلص من الكثير من المشاكل المتعلقة بتحديد زمن الخروج)^(٢) وقدّم المؤلف جدولاً مستقى من التنخ [انظر اللوحة رقم ٤١].

ثم رجّح أن يكون عام الخروج هو ١٣١٥ قبل الميلاد، وإذا خصمنا ٨٠ سنة من هذا التاريخ -وهو العمر المفترض لموسى حينها بحسب المؤلف- فإنّ ميلاده كان في سنة ١٣٩٥ قبل الميلاد، وبناء على ذلك فقد اعتبر جرينبرج أن موسى ولد في عهد تحتمس الرابع، وعاصر عدداً من ملوك مصر من الأسرتين ١٨ و ١٩ من بينهم إخناتون، وأن فرعون الخروج هو رمسيس الأول، أول ملوك الأسرة ١٩.

وعلى الرغم من اختلافه في معه في تحديد سنة الولادة، إلا أنني أتفق معه بخصوص ملاحظته حول الفترة الزمنية الممتدة بين يوسف وموسى، وأنها لا بد أن تكون أطول مما ذكرته التوراة، بما يستدعي وجود آباء لم يتم ذكرهم في سلسلة النسب.

وسياًتي معنا في الفصل الخاص بشباب موسى وذكر ولديه جرشوم وأليعزر، أن إحدى شروح التوراة تذكر أن وجود الألف في (ابن) في إحدى النصوص التوراتية للدلالة

١. جرينبرج: أسطورة موسى، ص ١٩-٢٠.

٢. جرينبرج: أسطورة موسى، ص ٣٧.

التحديد الزمني

ت	الاسم/اللقب	الميلاد	الوفاة	السن	ت	الاسم/اللقب	الميلاد	الوفاة	السن
١	آدم	٣٧٦١	٢٨٣١	٩٣٠	١٣	شالغ	٢٠٧٠	١٦٣٧	٤٣٣
٢	شيث	٣٦٣١	٢٧٩١	٩١٢	١٤	عابر	٢٠٤٠	١٥٧٦	٤٦٤
٣	آنوش	٣٥٢٦	٢٦٢١	٩٠٥	١٥	فالح	٢٠٠٦	١٧٦٧	٢٣٩
٤	قينان	٣٤٣٦	٢٥٢٦	٩١٠	١٦	رعو	١٩٧٦	١٧٣٧	٢٣٩
٥	مهللئيل	٣٣٦٦	٢٤٧١	٨٩٥	١٧	سروج	١٩٤٤	١٧١٤	٢٣٠
٦	يارد	٣٣٠١	٢٣٣٩	٩٦٢	١٨	ناحور	١٩١٤	١٧٦٦	١٤٨
٧	أخنوخ	٣١٣٩	٢٧٧٤	٣٦٥	١٩	تارح	١٨٨٥	١٦٨٠	٢٠٥
٨	متوشالغ	٣٠٧٤	٢١٠٥	٩٦٩	٢٠	إبراهيم	١٨١٥	١٦٤٠	١٧٥
٩	لامك	٢٨٨٧	٢١١٠	٧٧٧	٢١	إسماعيل	١٧٢٩	١٥٩٢	١٣٧
١٠	نوح	٢٧٠٥	١٧٥٥	٩٥٠	٢٢	إسحاق	١٧١٥	١٥٣٥	١٨٠
١١	سام	٢٢٠٥	١٦٠٥	٦٠٠	٢٣	يعقوب	١٦٥٥	١٥٠٨	١٤٧
١٢	أرفكشاد	٢١٠٥	١٦٦٧	٤٣٨	٢٤	يوسف	١٥٦٤	١٤٥٤	١١٠

اللوحة رقم ٤١ : جدول للاحتمالات المختلفة لتحديد هوية فرعون موسى

على أن المذكور في النص كان من ذرية موسى، لا الحفيد المباشر (وَكَانَ يَهُوَنَاثَانُ ابْنُ جَرْشُومَ بْنِ ...) ^(١) إذ يُفترض أن تُكتب بدون الألف، وهذا ما قد ينطبق على ما نحن فيه أيضاً. ولذا، فمن المحتمل أن هناك أسماء لأجداد موسى لم تُذكر في التوراة، ونُسب إلى جده قهات ثم إلى جده الأعلى لاوي مباشرة، وحينها يمكن تفسير هذا الفاصل الزمني الكبير بين عصر يعقوب ويوسف وبين عصر موسى، وقبول أن فرعون هو رمسيس الثاني، والله أعلم.

١. الكتاب المقدس: سفر القضاة: الإصحاح ١٨: ٣٠.

أما إذا لم نلتزم بوحدة شخصية فرعون، فستكون أمامنا اختيارات عديدة وتفتح أبواب الاحتمالات بشكل كبير ويصعب حسم المسألة، كل هذا إن قلنا أن فرعون موسى كان من أهل مصر، ولم يكن من الهكسوس المحتلين للقسم الشمالي منها، والذين حكموها لقراءة ١٥٠ سنة، وهو ما سنتحدث عنه قليلاً في الصفحات التالية.

• فرعون الهكسوسي:

يأتي كل هذا إذا لم نقبل من الأساس بكون هذه الشخصية أحد ملوك الهكسوس كما قال عدّة من الباحثين المتأخرين في الوسط العربي وخارجه، إذ يؤكّدون بطلان كل التصورات السابقة، وأن موسى «عليه السلام» - كيوسف من قبل - عاش خلال عهد حكم الغزاة المحتلين لمصر والمعروفين باسم (الهكسوس). وانطلق الباحثون العرب في رأيهم هذا من النصوص التاريخية العربية التي ذكرت أسماء الحكام على عهد يوسف وموسى «عليه السلام»، حيث جاءت أسماءهم عربية. وهذا يتوافق - برأيهم - مع كون الهكسوس عرباً جاءوا غزاةً من ناحية الشام أو الجزيرة العربية.

ولنتوقف أولاً حول ما جاء عن حقيقة الهكسوس بحسب ما ذكره أهل الاختصاص المعاصرين، ومن بينهم الدكتور سليم حسن في موسوعة مصر القديمة الذي أشار إلى احتدام الجدل في الماضي حول العصر الذي اجتاحت فيه الهكسوس البلاد المصرية، أما تاريخ طردهم من مصر فيكاد يكون من المتفق عليه أنه كان حوالي عام ١٥٨٠ ق.م، وذلك على يد الفرعون أحمس الأول، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة.

وفي المتحف المصرى بالقاهرة لوحة أثرية تُعرف باسم (لوحة الأربعمئة عام) [انظر اللوحة رقم ٤٢]، عُثِر عليها في مدينة تانيس/صان الحجر، وكان قد أقامها رمسيس

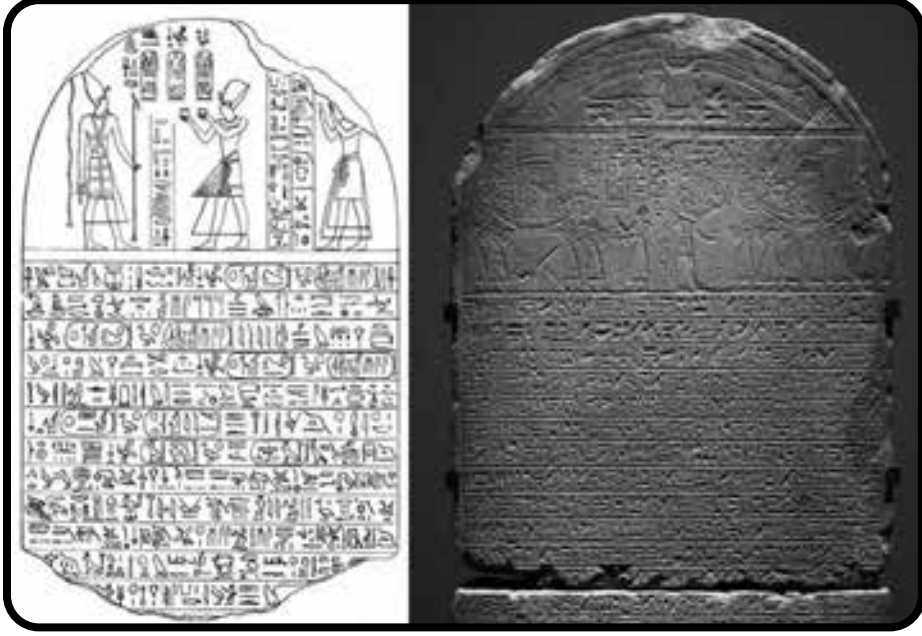
التحديد الزمني

الثاني احتفالاً بمرور أربعمئة عام على اعتلاء (الإله ست) السيادة على البلاد، وهذا الإله المزعوم اتخذ الهكسوس إلهاً رسمياً لدولتهم.

من هنا، عند طرح الرقم ٤٠٠ من تاريخ إقامة هذه اللوحة، اعتبر أحد الآثاريين -وهو الأستاذ زيتة- أن الهكسوس كانوا قد أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ ق.م، ولذا فقد ارتأى الدكتور سليم حسن أن الهكسوس كانوا قد حكموا مصر بين مدّ وجزر نحو قرن ونصف قرن من الزمان.

وأضاف أنه قد كانت الفكرة الراسخة في الأذهان عند عامة المؤرخين إلى ما قبل تأليف هذه الموسوعة ببضع سنين أن هؤلاء الغزاة قد انقضّوا على الديار المصرية فجاءةً من بلادهم الأصلية، واستولوا عليها عنوةً، وأن ذلك قد حدث في فترة كانت مصر قد بلغت فيها من الضعف والوهن حدّاً بعيداً، أي عندما كانت الحروب الداخلية تفتك بها كلّ الفتك، ولكنّ هذا الزعم خاطئ من أساسه، بل الواقع أنه توجد أسباب عدّة تدلّ على أن أولئك الغزاة كانوا قوة ثقافية في وادي النيل منذ عهد الملك «سنوسرت» الثاني (١٩٠٦-١٨٨٧ ق.م)، أي في منتصف عهد «الدولة الوسطى»، عندما كانت مصر في أوج عظمتها، أو بعبارة أخرى في إبّان عصرها الذهبي.

وتدلّ شواهد الأحوال على أنه لا توجد أسباب تدعو إلى الشك في أن الهكسوس قد حكموا مصر قبل عام ١٧٣٠ ق.م، فغزو الهكسوس لمصر لم يتم دفعةً واحدةً بين عشية وضحاها، ولكنه قد تمّ تدريجاً وعلى مهل، فقد وفدوا إليها جماعات صغيرة متفرقة، وهذه الجماعات كانت تزداد في عددها إلى أن أصبح لهم سلطان عظيم في البلاد بتسرّبهم بهذه الكيفية، واكتسبوا قوتهم بمرور الزمن كالشجرة التي تضرب بأعراقها على مرّ الأيام في أرض خصبة، فتزداد نمواً وإيناعاً، واستمرّ الحال منذ هجرتهم من



اللوحة رقم ٤٢ : لوحة الأربعمئة عام

المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حوالي بداية القرن التاسع عشر ق.م إلى أن تمّ توطيد حكم أول أسرة لهم في أرض الدلتا حوالي عام ١٧٣٠ ق.م، وعلى هذا الأساس ظهرت الأسرة الخامسة عشرة في مصر.

أما القضاء عليهم جملةً في مصر بوصفهم أمةً حاكمةً فقد تمّ على يد الملك المصري «أحمس» الأول، وليس معنى هذا أنه قد قُضي على نفوذهم الثقافي من البلاد؛ إذ ليس من الضروري أن يسير النفوذ السياسي جنباً لجنب مع النفوذ الثقافي، أو أن كلاهما ينسب إلى الآخر بصفة مباشرة؛ إذ لدينا من الأدلة ما يُبرهن على أن ثقافة الهكسوس قد استمرت تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص إلى مدةٍ لا يُستهان بها في عهد الأسرة الثامنة عشرة بعد طردهم من البلاد.

التحديد الزمني

وكما احتد الجدل حول تاريخ اجتياحهم وحكمهم للأراضي المصرية، كذلك احتدم الجدل حول انتمائهم العرقي أو القومي أو الثقافي، ودلالة كلمة هكسوس ومصدرها.

لقد كانت المعلومات عن «الهكسوس» قبل كشف النقاب عن رموز اللغة المصرية القديمة وغيرها من لغات الشرق القديمة، تنحصر فيما رواه (فلافيوس يوسفس) Flavius Josephus المؤرخ اليهودي الذي عاش في خلال القرن الأول من التاريخ الميلادي، والمعلومات التي قدّمها لنا هذا المؤرخ قد أخذها بدوره عن الكاهن والمؤرخ المصري (مانيتون/مانيثون) Manetho وبالإغريقية Μανέθων والذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، وتم تكليفه من قبل حاكم مصر آنذاك بطليموس الثاني بكتابة تاريخ مصر القديمة.

وقد كان الغرض الأول ليوسفس فيما نقله عن مانيتون، العمل جهد الطاقة في الرفع من شأن قومه اليهود، الذين كان يحترقهم ككتاب الإغريق، ويحطّون من شأنهم؛ لذلك أخذ المؤرخ يوسفس يبرهن للملأ أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة قبل حروب (طروادة) الذائعة الصيت، وهي تلك الحروب التي خلّدها (هوميروس) الشاعر اليوناني في كتاب (الإلياذة) وكتاب (الأوديسة)، وقد كان عهد هذه الحروب في نظر الإغريق تاريخاً سحيقاً في القِدم.

وممّا يُؤسّف له أشدّ الأسف أنه لم يُعثر حتى الآن عن أصل إغريقي من كتاب «مانيتون» الذي وضعه في تاريخ مصر، ولم يَبْقَ لنا من كتابه هذا إلا بعض فقرات نقلها بعض الكتّاب مثل يوسفس وغيره، ومع ذلك فإن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي بقيت لنا قد كُتبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريباً، وعلى ذلك أضحي الاعتماد عليها -بحسب الدكتور سليم حسن- بوصفها مصدراً تاريخياً لا

يُوثَّق به كثيراً، وبخاصة إذا كنَّا نعلم أن بعض الوقائع التي ذكرها لنا مانيتون تكاد تكون من الوجهة التاريخية مستحيلة.

والظاهر أن كلمة هكسوس لم تكن معروفة قبل عهد مانيتون، وأنه هو أول مَنْ استعملها، وسنورد فيما يلي بعض الاقتباسات الهامة التي ذكرها يوسفس نقلاً عن مانيتون، قال: (إن مانيتون كتب عنَّا) أي اليهود (ما يأتي: لا أعرف لماذا قد نزلت بنا في عهد [توتيمياوس] Tutimaheus) تحتس (صاعقةً من غضب الإله، فقد تجرَّأ قوم من أصلٍ وضيع من الشرق على غزو بلادنا، وقد كان مجيؤهم أمراً مفاجئاً، وقد تسلَّطوا على البلاد بمجرد القوة في غير صعوبةٍ ما، وبدون نشوب واقعة حربية، وبعد أن تغلَّبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية، وأزالوا معابد الآلهة من أساسها، وساروا في معاملة الأهلين بكل قسوة، فقتلوا بعض القوم، وسبوا نساء وأطفال أناس آخرين، وفي نهاية الأمر نصبوا واحداً منهم اسمه «سالاتيس» ملكاً، فاتخذوا مدينة «منف»^(١) مقراً له، وضرب الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري.... ثم توفي بعد أن حكم البلاد تسع عشرة سنة).

بعد ذلك تأتي قائمة بأسماء الملوك التالية: (بنون) حكم ٤٤ سنة، (أبا خناس) حكم ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، (أبو فيس) حكم إحدى وستين سنة، (يناس) حكم خمسين سنة وشهراً، و(أسيس) حكم ٤٩ سنة وشهرين.

ونقل يوسيفوس عن مانيتون قوله: (كان هؤلاء الملوك الستة الذين يُعتبرون حكمهم الأول، يطمعون باستمرارٍ في محو الشعب المصري، وكان شعب هؤلاء الغزاة يُسمَّون هكسوس، ومعنى الاسم «ملك الرعاة»؛ وذلك لأن كلمة «هك» معناها في اللغة المقدسة

١. تقع منف جنوب الجيزة، وسنحدِّث عنها لاحقاً.

التحديد الزمني

«ملك»، أما كلمة «سوس» فمعناها في اللهجة الدارجة «راعي» أو «رعاة»، ومن ثَمَّ كانت الكلمة المركبة «هكسوس»، ويقول البعض: إنهم «عرب».

ثم استطرد يوسفس مدلياً بدلوه: (وعلى أية حال، فإنه جاء في نسخة أخرى أن كلمة «هك» لا تعني «ملك»، بل تدل على العكس على أن الرعاة كانوا «أسرى») أي يكون معنى كلمة هكسوس الأسرى الرعاة (وهذا الرأي يظهر لي أكثر احتمالاً وأكثر موافقةً للتاريخ القديم. وملوك القوم الذين يُطلق عليهم الرعاة ومن تناسل منهم، وهم الذين عددناهم فيما سبق، قد ظلُّوا أسياد مصر على حسب ما ذكره مانيتون نحو خمسمائة وإحدى عشرة سنة) وهو الرقم الذي لا يتوافق مع نتيجة المعطيات التاريخية والآثارية التي ذكرها الدكتور سليم حسن من قبل، والفارق بين ١٥٠ وبين ٥١١ سنة كبير جداً.

ثم اعتبر الدكتور سليم حسن أن التفسير اللغوي الذي وضعه مانيتون لكلمة هكسوس مقبول؛ وذلك لأن كلاً من جزأي الكلمة له ما يقابله في اللغة المصرية القديمة، فكلمة «حقا» معناها «حاكم»، وكلمة «شاسو» معناها «بدوي»، ومن الجائز أن الأخيرة قد كُتبت بالإغريقية «سوس»، وبالقبطية «شوس».

ثم أضاف الدكتور سليم أن الرأي المتفق عليه -عند كتابة موسوعته- في تفسير كلمة هكسوس هو أنها مركبة من كلمتي (حقاو) و(خاسوت)، ومعناها معاً هو (حكّام الأقاليم الأجنبية)، وأن من الآثار ما يدل على أن بعض ملوك الهكسوس قد أطلقوا على أنفسهم لقب (حقاخاسوت) أي: (حاكم البلاد الأجنبية)، مثل الملك (خيان)، و(سمقن)، و(عنات هر)، فقد لُقِّبَ كُلُّ منهم بهذا اللقب. والظاهر أنهم كانوا يُسمَّون من قبل المصريين -في عهد حكم الهكسوس أنفسهم- باسم (عامو)؛ أي الآسيويين.

وفضلاً عن المصادر اليونانية التي ذكرت لنا بعض أسماء ملوك الهكسوس كما كتبها الإغريق، فإنه يوجد لدينا قوائم ملوك مصرية بجته أتم من القوائم اليونانية، وإن كانت متناقضة في بعض الحالات، وأهمها (ورقة/بردية تورين)، وهي المصدر الذي كان في الأصل يشمل -على ما يظهر- كل أسماء ملوك الهكسوس ولكن، ممّا يُؤسّف له أن بعض أجزائها قد حدث فيه تمزيق بالغ، غير أنه لحسن الحظ وجدنا فيها قائمة تحتوي على ما يظهر أسماء ستة من ملوك الهكسوس حكموا مائة وثمانين سنين. وهناك قائمة ملوك أخرى محفوظة بمتحف (اللوفر) نُقلت من معبد (تحتمس الثالث) بالكرنك^(١).

أما الدكتور طه باقر، فإنه اعتبر أنّ أسلم الافتراضات الخاصة بالهكسوس أنّ أصولهم غير سامية، وأنهم من الشعوب الهندو-أوروبية القادمة من براري آسيا الوسطى وأوروبا ثم امتزجوا بشعوب شرق البحر الأبيض المتوسط، الذين صاروا أغلبية مقارنةً بهم، وتطبعوا بطابعهم كساميين، ولذا فإنه يمكن القول أن الهكسوس كانوا: (خليطاً فاضوا من بوتقة انصهار الشعوب من شرقي البحر المتوسط على الحافة، وانجرفوا بعدئذ إلى مصر، وأنهم عندما جاءوا إلى مصر كان كثير منهم يتكلم إحدى اللغات السامية الغربية. وقد كان الهكسوس بوجه عام نتيجة عن هجرات الأقوام العامة في الألف الثاني ق.م. من براري آسيا الوسطى وأوروبا، ومن ذلك مجيء موجات إلى جهات الشرق الأدنى، وكان من جملة هؤلاء الأقوام، الهكسوس، الذين غزوا سوريا وفلسطين، وكوّنوا هناك دولة فتية، وقد اختلطوا هنا بالساميين، والتحق بجمعهم كثير من الساميين عندما غزوا مصر، فكان العنصر المركزي فيهم من الكنعانيين والأموريين.... وقد

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٤، ص ٥٤-٦٢.

كان الهكسوس دون البلاد التي فتحوها حضارة، فاقتبسوا الحضارة المصرية، وأصبح ملوكهم فراعنة مثل ملوك مصر. وقد أدخلوا بعض الأشياء الجديدة المهمة) إلى مصر (مثل استعمال الخيل للركوب والعربات الحربية التي تجرّها الخيول، مما ساعدهم على الفتح والقضاء على مقاومة المصريين. ويشير استعمالهم الخيل للركوب إلى علاقتهم بالأقوام الهندية الأوروبية التي جاءت منها موجات إلى أجزاء الشرق الأدنى في حدود هذا العهد، وكان للخيول عند الهكسوس مقام رفيع، وقد أدخل الهكسوس إلى مصر أيضاً السيف المقوّس المصنوع من الحديد، والقوس المركّب، وهو القوس الذي ظهر لأول مرة في العراق في عهد السلالة الأكادية^(١).

وفي المقابل، يقول أحمد سعد الدين في كتابه (فرعون ذو الأوتاد): (تشير الحفائر التي قامت في فلسطين إلى أن هناك وافرين جدداً من سوريا الشمالية ينتمون إلى سكان فلسطين الذين استقروا قبلهم بآلاف السنين قد نزحوا إليها في عصور تالية عن سابقهم، ويبدو أن الوافرين الجدد، هم عموريون وعماليق من القبائل المتجولة التي لم تكن قد استقرت بعد، وهؤلاء هم الذين وصلوا إلى دلتا النيل باسم العامو أو العماليق، وأطلق عليهم في عصور متأخرة عن ذلك اسم الهكسوس... وتدل الشواهد الأثرية أن الهكسوس العماليق قد تسلّوا إلى مصر ببطء وعلى مهل ولأغراض التبادل التجاري فقط... موطن هؤلاء الهكسوس-العموريون/العماليق هو شبه الجزيرة العربية، خاصة شمالها، بالإضافة إلى الشام والرافدين على اختلاف في أسبقية هجراتهم عن الأخرى^(٢)).

١. باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، ص ٧٧-٧٩.

٢. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٥٥-١٠٩.

وحول كيفية زيادة تغلغلهم في مصر إلى أن حكموها، قال: (بعد تفكك الأسرة الثانية عشرة، قد استغل حكام الأقاليم الوضع المتدهور وبدأوا يحكمون، كل في إقليمه في وقت واحد.. وكان تواجد هؤلاء الآسيويين قد ازداد غزارة في نهاية حكم الأسرة الثانية عشر... ومع نشوب الصراعات بين الأمراء على العرش، واستقلال حكام الأقاليم عن الحكم المركزي، وجد هؤلاء الآسيويون المتحالفون فرصة سانحة للاستقلال بحكم إقليمهم الذي استقروا فيه)^(١).

ومما يدل - بحسب سعد الدين - على تلاقي الدلائل الأثرية مع ما في التراث الإسلامي العربي من أن الهكسوس كان عرباً أنه قد ثبت في الآثار المصرية أن أول ملوك الهكسوس كان يُطلق عليه القبط المصريون القدماء اسم [ساناتي] وهو لدى المؤرخ [مانيتون] المصري القديم [ساليقي / ساليثيس]، بينما أطلق عليه المؤرخون المسلمون القدماء اسم [سنان] وهو قريب من النطق المصري [ساناتي]^(٢).

ثم استقرب سعد الدين أن يكون سنان هذا هو الملك الذي عاصر إبراهيم «عليه السلام» حين قَدِمَ إلى حدودها الشرقية من جهة فلسطين. ونقل كلام المؤرخ ابن الأثير الذي قال: (خرج إبراهيم «عليه السلام» مهاجراً من بابل بالعراق إلى القدس بفلسطين، ومرّ على مصر، وبها فرعون من الفراعنة الأول، وكان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح)^(٣).

ثم تحدّث سعد الدين عن تأسيس الهكسوس لمدينة (أواريس/أفارس) التي كانت

١. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ١٨٩.

٢. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ١٧٧-١٧٨.

٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٧٣.

التحديد الزمني

تقع في محافظة الشرقية بمصر، حيث منطقة (تل الضبعة) حالياً^(١)، وأن نبي الله يوسف «عليه السلام» عاش فيها، كما وُلد فيها موسى «عليه السلام»، وهناك أُلقي في اليم الذي يُقال إنه (ترعة السماعنة) والثُّقُط من قبل امرأة فرعون^(٢).

ومن الأدلة التي ساقها سعد الدين أن بين موسى ولاوي بن يعقوب جد واحد فقط وهو قاهث/قاهات، وأن هذا الجد قد جاء إلى مصر في عهد الملك الهكسوس الثاني وهو الريان بن الوليد. والنتيجة أنه يستحيل أن يكون موسى خارج نطاق عصر الهكسوس، لأن فترة الهكسوس في مصر قد امتدت على أرجح الأقوال إلى ما يقرب المائتين وخمسين سنة. ولذا فإن ولادة موسى «عليه السلام» قد تمت في عهد خامس أو سادس ملوك الهكسوس، والفترة بين وفاة يوسف ومولد موسى وهارون تنحصر في عقود قليلة قد تبلغ الخمس أو الست عقود فقط. ثم يحددها بحوالي ٦٤ عاماً، وذلك بالاستعانة بالأرقام التي ذكرتها التوراة لتحديد سنوات حياة آباء موسى «عليه السلام»، وسنوات ولادتهم^(٣).

وذهب سعد الدين إلى أن (فرعون) اسم من الأسماء الساميّة، وآرامي على وجه التحديد، وأنه يعني راعي أو أمير أو حاكم كبير، وقد تسمّى به حكام الهكسوس، وليس لقباً لملوك القبط الذين حكموا مصر القديمة، وأن علماء الآثار لم يجدوا أي دليل على وجود هذا العنوان عند ذكر أي حاكم قبطني لمصر^(٤).

ومما يؤيد ذلك -بحسب رأيه- أنه لم يُعرّف بـ (ال) في القرآن، ولو كان لقباً لقليل

١. أعلنت البعثة النمساوية سنة ٢٠١٠م عن اكتشافها أنقاض المدينة تحت الأرض.

٢. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٢١١-٢١٢.

٣. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٣٨٤-٣٨٦.

٤. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٤١٦-٤١٧.

(الفرعون) كما قال (الملك) عن الذي عاصره يوسف، وكما قال (العزیز) الذي اشترى يوسف. واستشهد بكلمات بعض المؤرخين المسلمين، كابن ظهيرة القائل: (فملك المصريين خمسة ملوك من العمالقة، ملك الوليد، ثم ملك ولده الريان -صاحب يوسف «عليه السلام»- ثم دارم، ثم كان خامسهم فرعون موسى)^(١).

ولابد من الإشارة إلى أن قوله بامتداد حكم الهكسوس قرابة ٢٥٠ سنة كلام غير دقيق، إذ أن حكمهم استمر قرابة ١٥٠ سنة، ومرّ معنا كلام الدكتور سليم حسن بهذا الخصوص، ويؤيّد آخرون في ذلك، كما أنهم لم يحكموا خلالها مصر بأكملها، بل حكموا شمال مصر (الدلتا)، أو أجزاء من هذا الشمال، وهي التي كانت تُعرف باسم مصر السفلى كما ذكرنا من قبل.

كما وأن قوله بأن (علماء الآثار لم يجدوا أي دليل على وجود هذا العنوان عند ذكر أي حاكم قبطي لمصر) كلام غير علمي ومخالف لما ذكره أصحاب الاختصاص، إذ يتفق الكثير من الباحثين على أن هذا العنوان مأخوذ عن كلمتي (بر عا) وهي كلمة مصرية معناها البيت الكبير أو البيت العظيم، وبدأ استعمالها خلال المملكة القديمة في مصر (حوالي ٢٧١٥-٢١٧٠ ق.م) للدلالة على القصر الملكي الذي كانت تصدر منه القوانين والأوامر، مثلما يقال الآن (صدر قرار من البيت الأبيض) أي من مقر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وكان يقال (صدر فرمان من الباب العالي) أي قصر سلطان تركيا العثماني. هذا المصطلح (بر عا = فرعون) أصبح -في عصر لاحق- لقباً لحكام مصر، بما في ذلك الحكام الغزاة من الفرس وغيرهم [انظر اللوحة رقم ٤٣]. وبحسب البروفيسور دوغلاس بتروفيتش المختص في تاريخ وآثار الشرق الأدنى

١. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٥٣٢، نقلاً عن الفضائل الباهرة ص ١٥.

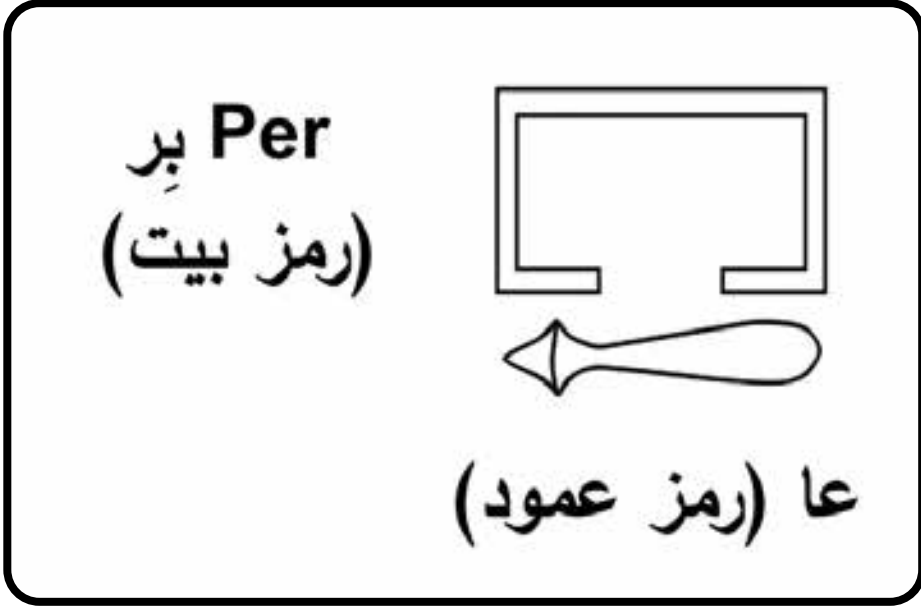
القديم فإن مصطلح (بر عا = فرعون) لم يتم استعماله كنعت للحاكم المصري إلا في وقت ما خلال منتصف الأسرة الثامنة عشرة، أي قبل فترة قصيرة من حكم تحتمس الثالث (فترة الحكم ١٤٧٩-١٤٢٥ ق.م.) وخلال الفترة التي تُعرف باسم عصر الرعامسة^(١)، وهي تسمية للحقبة الزمنية لحكم الأسرتين التاسعة عشر والعشرين. في هذا العصر غدا المصطلح (بر عا = فرعون) مستخدماً على نطاق واسع، ومن دون ذكر اسم الحاكم، وظل الأمر شائعاً بهذه الصورة، وفي فترات لاحقة تَمَّت إضافة اسم الحاكم بجانب اللقب. ولذا اعتبر بتروفيتش أن خلوّ النص التوراتي من ذكر اسم فرعون ليس من قبيل الصدفة، بل جاء متناغماً مع ما كان معهوداً في ذلك الزمان.

وأكد الدكتور جيمس هوفميير في كتابه (بنو إسرائيل في مصر) Israel in Egypt هذا الأمر، قال: (منذ نشأته حتى القرن العاشر قبل الميلاد، ورد مصطلح [فرعون] وحيداً دون وضع اسم صاحبه بجواره. ونجد ذات الشيء في العهد القديم)^(٢).

ويذكر قاموس الكتاب المقدس أنه في ذلك العهد - كما من قبله ومن بعده - كان للملوك مصر أسماء شخصية، مثل أمينوفيس ورمسيس وتحتمس وغيرها. ومع أن هذه الأسماء كانت تُستخدم دائماً في الأغراض الرسمية، وفي توقيع الوثائق، فإن اللقب الذي كان أكثر شيوعاً في مثل هذه الوثائق وفي الأحاديث اليومية، هو كلمة (فرعون). فمثلاً كتب عمّال طيبة/الأقصر الغربية إلى (فرعون سيدنا الصالح). ونجد العهد القديم/التنخ حتى زمن سليمان، يتبع هذه العادة الشعبية، فتستخدم اللقب (فرعون)

١. سميت باسم الرعامسة نسبة إلى من حملوا اسم رمسيس (بالمهيوغليقية: رع مس سيس وتعني ابن الإله رع) والذين حكموا مصر لمدة ٢٢٥ سنة؛ بداية من عهد رمسيس الأول عام ١٢٩٢ ق.م. وحتى رمسيس الحادي عشر والذي انتهى حكمه وانتهى معه عصر الرعامسة عام ١٠٧٧ ق.م.

2. Israel in Egypt: Hoffmeier, p 87.



اللوحة رقم ٤٣ : رمز (برعا) أي (فرعون)

مشفوعاً عادة بالعبرة العبرية (ملك مصر). وابتداء من الأسرة الثانية والعشرين، بدأ المصريون في إضافة الاسم الشخصي لفرعون إلى لقبه (فرعون). فقد وُجد اسم (فرعون شوشنق) منقوشاً على لوح حجري... ونجد هذا واضحاً في ذكر العهد القديم/ التنخ لأسماء ملوك مصر في الألف الأخيرة قبل الميلاد، مثل: (فرعون نخو).. و(فرعون حفراع).

ثم هل من المنطقي أن يقوم الملوك المصريون الذين جاءوا من بعد الهكسوس بتلقب أنفسهم باسم أو لقب لحاكم من الحكام الغزاة المحتلّين؟ أي ما الذي يدفع ملوك مصر القديمة الذين كانوا من أبنائها أن يلقبوا أنفسهم بعنوان (برعا = فرعون) إذا كان (فرعون) اسماً لأحد الملوك الهكسوس، أو لقباً له؟ هذا فرض بعيد جداً.

التحديد الزمني

ومثل سعدالدين، نجد الدكتور محمد راشد في كتابه (ملوك مصر القديمة) يقرّر وبضرس قاطع، أن الحاكم كان من الهكسوس (الرعاة العمالق) وقال: (أجمع المفسرون والإخباريون العرب وغيرهم ومنهم الطبري والثعلبي وابن ظهيرة وابن إياس والدينوري والجرجاني وابن خلدون على أن فرعون موسى من الرعاة العمالق الذين حكموا مصر بعد انهيار عصر الدولة الوسطى وهم الذين أطلق المصريون القدماء عليهم [الحقا خاسوت] أي حكام البلاد أو الأرض الجبلية، وحُرّف هذا الاسم إلى الهكسوس.... ويذكرون أنه قد ملك المصريين ستة ملوك من العمالق، وهم سنان، الريان بن الوليد، دارم أو داروم، معدانوس، قابوس أودريموس، وفرعون موسى الذي ذكره البعض باسم الوليد بن مصعب)^(١). وساق أدلة عديدة لإثبات صحة نظريته.

وأما محمد عبدالرازق جويلي في كتابه (محاكمة فرعون) فقد قطع بأن الوليد بن مصعب هو اسم فرعون موسى، قال: (وجدت أن أهم ما يمكنني أن أدافع عنه هو اسم فرعون موسى، الوليد بن مصعب، الذي هاجمه كثيرون، واعتبروه أكبر تحريف تاريخ مصر الخرافي الذي ذكره المؤرخون العرب.... لقد فاجأنا الطبري [٢٢٤هـ-٣١٠هـ] في تاريخه باسم فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب... وكذلك فعل اليعقوبي [المتوفى في ٢٨٤هـ] حيث ذكر نفس الاسم.. وذكر نفس الاسم المقريري [٧٦٤هـ- ٨٤٥ هـ] الملقب بعميد المؤرخين المصريين في العصور الوسطى) وساق أسماء أخرى للمؤرخين الذين قدّموا نفس المعلومة، ولهذا قال: (ولهذا وجدنا شبه إجماع لدى المؤرخين العرب القدامى ومفسي القرآن على اسم الوليد بن مصعب كفرعون موسى... لكن المفاجأة كل المفاجأة أن يكون هناك حديث لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكر

١. راشد: ملوك مصر القديمة، ص ١٦٢.

فيه اسم فرعون، وهو: [وُلد لأخي أم سلمة زوج النبي [ص] غلام، فسَمّوه الوليد، فقال النبي [ص]: سميتوه بأسماء فراعنتكم؟ ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شرٌّ على هذه الأمة من فرعون لقومه] (١).

وأما في الوسط غير العربي، فقد قام ديفيد روهل عام ١٩٩٥، أي قبل كل هذه الإصدارات العربية الحديثة التي ذكرناها، بمحاولة من جهته فتوصل إلى أن الملك ديدوموس الثاني (لعله قابوس أو دريموس كما ذكرنا من قبل) وذلك في الفترة الانتقالية الثانية والذي توفي عام ١٦٩٠ قبل الميلاد، هو فرعون الخروج، بما يعني أنه اعتبر أن موسى قد وُلد فعلاً في عهد حكم الهكسوس (٢).

والذي يلاحظ على ما سبق عدة أمور:

١. أن تناقل المؤرخين المسلمين لهذه المعلومة ليس دليلاً على صحتها، حيث أن أحدهم يأخذ عن الآخر.

٢. ليس في البين سندٌ أو مصدر واضح يُطمأن إليه، فقد ذكر ذلك الطبري في تاريخه، ومصدره محمد بن إسحاق: (حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: قبض الله يوسف، وهلك الملك الذي كان معه، الريان بن الوليد، وتوارثت الفراعنة من العمالق ملك مصر فنشر الله بها بني إسرائيل... فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام، متمسكين به، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه، ولم يكن منهم فرعون أعنى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه، وكان اسمه - فيما

١. جويلي: محاكمة فرعون، ص ١١٧-١١٨.

2. <https://theisraelbible.com/who-was-the-pharaoh-of-the-exodus>

ذكروا لي- الوليد بن مصعب^(١). ولا نعلم مصدر ابن إسحاق أو غيره في المعلومة التي قدّموها، ولربما كان ذلك من حكايا القصاصين أو بعض مسلمة اليهود الذين كانوا يكذبون على المسلمين في ما زعموا أنه من علوم أهل الكتاب.

٣. الطبري سبق نقله لكلام محمد بن إسحاق بأن جاء برأي مخالف، قال: (وقال غير ابن إسحاق... ثم ولد لعمران موسى... وكان فرعون مصر في أيامه: قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني)^(٢).

٤. واليعقوبي الذي سبق الطبري قال: (ثم ملك فرعون موسى، وهو الوليد بن مصعب، فاختلفت الرواة في نسبه، فقالوا: هو رجل من لحم، وقالوا من غيرها من قبائل اليمن، وقالوا من العمالقة، وقالوا من قبط مصر يقال له ظلما)^(٣). فمن هم الرواة مصدر هذه الأقوال؟ وما مدى وثاقتهم؟

٥. لو كان الأمر مجمعاً عليه أو شبه إجماع عند المؤرخين، فلماذا ذكر اليعقوبي اختلاف الرواة في ذلك؟ ولماذا نجد الطبري يذكر قولين في تحديد اسم فرعون موسى؟

٦. إهمال بعض الباحثين لهذا التعارض وتعدد الآراء يعدّ نحواً من التدليس في تقديم المعلومة، لاسيما مع استعمالهم عبارة (أجمع) المفسرون أو المؤرخون أو الإخباريون، أو كانوا شبه مجمعين على ذلك.

٧. وأما الرواية النبوية التي استشهد بها الجويلي فهي إن صحّ صدورها عنه «صلى الله عليه وآله»، فهي تدل على استنكار النبي لتسمية مولود على اسم أحد زعماء قريش

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧١.

٢. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧١.

٣. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٨٦.

المحاربين لله ولرسوله، وهو الوليد بن المغيرة، الذين أشبهوا فرعون موسى بالطغيان والاستكبار والإجرام، لا أنه يريد بقوله (فراعنتكم) أي فرعون موسى!

هذا كله لا يعني حتمية بطلان رأيهم، خاصة عندما نلاحظ أن عصر الحكام الهكسوس المشار إليهم يتناسب وسلسلة النسب التوراتية لموسى «عليه السلام»، إذ لا يفصله عن الملك الهكسوسي المعاصر ليسوف «عليه السلام» وأخيه لاوي (والد جد موسى) سوى ثلاثة آباء، أي ثلاثة أجيال، أي قرابة القرن فقط، بينما الفاصل الزمني بين يوسف ولاوي من جهة، وبين رمسيس الثاني أكثر من ثلاثة قرون!

ومع هذا كله، فإن اعتبار ما جاء في الكلمات السابقة لسعد الدين -ومن رأى رأيه- هو الرأي الصحيح وإلغاء أي احتمال آخر، يعتبر موقفاً بعيداً عن الصواب والمنهج العلمي في البحث والتحقيق. وأشعر أحياناً أن التعصب للانتماء الوطني، دفع ببعض الباحثين المصريين ممن أشرنا إليهم إلى نفي كون فرعون موسى (قبطياً/مصرياً) وأنه كان من المحتلين لها، وهذا واضح لمن يطالع مؤلفاتهم.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ المعايير التي استخلصتها من القرآن الكريم لتحديد هوية حاكم مصر على عهد النبي موسى:

١. وحدة شخصية الحاكم المعاصر للنبي موسى منذ ولادته «عليه السلام» إلى حين غرق هذا الحاكم، ويحمل لقب فرعون.

٢. دوام حكمه ٣٠ سنة على أقل التقادير وبما يتناسب مع عمر موسى بعد المبعث.

٣. ضعف الدولة المركزية أو انهيار الحكم بعد غرقه.

٤. تأليه نفسه.

٥. احتمال حرمانه من الذرية أو من الذكور إلى أن تبني موسى على الأقل.

٦. بقاء بدنه بعد موته غرقاً.

○ من خلال هذه المعايير تم تضيق دائرة البحث إلى أربعة حكام، هم: تحتمس الثالث - أمنتب الثالث - رمسيس الثاني - رمسيس الثالث، ومن ثم تضيقها أكثر والتوصل إلى أن أقوى المرشحين -إجمالاً- هو رمسيس الثاني، كما قال بذلك عدد من الباحثين المسلمين وغيرهم.

○ إلا أن اختيار رمسيس الثاني على أنه أقوى المرشحين يواجه بمشككتين، الأولى كثرة أولاده، والثانية الفاصل الزمني الكبير بين عهده وعهد لاوي والنبي يوسف ابني يعقوب والتي تمتد إلى قرابة ٣ قرون، والذي يبدو أنه كان في عصر حكم الهكسوس الغزاة، بينما تخبرنا التوراة أن بين موسى ويعقوب ثلاثة آباء فقط، وتمت معالجة هذين الإشكالين في هذا الفصل.

○ أما الرأي القائل بأن موسى عاش في زمن حكم الهكسوس فيتعارض -بحسب الظاهر- مع بالمعيار الأول الذي وضعناه -على الأقل- إذ من غير المنطقي أن يحمل الملك الغازي اسماً أو لقباً، هو فرعون، فيأخذ عنه المصريون بعد ذلك هذا اللقب ويطلقونه على حكامهم، والحال أن المصريين نقموا على الغزاة أشد نقمة ودمروا الكثير من آثارهم.

○ من خلال ذلك استقر بنا الزمن الذي ولد فيه النبي موسى، وأنه كان في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

التحديد الجغرافي

التحديد الجغرافي

• موضوعات هذا الفصل:

- استعراض لأهم ثلاثة عواصم اتخذت من قبل حكام مصر القدماء.
- محاولة تحديد اسم المدينة/العاصمة التي وُلد وعاش وترعرع فيها النبي موسى بناء على بعض القرائن، ومن بعد تحديد هوية فرعون موسى في الفصل السابق، حيث استقربنا أنه رمسيس الثاني.
- إطلالة على المدينة المختار أنها العاصمة التي عاش فيها النبي موسى، وما جاء المصادر الآثارية والتاريخية في وصفها ومميزاتها.
- الرد على مقولة أن أحداث حياة النبي موسى كانت في الجزيرة العربية، واليمن على وجه التحديد.

• تحدّيات في مواجهة التعيين:

- أين جرت أحداث ولادة موسى وطفولته وشبابه قبل أن ينتقل إلى مَدِين؟

في البين عدة احتمالات تتأثر -شئنا أم أبينا- بالتحديد الزمني للعصر الذي عاش فيه، وبتحديد هوية الحاكم المصري الذي عاصره، أو الحكام الذين عاصرهم، وذلك بلحاظ تعدد العواصم واختلافها من وقت إلى آخر، ومن حاكم إلى آخر.

وحيث يصعب تقديم جواب جازم حاسم بهذا الخصوص لافتقادنا لنص قرآني يتجاوز تحديد هذه البقعة الجغرافية بأكثر من كونها في مصر بدليل قوله «تعالى»: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وقوله «سبحانه»: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)، لذا فقد نواجه صعوبة في تحديد المدينة التي وُلد وعاش فيها المرحلة الأولى من حياته على وجه التأكيد والحثم.

• هل كان موسى من أهل اليمن؟

خاصة إذا أضفنا إلى ذلك ما طرحه الدكتور كمال الصليبي -وتبعه آخرون كفاضل الربيعي- من أن الجزيرة العربية، ولا سيما القسم الجنوبي منها، وخصوصاً اليمن، هي الأرض التي شهدت أحداث قصة النبي موسى «عليه السلام»، فإن قائمة الاحتمالات تزداد.

ولكن أطروحة الصليبي ومن تبعه ضعيفة بعدة لحاظات:

١. القرآن حسم المسألة في كون الأحداث قد جرت بمصر، وذكر فرعون حاكماً

١. يونس: ٨٧.

٢. الزخرف: ٥١.

لها، ومن البديهيّات أن هذين العنوانين لا يتبادر منهما إلا مصر الواقعة في الشمال الأفريقي، وفرعون كحاكم من حكام هذا البلد.

٢. احتجاج الصليبي وآخرون بوجود أسماء لمناطق أو مدن أو قرى مطابقة أو مشابهة لما في التوراة لا يعني أنها حدثت هناك، وذلك لعدة أسباب:

أ) انتقال قسم من اليهود إلى اليمن واستيطانهم فيها منذ ما يقارب ٣٠٠٠ سنة، وهو ما قد يجعلهم يطلقون أسماء من تراثهم الخاص على مناطق سكناهم. أي أن تسمية تلك المناطق المشابهة لما في التوراة أحدث منها. ونشهد أن في الولايات المتحدة مناطق كثيرة تحمل أسماء مدن ومناطق مذكورة في التوراة وغيرها. فمن الأسماء التوراتية: كنعان - يافا - جوشن/جاسان - حبرون/الخليل - جوردن/الأردن - سالم - شيلوه - جيروسليم/أورشليم - نمرود - جلعاد - موآب وغيرها كثير. ومن الأسماء العربية هناك ٤٩٣ موقعاً باسم لبنان. هناك ٢٨ موقعاً مأهولاً تحت اسم دمشق، وثمانية باسم طرابلس، وتسعة أطلق عليها اسم مكة، وثلاثة باسم غزة، وثلاثة باسم المغرب، وهناك نهر في بنسلفانيا يدعى بغداد، و٢٥ موقعاً باسم فلسطين. فهل هذا يعني أن أحداث التوراة وقعت في أمريكا؟

ب) من عادة الشعوب العربية وغيرها أن تطلق أسماء المناطق بحسب طبيعتها، كأن تكون منخفضاً، أو مسيلاً للماء، أو على حافة جُرف، أو في وادي، أو ذات رمال حمراء، أو صفراء، وهكذا. وهذه الصفات تتكرر في جغرافية المناطق التي تسكنها الشعوب المشتركة في اللغة أو المتقاربة بسبب وحدة أساسها اللغوي، ولذا قد تتكرر التسميات في مناطق متباعدة جداً.

فعندنا في الكويت منطقة المسيلة، والمسائل، وفي السعودية قرية المسيل، وأم المسائل في الأردن. وفي الكويت منطقة العارضية، وفي الرياض منطقة العارضية. وهناك الجوف اليمنية، والجوف السعودية. والبيضاء في اليمن وليبيا، والبيضا في الأردن.

من هنا يمكننا القول أن الاحتمالات في تحديد العاصمة المصرية التي ولد فيها أو بالقرب منها موسى «عليه السلام» وشهدت الأحداث التي تحدث عنها القرآن الكريم من بعد ذلك إلى خروج بني إسرائيل منها، ستعود لتقلص وتنحصر في أرض مصر فحسب.

بل إن مجموعة من النصوص والشواهد والقرائن ستقودنا في نهاية المطاف إلى أن نحدد أقوى الاحتمالات وأكثرها واقعية ومقبولية خاصة مع الاكتشافات الأثرية التي تمت خلال السنوات الماضية في المنطقة التي سنعتبرها هي فعلاً مهد النبي موسى «عليه السلام»، خاصة مع ما استقر به -من قبل- من أن فرعون موسى هو الحاكم الثالث من الأسرة التاسعة عشرة، ألا وهو رمسيس الثاني.

ولتكن لنا في البداية إطلالة على المسار الجغرافي الزمني لأهم ثلاث عواصم للأسر التي حكمت مصر قبل أكثر من خمسة آلاف سنة:

• واست-طيبة-الأقصر:

سُكنت هذه المدينة منذ حوالي ٥٢٠٠ سنة، وأطلق عليها المصريون القدماء اسم (واست) أي (مدينة الصولجان). ثم أطلق عليها الإغريق لاحقاً اسم Θῆβαι وتُلُفَظ ، التي تحوَّلت إلى (طيبة). وأطلق عليها العرب اسم (الأقصر)، لكثرة ما بها من قصور الفراعنة. تقع أطلال المدينة القديمة داخل مدينة (الأقصر) الحالية على نهر النيل على

بعد ٨٠٠ كم جنوب البحر الأبيض المتوسط [انظر اللوحة رقم ٤٤].

كانت عاصمة لمملكة مصر القديمة التي وحدها الملك مينا، ثم نقلها إلى منف في الشمال المصري. ثم عادت واست/طيبة/الأقصر لتكون العاصمة لفترات طويلة خلال عصور المملكة المصرية الوسطى والمملكة المصرية الحديثة.

• إنب حز/حج - منف - من نفر-ممفيس:

تُرجم اسمها المصري القديم الذي جعله الإغريق (ممفيس) إلى (الجران البيضاء) أو (القلعة البيضاء) أو (النصب الجميل). فبعد أن وحد الملك مينا جنوب وشمال مصر في دولة مركزية، أنشأ أو طور مدينة منف، ونقل العاصمة من طيبة إليها، حيث أراد الاقتراب من الوجه البحري ليكفل الإشراف عليه.

تقع أطلالها بالقرب من مدينة (ميت رهينة) الحديثة، على بعد ٢٠ كم جنوب الجيزة في القاهرة الكبرى، وهي تابعة لمركز البدرشين [انظر اللوحة رقم ٤٥]، وتُعتبر دهبور، أبو صير، أبو غراب، زاوية العريان، كلها داخل الحدود الإدارية التاريخية لمنف. خلال المملكة المصرية القديمة، أصبحت منف عاصمة لمصر القديمة لأكثر من ثماني مرات متتالية. في بداية المملكة المصرية الوسطى، انتقلت عاصمة الحكم إلى طيبة في الجنوب لبعض الوقت.

• حوت وعرت - أواريس - أفاريس:

اختارها الهكسوس عاصمة لهم. كانت هذه العاصمة تقع حيث (تل الضبعة) الآن، في المنطقة الشمالية الشرقية من دلتا النيل (محافظة الشرقية)، ويُعتقد أنها كانت أكبر مدينة في العالم من عام ١٦٧٠ إلى ١٥٥٧ قبل الميلاد. وقد أعلنت البعثة النمساوية سنة



اللوحة رقم ٤٤ : خريطة تحدد موقع مدينة الأقصر/طيبة



اللوحة رقم ٤٥ : خريطة تحدد موقع مدينة منف

٢٠١٠م عن اكتشافها أنقاض المدينة تحت الأرض، وتم نشر بعض الصور واستخراج بعض الآثار منها، وما زالت الاكتشافات تتوالى بعد أن كان خبر هذه المدينة -ولوقت طويل- مجرد معلومات نظرية [انظر اللوحة رقم ٤٦].

وقد قام رمسيس الثاني بإنشاء عاصمة جديدة لملكه بالقرب من أوريس، إلى الشمال منها، سمّاها (برعمسيس)، أي بيت رمسيس، واسمها الكامل (برعمسيس مري آمون) أي بيت رمسيس محبوب آمون. فصارت المدينة والعاصمة الجديدة كأنها توسعة للعاصمة القديمة، وبينهما ٢ كم أو أقل. ولذا اعتبرها بعض الباحثين بمثابة مدينة واحدة. وكما تم اكتشاف وتحديد موقع أوريس مؤخراً، تم اكتشاف وتحديد موقع وبعض آثار برعمسيس أيضاً [انظر اللوحة رقم ٤٧].

• الاحتمال الأقرب للصحة:

وإذا استثنينا العاصمة (منف) بالقرب من الجيزة، لأنها كانت عاصمة لدول قبل عصر موسى «عليه السلام» بكثير جداً، لذا ستنحصر لدينا الاحتمالات بين (طيبة) في صعيد مصر حيث الأقصر، و(أوريس) في محافظة الشرقية الحالية والتي تقع شمال شرق مصر حيث تل الضبعة حالياً... فأيهما أقرب للصحة؟

كنا قد استقربنا أن يكون رمسيس الثاني هو الحاكم المصري الذي عاصره النبي موسى «عليه السلام»، لذا فإن بحثنا سيدور حول المدينة/العاصمة التي عاش فيها هذا الحاكم، ولربما أكثر من مدينة، بلحاظ احتمالية نقل عاصمة الحكم لسبب أو لآخر. وإذا أخذنا بما جاء في التوراة، فإنها تحدد الموقع الجغرافي بعنوان (أرض جاسان)، بما يجعل الاحتمال الأقوى أن تكون المنطقة الجغرافية التي دارت فيها



اللوحة رقم ٤٦ : خريطة موقع مدينة أفارس / تل الضبعة



اللوحة رقم ٤٧ : خريطة موقع مدينتي بر رعسيس و أفارس

الأحداث هي شمال مصر، حيث الدلتا، ومحافظة الشرقية الحالية، ومدينة أواريس ثم بر رمسيس.

فقد تحدثت التوراة عن استقرار النبي يوسف «عليه السلام» في هذه الأرض، وعن طلبه من أبيه وإخوانه ومن يتعلّق بهم أن يقدموا عليه ويستقروا في تلك الأرض: (فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللَّهِ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبًا لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَتَمَتَّسَطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. أَسْرِعُوا وَاصْعَدُوا إِلَى أَبِي وَقُولُوا لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ ابْنُكَ يُوسُفُ: قَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ سَيِّدًا لِكُلِّ مِصْرَ. انْزِلْ إِلَيَّ. لَا تَقِفْ. فَتَسْكُنَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ وَتَكُونَ قَرِيبًا مِنِّي، أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَنُو بَنِيكَ وَغَنَمُكَ وَبَقَرُكَ وَكُلُّ مَا لَكَ)^(١).

وهكذا استقر بنو يعقوب (إسرائيل) في أرض جاسان من مصر، وعن هذه الأرض يقول قاموس الكتاب المقدس: (أرض جاسان.. وهي منطقة خصيبة في مصر، كثيرة المرعى للقطعان والمواشي، واقعة شرق الدلتا. وهي المعروفة الآن بـ [الشرقية]... وقد أعطاها يوسف لأبيه وإخوته، فسكنوا فيها هم وذريتهم من بعدهم نحو مائتي سنة. وكانت تُعدّ من [أفضل الأرض]... وهناك استقبل يوسف أباه وإخوته لما حضروا من أرض كنعان... وفي وقت اضطهادهم كان الشعب مقيماً هناك، وهي المنطقة التي سكن فيها بنو إسرائيل في مصر)^(٢).

وهذا يقوّي الرأي المشهور القائل بأن أحداث قصة النبي يوسف «عليه السلام» -ولربما إبراهيم «عليه السلام» أيضاً- وقعت خلال حكم الهكسوس، لأن أواريس

١. الكتاب المقدس: سفر التكوين، الإصحاح ٤٥: ٨-١٠.

2. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/05_G/G_013.html

التحديد الجغرافي

الواقعة في أرض جاسان كانت عاصمتهم. وإذا قلنا بأن رمسيس الثاني هو فرعون المذكور في القرآن الكريم، فستكون أحداث قصة موسى «عليه السلام» قد وقعت هي أيضاً في أورائس وبر رمسيس المجاورة لها، وكلتاها في أرض جاسان، حيث اتخذهما رمسيس الثاني عاصمة له لاحقاً أيضاً. وهكذا الأمر إذا قلنا بأن فرعون كان من الهكسوس لا من الحكام المصريين.

والتوراة تصرّح بأن أحداث قصة موسى جرت في أرض جاسان، فبينما هي تتحدث عن الآيات التي أنزلت على موسى «عليه السلام» ضمن مواجهته لفرعون ومن والاه قالت: (فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لَا تُطْلِقُ شَعْبِي، هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ عِبِيدِكَ وَعَلَىٰ شَعْبِكَ وَعَلَىٰ بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الْأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا. وَلَكِنْ أُمَيِّزُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ ذُبَّانٌ. لِكَيْ تَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فِي الْأَرْضِ)^(١)، فعبارة (الْيَوْمَ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ) واضحة الدلالة على ذلك من دون شك.

ويتكرر الأمر من جديد في الإصحاح التاسع: (فَضْرَبَ الْبَرْدُ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّائِسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضْرَبَ الْبَرْدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ. إِلَّا أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرْدٌ)^(٢).

يضاف إلى ذلك ما ذكرناه من قبل من تصريح التوراة بأن بني إسرائيل أجبروا على بناء مدينة رعمسيس، وهي (بر رعمسيس) المجاورة لأورائس أو بمثابة امتداد لها: (فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هُودَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا. هَلُمَّ نَحْتَالْ لَهُمْ لِكَلًّا

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٨: ٢١-٢٢.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٨: ٢٥-٢٦.

يَنُمُوا، فَيَكُونُ إِذَا حَدَّثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضُمُونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الْأَرْضِ». فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يَذْلُوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ، فَتَنُوا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتِي مَحَازِنَ: فَيْثُومَ، وَرَعْمَسِيسَ^(١).

ولربما يؤيد أن أواريس بامتدادها الجديد في بر رعمسيس هي المدينة المقصودة، ما جاء في قوله «تعالى»: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢)، لأن بناء القصور والمعابد الضخمة وأسوار المدينة في هذه المنطقة اعتمد بشكل كبير على اللبن (الطوب) المحروق، وهذا هو المقصود في الآية الشريفة في قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ على خلاف المعهود في المناطق الوسطى والجنوبية من مصر، حيث كان البناء معتمداً على الحجارة، علماً بأن هذا يمثل سبباً من أسباب اندثار الكثير من آثار مدن الدلتا، على خلاف الآثار الحجرية للمناطق الوسطى والجنوبية في مصر [انظر اللوحتين رقم ٤٨-٤٩].

وهذا أيضاً ما تدل عليه التوراة: (فَاسْتَعْبَدَ الْيَصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وَمَرَرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللَّبْنِ)^(٣).

• إطلالة على أواريس:

عرفت منطقة الدلتا في ذلك الزمان سبعة أفرع لنهر النيل، بعمق واتساع كبيرين، بخلاف ما هو الوضع في هذا العصر حيث اختفت خمسة من هذه الأفرع، وتغير مسار

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١، ٩-١١.

٢. الزخرف: ٥١.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٣-١٤.



اللوحه رقم ٤٨ : لوحه أثريه تمثل عمل العبيد في صناعة اللبن



اللوحه رقم ٤٩ : لوحه أثريه تمثل عمل العبيد في صناعة اللبن

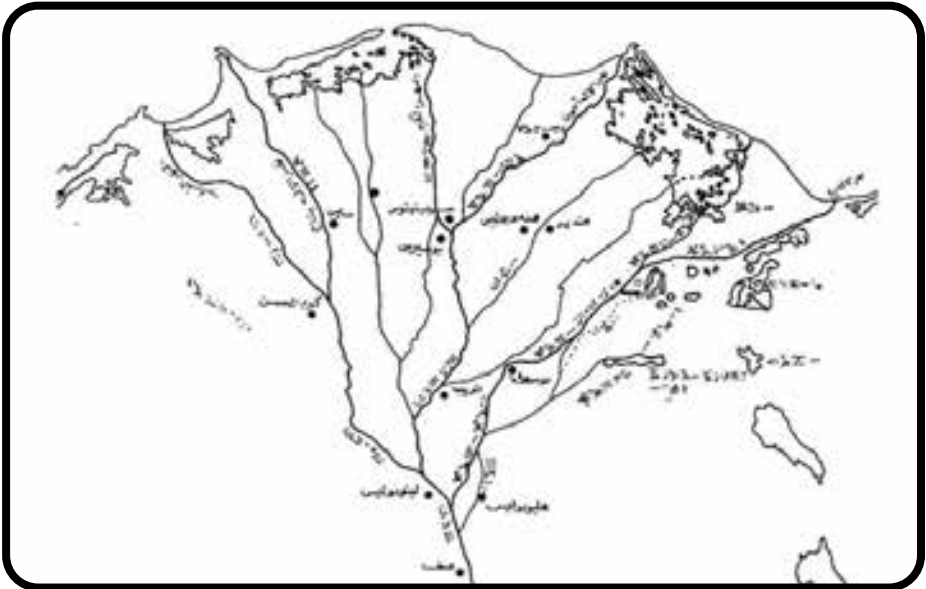
اثنتين منها مقارنة بما كان عليه الوضع على عهد النبي موسى «عليه السلام» [انظر اللوحتين رقم ٥٠-٥١]. وقد تم بناء مدينتي أواريس وبررعمسيس على الفرع (الثانيسي/ التنيسي) لنهر النيل وفقاً لمساره في ذلك العصر. وتدل الآثار المكتشفة على أن الوجود البشري في أواريس ممتد جداً عبر الزمن، ويعود إلى عصر الدولة الوسطى، ويشهد على ذلك وجود المعابد والقصور من الأسرة الثانية عشرة، معظمها في الشمال الشرقي.

وعندما وصل الهكسوس إلى السلطة (الأسرة الخامسة عشر)، توسعت المدينة باتجاه الجنوب والشمال الشرقي، وتم بناء مجمعات فخمة جديدة. وعندما هُزم الهكسوس، بقيت المدينة مأهولة، كما تم توسيع القصور خلال عهد الأسرة الثامنة عشر. خلال فترة الاستيطان المتأخر للمدينة، في نهاية الأسرة الثامنة عشر، بنى الملك حورمحب سوراً دفاعياً في شمال المدينة.

يقول الدكتور (حمزة بك) حول علاقة الأسرة التاسعة عشرة بمنطقة الدلتا واتخاذ عاصمة فيها: (والظاهر أن «سيتي الأول» كان أول من أقام فيها قصراً ليجعله مكاناً لراحته بعد عودته من حروبه في «آسيا»، ولما جاء عهد «رعمسيس الثاني» رأى أنه تسهياً للقبض بيد من حديد على ممتلكاته في «آسيا»، وتخليص البلاد من غارات الساميين المتتالية أن يترك مقره في «طيبة»، ويجعله في الدلتا على مقربة من «فلسطين» ليقمع أي ثورة في مهدها؛ ولذلك يُعدّ من الأمور الهامة في حكم «رعمسيس الثاني» انتخاب موقع «قنتير» حيث بررعمسيس سابقاً (ليكون مقره الملكي في الدلتا. والواقع أننا وجدنا في الحقول والبيوت عوارض أبواب، وعتب نقش عليها اسمه، هذا بالإضافة إلى مئات القراميد، والزهريرات المصنوعة من الخزف، والأشكال التي كانت تؤلف جزءاً هاماً في تزيين القصر وزخرفته، على أن وجود مئات القوالب من



اللوحة رقم ٥٠ : خريطة تبين مسار نهر النيل وفرعاه الحاليان



اللوحة رقم ٥١ : خريطة تبين الأفرع السبعة القديمة لنهر النيل

الفخار المطلي باسم «سيتي الأول»، و«رعمسيس الثاني»، و«مرنبتاح الأول»، و«سيتي الثاني»، و«رعمسيس الثالث»، و«رعمسيس السابع»، و«رعمسيس العاشر» لبرهان على أن هؤلاء الفراعنة كانوا يقطنون في هذا القصر الذي كان يُجلى بمنتجات مصنع خاص؛ وذلك ليكونوا على اتصال بأملاكهم الآسيوية.... كان «سيتي الأول» هو مبتكر هذه السياسة الحكيمة المثمرة في أول عهده؛ لأنه وجد أن حدود بلاده الشرقية كانت مهددة بالساميين المغيرين الذين كان يطلق عليهم اسم «شاسو»^(١).

كانت أواريس موقعاً محورياً لطرق التجارة المهمة إلى البحر الأبيض المتوسط، وإلى الداخل المصري، وأرض كنعان (فلسطين)، بالطرق المائية والبرية. وتبين الاكتشافات الأثرية أن المدينة كانت قد أقامت علاقات مع بلاد البحر الأبيض المتوسط، وهذا التواصل يعني أن المدينة كانت مجهزة بميناء كبير جداً، وأن الفرع النهري الذي كانت تقع عليه كان فرعاً واسعاً وعميقاً. وقد كشفت إعادة بناء المناظر الطبيعية القديمة خلال عهد الهكسوس والمملكة الحديثة عن نظام للقنوات المائية معقد للغاية، وأهم المباني قريب من القنوات المائية فيها. كما تذكر إحدى التُصُب التاريخية أن أواريس كانت مكان رسو الأسطول العسكري للهكسوس.

وصلت أواريس إلى أقصى حدّها من الازدهار مرتين، الأولى خلال الأسرة الخامسة عشرة، والثانية خلال فترة الرعامسة. وجاء في وصف تاريخي قديم لعاصمة رمسيس الجديدة: (وسفنها تروح وتغدو في الميناء، وهي المدينة التي يجتمع فيها مُشائك أي مشاة رعمسيس (وفيها ترسو سفن جنودك عندما تأتي محملة بالجزية)^(٢).

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٦، ص ٢٨٥.

2. <https://www.hindawi.org/books/95193528/6/>

وقد وصلت إلينا الأوصاف التالية حولها في خطابات نموذجية كانت تُدرّس في المدارس للنشء الحديث، ومن ذلك ما جاء في واحد منها: (تحية أخرى لأستاذي أخبره فيها أنني وصلت «بررعسميس»... وقد ألفيتها غاية في الازدهار. حقًا إن موقعها جميل منقطع النظير، وهي شبيهة «بطيبة»، وقد أقامها «رع» نفسه. ومقرّ الملك تُحب الإقامة فيه؛ فحقوله مملوءة بكل شيء طريف، ومجهز بالأغذية الوفيرة يوميًا، ومياهه الخلفية تزرع بالسّمك، وبركه مزدحمة بالطيور، ومراعيه نضرة أعشابها. وطعم فاكهته المغروسة في حقوله كالشهد بعينه، ومخازن غلاله مكدّسة بالقمح والشعير، وتناهض عنان السماء في سموها، والبصل والكراث طاقات أزهار في الخميلة.... وفيه الرمان، والتفاح، والزيتون، والتين من البستان، ونبيذ «كنكي» الحلو الذي يفوق الشهد، والسّمك الأحمر من بحيرة مقرّ الملك، والناس يعيشون على البشنين^(١)، وعلى أنواع عديدة من السمك المختلفة أسماؤه مما يخرج من مياه «عظيمة الانتصارات») لقب العاصمة (أما مياه «حور» فيستخرج منها الملح والنظرون^(٢))، وسفنها تروح وتغدو إلى الميناء، والطعام الوفير فيها كل يوم. حقًا إن الإنسان ليبتهج بالسكنى فيها؛ إذ لم ينقصها رغبة تخطر على بال راغب، وقد تساوى فيها الصغير مع العظيم... وشباب «عظيمة الانتصارات») يعني العاصمة (في ملابس عيد يوميًا، وزيت الزيتون الحلو على رءوسهم التي رُجل شعرها^(٣)) حديثًا؛ ويقف الأهلون بجانب أبوابهم وأيديهم مثقلة بالأزهار النضرة، وبالخضر من بيت «حتحور»، وبطاقات الأزهار من مياه «بحر»

١. البشنين: زهرة اللوتس الأزرق المصري التي تظهر بكثرة في التراث المصري القديم.

٢. النظرون مزيج من ملح كربونات الصوديوم مع بيكربونات الصوديوم وكان يستخدم في صناعة الصابون بإضافة الزيت إليه.

٣. أي مشط الشعر.

وقد كان كل فرد متفقاً مع زميله في إعلان مطلبه في اليوم المخصص لدخول «وسر ماعت رع ستين رع» أي رمسيس الثاني («منتو») أي إله الحرب (رب الأرضين... وكانت جرع كئوسها مثل «شاع»، أما شرابها المسمى «خور» فطعمه مثل طعم شراب «إنو» يفوق الشهد حلاوة، وجعة «كليكي» تُجلب إليها من الميناء، والنبيد من الكروم، وعطور مياه «سجين» اللطيفة، وأكاليل من الخميطة، والمغنون والمطربون كانوا من «عظيمة الانتصارات» من الذين تعلموا في «منف»، فاتخذها إذاً موطناً، فكن سعيداً فرحاً فيها، ولا تغادرها يا «وسر ماعت رع ستين رع»، يا «منتو» يا رب الأرضين «رعمسيس» محبوب «آمون» يا أيها الإله^(١).

وهذا يتناسب مع الوصف القرآني: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾^(٢). ولذا أيضاً نجد طغيان فرعون واضحاً في كلماته حيث يقول بحسب الوصف القرآني: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣)، فالمسألة ليست مجرد جريان الأنهار من تحته، بل ما يستتبع ذلك من آثار مدنية كبيرة جداً، يضاف إليها ما تم بناؤه من قصور ومعابد ومسلات وتماثيل ومنحوتات أبهرت وما زالت تبهر العالم إلى هذا اليوم، مما تم إنجازه في عهد رمسيس الثاني، سواء في هذه العاصمة، أو في العاصمة الجنوبية طيبة/الأقصر.

ويذكر الدكتور سليم حسن ضمن وصفه للحالة المدنية إبان عصر رمسيس الثاني أنه -بالإضافة إلى عاصمته الجديدة- قد بنى مُدناً أخرى جديدة في مختلف جهات

1. <https://www.hindawi.org/books/95193528/6/>

٢. الدخان: ٢٥-٢٧.

٣. الزخرف: ٥١.

القطر، وبخاصة في الدلتا، كما أضاف مباني جديدة في المدن القديمة، فقد أضاف كثيراً في مباني مدينة تانيس/صان الحجر/صوعن الواقعة على بعد ٣٠ كم من عاصمته الجديدة [انظر اللوحة رقم ٥١]، ومدن وادي «طميلات» إلى الشرق من الدلتا.

كما استمر في إقامة العمائر في بلاد النوبة السفلية -أي شمال النوبة- حتى الشلال الثالث، إلى أن استكمل تشييدها. وأقام رمسيس الثاني في هذا الجزء من إمبراطوريته ما لا يقل عن خمسة معابد نحتها في الصخر، وقد كان بطبيعة الحال من مستلزمات بقائها إقامة مساكن تابعة لها لتقوم على تعميدها، وأداء الشعائر المفروضة فيها، كما كانت توضع حاميات من الجنود للسهر على المحافظة عليها، كل ذلك كان مؤداه إنشاء بلدة بجوار كل معبد.

ويضيف الدكتور سليم حسن أنه لا يسع المرء أمام كل هذه المباني الهائلة الضخمة التي نحتها رمسيس الثاني في جوف الصخر إلا أن يُبدي دهشته وعجبه من جديد متسائلاً عن عدد الأيدي العاملة التي سُخِّرت للقيام بإتمام مثل هذا العمل الجبار من قاطعي أحجار، وبنائين، وحقارين، ورؤساء عمال، وكذلك من التلاميذ الذين كانوا يتلقون الدروس في المدارس الخاصة بالبناء، والتلوين، والنقش، هذا إلى الرُسمين الذين كانوا يُكَلَّفون وضع التصميمات، وملاحظي العمل، والمفتنين الذين كانوا ينحتون التماثيل ويصقلونها، فكل هذه الأعمال تحتاج إلى عدد هائل من الأيدي العاملة المدربة من أهل البلاد، وغيرهم من الأجانب [انظر اللوحات رقم ٥٢-٥٦].

لقد أُنشئت في عصر رمسيس الثاني عمائر على نطاق ضخم لم يشهد العالم ما يماثله في اتساع رقعته وعظمته في كل أرجاء الوادي، وقام بإتمام العديد من المباني التي بدأها والده، ثم شيد العمائر لنفسه ولآلهته في كل بلدة عظيمة في أنحاء الوادي على وجه



اللوحة رقم ٥٢ : خريطة تحدد موقع مدينة تانيس بالنسبة إلى أوريس

التقريب من أول الدلتا شمالاً حتى الشلال الثاني جنوباً، فنراه يقيم المعابد الجديدة من جهة، ويصلح المعابد التي كانت قد هُدمت مع الزيادة في رقعتها، ونقش اسمه عليه. ويدل ما بقي لدينا حتى الآن من الآثار التي أقامها في (منف) و(هليوبوليس/ عين شمس) على أنها كانت غاية في الفخامة وال ضخامة.

وقد استغلّ رمسيس الثاني بشكل كبير مناجم الذهب الغنيّة في (وادي علاقي) الواقعة على بُعد ١٨٠ كم جنوب أسوان ضمن حدود السودان حالياً، كما استغلّ مناجم شبه جزيرة سيناء^(١) [انظر اللوحة رقم ٥٧].

١. حسن: موسوعة مصر القديمة، ج ٦٤، ص ٦٠٤-٦١٤ مع الاختصار.



اللوحة رقم ٥٣ : من الآثار الضخمة لرمسيس الثاني



اللوحة رقم ٥٤ : من الآثار الضخمة لرمسيس الثاني



اللوحة رقم ٥٥ : مقبرة أولاد رمسيس الثاني



اللوحة رقم ٥٦ : تمثال رمسيس الثاني في المتحف بالحجم الهائل



اللوحة رقم ٥٧ : خريطة لموقع وادي علاقي وطميلات ومدينتي أسوان ومنف

كل ما سبق يقدم تصوراً إجمالياً حول المستوى المادّي الذي بلغته مصر في العصر الذي بُعث فيه النبي موسى (ع) وواجه فيه طاغوتاً بهذه القوة وبهذه القدرة والإمكانات.

وفي نهاية الأسرة العشرين، حوالي ١١٠٠ قبل الميلاد، تم التخلي عن المدينة -على الأرجح- بسبب تراكم الطمي في فرع نهر النيل الذي تقع عليه. ويبدو أن تدهور المدينة يتزامن مع الاختفاء التدريجي البطيء لهذا الفرع النهري.

وبقيت المدينة مهجورة قرابة ٥٠٠ سنة، إلى أن تم إعادة تنشيط الممر المائي، على عهد الأسرة ٢٦ (السايسية) وعهد الحكم الفارسي إلى العصر البطلمي المبكر.

عندما انتقل سكانها إلى تانيس، ، تم أيضاً نقل العديد من المعالم الأثرية من بر

رعمسيس. أدى ذلك إلى الاعتقاد بأن تانيس هي بر رعمسيس، وذلك بسبب العدد الكبير من الآثار والنقوش الموجودة فيها، ولكن الحقيقة أنها الموقع البديل بعد هجران الموقع الأصلي للمدينة.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ ردّ مقولة أن أحداث حياة النبي موسى كانت في الجزيرة العربية، واليمن على وجه التحديد.

○ الأصح والأوفق بمختارنا لشخصية فرعون أن تكون مدينة أواريس -وضاحتها الجديدة (بر رعمسيس)- في الشمال المصري ضمن منطقة الدلتا هي التي شهدت أحداث حياة النبي موسى منذ ولادته إلى خروجه إلى مدين قبل المبعث، وكان الهكسوس قد اتخذوها عاصمةً لهم من قبل.

○ اعتُبرت مدينة أواريس أكبر مدينة في العالم في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، وعُرفت بقنواتها المائية ومينائها الكبير ومركزها المهم والحيوي اقتصادياً وأمنياً للدولة المصرية.

○ الأوصاف التي وصلتنا ضمن خطابات نموذجية كانت تُدرّس في المدارس للنشء قديماً حول مدينة أواريس تكشف عن مدى الرخاء الذي نعم فيه أهل مصر على عهد النبي موسى والحاكم المعاصر له.

٦

مولده

مولده

• موضوعات هذا الفصل:

- مقدمة حول الظروف التي أحاطت ببني إسرائيل المتواجدين في أواريس من مصر، وزامنت ولادة النبي موسى، وأوضاعهم، والصعوبات التي عانوا منها، بما في ذلك التسخير والاضطهاد وقتل الأولاد مما حكاه القرآن، وأسهمت في بيانه التوراة.
- الأسباب السياسية والأمنية والدينية التي دفعت بفرعون لقتل أولاد بني إسرائيل.
- بيان كيف مكر الله بفرعون فأهلكه بنفس وسيلة قتل الموالي.
- عرض مقارنة بين السردية التوراتية والقرآنية للمولد وأهم الاختلاف بينهما.
- تحديد هوية من التقط موسى من الماء، والحديث عن شخصية ابنة فرعون في التراث اليهودي.
- استعراض لبعض الأساطير المبثوثة في المصادر التراثية الإسلامية وبيان مصادرها وعوامل اقتحامها هذا التراث.

• أوضاع بني إسرائيل قبل المولد:

ابتدأت التوراة الحاضرة قصة ولادة موسى «عليه السلام» بالتذكير بسبب وجود بني إسرائيل في مصر: (وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَ. مَعَ يَعْقُوبَ...) (١)، ثم تذكر أسماء أولاده الاثني عشر، وأن عددهم عندما جاءوا بمعية أزواجهم وأولادهم واستقروا بمصر -بالإضافة إلى يوسف- قد بلغ السبعين: (وَكَاثَتْ جَمِيعُ نَفُوسِ الْخَارِجِينَ مِنْ صُلْبِ يَعْقُوبَ سَبْعِينَ نَفْسًا. وَلَكِنْ يُوسُفُ كَانَ فِي مِصْرَ) (٢).

ثم تتحدث التوراة عن نمو هذا العدد بشكل كبير بعد وفاة الجيل الأول من بني إسرائيل: (وَمَاتَ يُوسُفُ وَكُلُّ إِخْوَتِهِ وَجَمِيعُ ذَلِكَ الْجِيلِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وَكَثُرُوا كَثِيرًا جَدًّا، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) (٣)، ومن الطبيعي أن يكون الملك الذي أكرم يوسف ووالديه وسائر أفراد أسرته ورحّب باستقرارهم في مصر قد مات أيضاً، ويشير النص إلى أن أحد الحكام الذين أعقبوا ذلك الملك لم يكن على علاقة ودّية مع بني إسرائيل، ولا يكنّ التقدير ليوسف الذي خدم الدولة آنذاك أيما خدمة، وأنقذها من أخطار محدقة بها وأحسن إدارتها: (ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ) (٤)، ولربما تكون عبارة (لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ) مرشدة إلى التبدّل النوعي للحكام، وليس فقط تبدّل الحاكم، أي قد انتقل الحكم من الهكسوس إلى خصومهم من أهل الأرض الأصليين، وعليه فقد أخذت السلطة الحاكمة الجديدة موقفاً عدائياً من بني إسرائيل بلحاظ تحالفها السابق مع النظام

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ٥.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ٦-٧.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ٨.

(الهكسوسي): (فَقَالَ لِشَعْبِهِ: هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا)^(١).

ولا يخفى ما في هذه العبارة من تضخيم ومبالغة معتادة من قبل اليهود، وستكرر معنا ضمن سرد أرقام خيالية سنناقش -لاحقاً- مدى إمكانية كونها حقيقية. وأقصى ما يمكن ادعاؤه هنا أن عدد بني إسرائيل كان كبيراً في خصوص المدينة-العاصمة التي كان يستقر فيها فرعون، وأن عددهم تجاوز عدد أصحاب الأرض، لا في كل مصر بحدودها الممتدة، بما يهدد الأمن الداخلي، وهو ما يشكل مبرراً كافياً لفرعون كي يصدر أمره باستضعاف بني إسرائيل وتسخيرهم والسعي لتقليل نسلهم، خوفاً من تحالفهم وانضمامهم إلى أعداء (الدولة) في أية حرب مستقبلية، وعودة مصر من جديد للوقوع تحت نير الاحتلال: (هَلُمَّ نَحْتَالْ لَهُمْ لِيَلَّا يَنْمُوا، فَيَكُونُوا إِذَا حَدَّثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُّونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَضَعُدُونَ مِنَ الْأَرْضِ)^(٢). وتم تنفيذ هذا المخطط ضمن السيناريو التالي:

١. استعباد وعنف: (فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ.... كُلَّ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا)^(٣).
٢. تسخيرهم في أعمال البناء والزراعة: (فِي الطِّينِ وَاللَّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ)^(٤). (فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْنِ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعْمَسِيْسَ)^(٥).
٣. تعيين مسئولين مهمتهم إدارة عملية التسخير هذه مع الإمعان في الإذلال

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٠.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٣-١٤.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٤.

٥. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١١.

والإهانة: (فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤْسَاءَ تَسْخِيرٍ لِّكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ)^(١).

٤. وكان من المتوقع أن يؤدي هذا التسخير والإذلال إلى التأثير على الحياة الاجتماعية الخاصة ببني إسرائيل، بما يؤدي في نهاية المطاف إلى خلق مشكلات أسرية وانقطاع أو شبه انقطاع العلاقة بين الأزواج، ومرض أو موت الذكور المسخَّرين بسبب الإجهاد الشديد، بما يخفِّض من أعدادهم، إذ بالأمر تسير على عكس ذلك تماماً: (وَلَكِنْ بِحَسَبِ مَا أَذَلُّوهُمْ هَكَذَا نَمَوْا وَامْتَدُّوا)^(٢). وصار هذا جرس إنذار لاتخاذ قرارات أشد عنفاً ووحشية: (فَاخْتَشَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)^(٣)، ومن هنا، أصدر فرعون أمراً بإبقاء المواليد الجدد من الإناث على قيد الحياة، وقتل كل مولود ذكر: (وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتِي الْعِبرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الْأُخْرَى فُوعَةُ، وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَاهُ»)^(٤)، ولعل هذا هو التفسير الأصح لجملة ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ في القرآن الكريم حيث قال «تعالى»: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥)، أي يبقين على قيد الحياة، في مقابل قتل الأبناء الذكور، لا بمعنى الاسترقاق والسبي، وفي ذلك قال العلامة الطباطبائي: (استحياء النساء: إبقاء حياتهن)^(٦). نعم، يمكن أن يقال أن إبقاءهن على قيد الحياة جعلهن لاحقاً في معرض التسخير من خلال الاسترقاق أو غير ذلك.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٣.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٣.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٥-١٦.

٥. القصص: ٤.

٦. الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٨.

٥. إجراء تعديل على القرار الصادر مسبقاً بحق الأطفال، فبعد أن كان الأمر قد صدر للقابلتين فقط للتخلص من المواليد الذكور، وعدم نجاح هذا الإجراء: (وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللَّهَ وَلَمْ تَفْعَلَا كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَتَا الْأَوْلَادَ)^(١)، وبعد استدعاء القابلتين واستجوابهما من قبل فرعون وتحججهما بأن (النساء العبرانيات لسن كالمصريات، فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة)^(٢)، صدر تعميم لكل الشعب المصري يتضمن التخلص من المواليد الذكور وقتلهم بإغراقهم في النهر: (ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلًا: «كُلُّ ابْنٍ يُوَلَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لَكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا»)^(٣).

ومن المحتمل أن يكون الدافع الديني لفرعون هو الذي جعله يحدّد طريقة التخلص من الأولاد الذكور، حيث اعتبرها فرصة لتقديم قربان للنهر المقدس، أو لإله النهر: (كنوع من الهدايا وإكرام للنهر المعبود، بقتل الأعداء المحتملين)^(٤) للعقيدة الشركية.

• المكر الإلهي:

وعلى الرغم من الإجراءات التعسفية التي اتخذها فرعون للتخلص من المواليد الذكور، جاءه المكر الإلهي من حيث مكر هو ببني إسرائيل! فبينما كانت وسيلة التخلص من المواليد الذكور بإلقائهم في النهر، إذا بالمولود (موسى) يقتحم عالم فرعون

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٧.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ١٩.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١: ٢٢.

4. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-sir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefer-El-Khoroug/Taf-seer-Sefer-El-Khoroug__01-Chapter-01.html

من النهر نفسه، ويسخر الله نفس هذا الطاغوت ليكون سبباً لأن يعيش هذا المولود الذَّكر من ذرية يعقوب «عليه السلام» في قصر فرعون، ويتنعم بأمواله، ويكتسب مكانة اجتماعية من خلاله، ويكون -خلال طفولته المبكرة- في أحضان والدته التي تحصل على أجره الرضاع من كيس فرعون، ثم يتحوّل إلى عدو لهذا الطاغوت، وسبب لهلاكه لاحقاً، وبالموت غرقاً في الماء !

وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم إذ قال «سبحانه»: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١)، أي كانت مآلات الأحداث أن أصبح موسى «عليه السلام» عدواً وحزناً لآل فرعون في نهاية المطاف وهم الذين أرادوا من قبل أن يكون لهم قرة عين: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

لقد جاءت مجريات الأحداث كمصادق من مصاديق قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٣).

• قصة المولد في التوراة:

وتصف القصة التوراتية الأحداث كالتالي: (وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَآوِي) أي عمران/ عمران بن قاهت/ قهاث بن لاوي بن يعقوب «عليه السلام» (وَأَخَذَ بِنْتُ لَآوِي. فَحَبَلَتْ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، حَبَّأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمَكِّنْهَا أَنْ تَحْبَبَهُ

١. القصص: ٨.

٢. القصص: ٩.

٣. الأنفال: ٣٠.

بَعْدُ) بلحاظ نموّه ولربما تشديد الرقابة والتجسس (أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ^(١)) [انظر اللوحة رقم ٥٨] (وَطَلَّتُهُ بِالْحُمْرِ^(٢) وَالزَّفَرِ، وَوَضَعَتْ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ) يمكن أن تطلق كلمة الحلفاء على عشبة الحلفاء تُعرف أيضاً بالإذخر المكيّ، أو حلفا بر، أو حشيشة الليمون. نبات معمّر غليظ الأصل، يصل ارتفاعه إلى مترين، كثير الفروع، دقيق الورق، طيب الريح، ثقیل الرائحة عطري، وأجوده الحجازي ثم المصري.

وقد روي عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: (لما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة يوم افتتحها فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ماذا تقولون وماذا تظنون؟ قالوا: نظن خيرا ونقول خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت، قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا ينفر صيدها ولا يعصد شجرها ولا يختل خلاها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، فقام إليه العباس بن عبد المطلب فقال: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنه للقبر ولسقوف بيوتنا، فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ساعة وندم العباس على ما قال، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إلا الإذخر^(٣)). وفي وسائل الشيعة عن الصادق «عليه السلام»: (إذا دخلت الحرم فخذ

١. السَفَط: وعاء يصنع من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها.

٢. الوحل الأحمر، أو المادة الصمغية التي تفرزها بعض الأشجار وتُعرف باسم الراتينج.

٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٥٥٨.



اللوحة رقم ٥٨ : أنواع من السفت

من الإذخر فامضغه^(١). قال الكليني: (سألت بعض أصحابنا عن هذا فقال: يستحب ذلك لطيب به الفم لتقبيل الحجر). قال النجفي في جواهر الكلام معلقاً على كلام الكليني: (وهو يؤيد استحبابه لدخول مكة، بل المسجد، وكونه من سنن الطواف)^(٢). [انظر اللوحة رقم ٥٩]. ولكن حيث أن هذه النبتة صحراوية، والنص يتحدث عن نبات على حافة النهر، لذا فإن المراد به نبات البردي الذي يُعتبر من عائلة الحلفاء، ولذا تُرجمت الكلمة الواردة من العبرية في بعض الترجمات الإنجليزية إلى *The Sedges* أي البردي [انظر اللوحة رقم ٦٠].

١. الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ١٩٨.

٢. النجفي: جواهر الكلام، ج ١٩، ص ٢٨١.



اللوحة رقم ٥٩ : نبات الحلفاء - الإذخر



اللوحة رقم ٦٠ : نبات البردي

(وَوَقَفْتُ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَزَلَّتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ السَّفَطَ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أُمَّتَهَا وَأَخَذَتْهُ. وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هَذَا مِنْ أَوْلَادِ الْعِبْرَانِيِّينَ»^(١) فَمَنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ مَوْلُودِ الذَّكَرِ فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَقَرَارِهِ الْإِجْرَامِيِّ سِوَاهُمْ؟ لَا سِيَّمَا وَأَنْ مَنْ أَلْقَاهُ قَدْ اعْتَنَى بِهِ وَلَمْ يُرِدْ لَهُ أَنْ يَمُوتَ، حَيْثُ تَمَّ إِعْدَادُ ذَلِكَ السَّفَطِ بِعُنَايَةٍ، وَغُلِّفَ بِمَوَادِّ تَحْفَظُهُ مِنَ الْغَرَقِ فِي الْمَاءِ أَوْ تَسَرُّبِ الْمَاءِ إِلَيْهِ. فَلَوْ كَانَ الْفَاعِلُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ أَنْفُسَهُمْ، وَكَانَتْ الْغَايَةُ التَّخْلُصُ مِنَ الطِّفْلِ، لَأُلْقِيَ فِي الْمَاءِ دُونَ اتِّخَاذِ مِثْلِ هَذِهِ الْإِجْرَاءَاتِ. وَمَنْ الْمَوْكَّدُ أَنَّ أُمَّ مُوسَى قَدْ اخْتَارَتْ الْقَنَاةَ الْمَائِيَّةَ أَوْ الْمَجْرَى الْمَائِيَّ الْأَنْسَبَ لِتَحْقِيقِ غَايَتِهَا، وَهُوَ أَنْ يَتِمَّ التَّقَاطُ مِنْ قِبَلِ أَحَدِ الْمَصْرِيِّينَ، فَيُعْطَفَ عَلَيْهِ وَيَتَبَنَّى تَرْبِيَّتَهُ، وَبِحَيْثُ يَكُونُ هَذَا الْمَجْرَى أَقْلَ خَطَرًا مِنْ سِوَاهُ مِنْ حَيْثُ تَوَاجَدَ الْكَائِنَاتِ الْمَفْتَرَسَةِ كَالْتِمَاسِيحِ الَّتِي تُعْرِفُ بِهَا مِيَاهُ النِّيلِ بِكَثْرَةِ [انظر اللوحات رقم ٦١-٦٦].

واللافت هنا غياب والد موسى «عليه السلام» عن المشهد تماماً، فهل كان قد قضى نحبه قبل ذلك فنشأ موسى يتيماً؟ أم أنه كان مخالفاً لإبقاء المولود على قيد الحياة كما ذكرنا من قبل؟ أم كان ضمن المجاميع المسخرة للبناء والزراعة في مناطق بعيدة ومعزولة؟ كل ذلك محتمل.

وحيث تذكر التوراة: (فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ)^(٢)، تساءل الرِّيِّون -رجال الدين اليهودي- عما رأته في هذا الطفل فاعتبرت (أَنَّهُ حَسَنٌ) ثم

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ٦-١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ٢.



اللوحة رقم ٦١ : لوحة فنية تمثل أم موسى ومريم تودعان الرضيع موسى



اللوحة رقم ٦٢ : لوحة فنية تخيلية تمثل الرعاية الملائكية للطفل موسى



اللوحة رقم ٦٣ : صورة تمثيلية لما كان عليه وضع التابوت في الماء



اللوحة رقم ٦٤ : لوحة فنية تمثل لحظة العثور على التابوت



اللوحة رقم ٦٥ : لوحة فنيّة تمثّل العثور على التابوت والرضيع



اللوحة رقم ٦٦ : لوحة فنيّة تمثّل العثور على التابوت والرضيع

أنقذته من الموت بتلك الصورة الموصوفة، وخرجوا بعدة تفسيرات:

١. أدركت أنه لائق أن يكون نبياً.

٢. رأت أنه وُلد محتوناً.

٣. رأت أن البيت امتلأ نوراً.

وفي التلمود نص توضيحي -وبالتفصيل- منقول عن إحدى تفاسير التوراة، أي المدراش، يشرح كيف أعدت الأم الثابت لابنها، فقد اختارت نبات البردي، وهو مادة ناعمة ومرنة قادرة على تحمل التلامس مع كل من الأجسام اللينة والصلبة، فقامت بسد نسيجها بالزفت والقار، وبطننت الداخل بالقار، وغطته من الخارج بالزفت، حتى لا يشم موسى الرائحة الكريهة المنبعثة منه.

إنّ عبارة (وَوَضَعْتُهُ بَيْنَ الْحُلَفَاءِ) الواردة في التوراة تبين أن يوكابد وضعت الثابت في مكان محمي، حيث نمت الشجيرات والقصب. وفي نص تفسيري آخر، قامت يوكابد ببناء مظلة صغيرة لموسى داخل الثابت، لأنها قالت لنفسها: ربما لن أراه تحت مظلة زفافه^(١)، ليؤكد هذا التصوير على الاهتمام المضني الذي أولته يوكابد لكل التفاصيل الموجودة في السفط/الثابت. لقد تركت طفلها بقلب مثقل بالهموم، وحاولت بكل قوتها حمايته وضمان بقاءه على قيد الحياة.

وتظهر أخت موسى في مشهد الأحداث بجانب ابنة فرعون -التي يبين القرآن أنها امرأته لا ابنته- فقد كانت تقف من بعيد تراقب حركة السفط في النهر، حتى إذا الثُقط المولود، كانت هي من تقدّمت باقتراح المرضعة (العبرانية) المناسبة له، ولا تذكر

1. <https://www.sefaria.org/Sotah.12a.18?lang=bi&with=Navigation&lang2=en>

التوراة مبرّر اقتراحها، ولماذا كانت (عبرانية) على وجه التحديد: (فَقَالَتْ أُخْتُه لَا بَنَّةَ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لِكَ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتَرْضَعَ لِكَ الْوَلَدَ؟»^(١)). أما القرآن الكريم فقد صرح بالسبب: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهذا التحريم ليس تحريماً تشريعياً، بل تكويني، بمعنى أن الطفل لم يتقبل أن يرضع من أمة امرأة حاولت أن تقوم بهذا الأمر ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(٢).

وهكذا عاد الرضيع إلى أحضان أمه، وبأمر من ابنة البلاط الفرعوني، وبمقابل مادي أيضاً: (فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «أَذْهَبِي بِهَذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكَ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ)^(٣).

ويمكن أن نفهم من الآية التالية أن موسى «عليه السلام» خلال فترة رضاعته التي لربما استمرت لما تبقى من السنتين، كما هو المعتاد في فترة الرضاع، قد عاش في كنف والدته، لا أنه عاش في بيت ابنة فرعون، وكلما احتاج إلى اللبن، جاءت أمه فأرضعته: (وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»)^(٤).

ولربما هذا أيضاً هو المعنى الظاهر لقوله «تعالى»: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ٧.

٢. القصص: ١٢.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ٨-٩.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١٠.

وَلَا تَحْزَنْ وَلِتَعْلَمِ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، فمجرد وجود الطفل في حضن والدته خلال عملية الرضاع، واستمرار وجوده عند ابنة فرعون، لا يُحَقِّقُ المعنى المقصود من كلمة (الرد) الواردة في قوله «سبحانه وتعالى»: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾.

بالطبع هذا لا يعني أن العلاقة انقطعت بين الطفل الرضيع وبين ابنة/امراة فرعون تماماً خلال تلك المدة، فمن الطبيعي أن تشتاق للطفل الذي وجد لنفسه مكاناً في قلبها، فأنقذته من الموت، وقد اعتنى القرآن الكريم ببيان هذه النقطة حيث قال «تعالى»: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢)، بينما خلت التوراة من بيان هذه الجزئية.

إلى هنا تنتهي القصة التوراتية بخصوص طفولة موسى «عليه السلام»، وتنتقل بعد ذلك فوراً إلى مشهد قتل القبطي بالخطأ وما تبع ذلك من أحداث أدّت بموسى إلى أن يفرّ من مصر إلى مدين، وهو ما سنتناوله لاحقاً بالتفصيل، علماً بأن القصة القرآنية أيضاً انتقلت من مشهد الطفولة المبكرة لموسى إلى مشهد قتل ﴿الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (٣)، ولكن تميّزت عن السردية التوراتية بإضافة الآية التالية بين المرحلتين: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)، وسنتحدث عن معنى الآية ودلالاتها عند عرض القصة ضمن السردية القرآنية.

١. القصص: ١٣.

٢. القصص: ٩.

٣. القصص: ١٥.

٤. القصص: ١٤.

• قصة المولد في القرآن الكريم:

تحدّث القرآن الكريم إجمالاً عن الظروف التي أحاطت بولادة موسى «عليه السلام» دون الدخول بالتفاصيل، ومن ذلك قوله «سبحانه»: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(٢)، وهاتان الآيتان تتضمّنان الإشارة إلى:

١. القصة حقيقية بدليل أنه ﴿نَبَأٌ﴾ أي خبر وحدث قد وقع فعلاً، وليس مجرد قصة من وحي الخيال، وأنه ﴿بِالْحَقِّ﴾، لا يداخله الباطل والكذب والتزوير والتدليس، وليس فيه شيء من الخطأ أو الالتباس.

٢. من الإجراءات التي اتخذها الحاكم فرعون المشار إليه في هذا النبأ أنه فرّق بين مكوّنات المجتمع الذي كان يحكمه، وزرع أو عمّق الكراهية فيما بينهم، أتباعاً لسياسة (فرّق تسد)، ولربما لتقديم مبرّر وشرعنة وتحسين ما سيقدّم عليه بحقّ إحدى تلك المكوّنات وكسب تأييد ومساندة بعض المكوّنات ضد البعض الآخر.

٣. انطلق فرعون من ذلك الواقع الذي اصطنعه أو عزّزه، فبالغ في ذبح الأولاد الذكور من إحدى مكوّنات المجتمع، واستبقى الإناث منهم.

في تلك الأجواء والظروف العصيبة وُلد موسى «عليه السلام»، دون الدخول في تفاصيل ما جرى قبل وبعد الولادة مباشرة، ويخبرنا القرآن الكريم أن الله «سبحانه» وتعالى أوحى إلى أم موسى أن تُبقي الطفل عندها وترضعه بما يتواءم مع ما جاء في

التوراة من أنها لم تلقه في اليم بعد الولادة مباشرة، بل بعد ثلاثة أيام، فإذا استجد أمرٌ ما بحيث استدعى التخوّف من وصول يد السلطة إليه، فعليها أن تلقيه في اليم، قال عزّ وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَلَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). وقُدّم هذا المشهد بعبارات أخرى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾^(٢٨) **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَلَأُنْقِثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**^(٢٩).

وتبرز هنا عدّة أسئلة، ومن بينها: ما نوع هذا الوحي؟ هل كان من قبيل نزول ملك عليها؟ أم تمّ ذلك بالإلهام حال اليقظة؟ أم برؤيا صادقة؟ أم بإخبار من شخص ما يوحي إليه؟ اختلفت آراء المفسرين في ذلك، ومنهم من استند إلى بعض المرويات ومقولات المفسرين/ المأوّلين (بالرأي) من السابقين، وفيما يلي بعض ما طُرح كإجابة على هذا التساؤل:

١) الإلهام. قال العلامة الطباطبائي: (المراد به الإلهام، وهو نوع من القذف في القلب في يقظة أو نوم)^(٣). ثم استدلّ على صحّة ذلك بأن:

أ- مصطلح الوحي في القرآن الكريم لا يقتصر استعماله في المعنى المتبادر إلى الذهن فقط، وهو نزول ملك على إنسان ضمن وحي النبوة، والدليل على ذلك قوله «تعالى»: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٤).

١. القصص: ٧.

٢. طه: ٣٨-٣٩.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٤٩.

٤. النحل: ٦٨.

ب- النبوة لا تكون في النساء، ولا يوحى إليهن وحي نبوة، قال «تعالى»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(١).

(٢) الإلهام الصادق، ولربما من خلال الرؤيا الصالحة. قال العلامة ابن عاشور حيث قال: (والوحي، هنا: وحي الإلهام الصادق. وهو إيقاع معنى في النفس ينثج له نفس الملقى إليه بحيث يجزم بنجاحه فيه وذلك من توفيق الله تعالى). ثم لم يستبعد أن يكون ذلك قد تم حال المنام، قال: (وقد يكون بطريق الرؤيا الصالحة التي يقذف في نفس الرائي أنها صدق)^(٢).

(٣) نفى الرازي كون هذا الوحي من وحي النبوة: (اتفق الأكثرون على أنّ أم موسى «عليه السلام» ما كانت من الأنبياء والرسل، فلا يجوز أن يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي الواصل إلى الأنبياء، وكيف لا نقول ذلك والمرأة لا تصلح للقضاء والإمامة، بل عند الشافعي رحمه الله لا تُمكن من تزويجها نفسها، فكيف تصلح للنبوة؟).

ثم طرح رأي البعض باحتمال كونه (رؤيا رأتها أم موسى «عليه السلام»، وكان تأويلها وضع موسى «عليه السلام» في التابوت وقذفه في البحر، وأن الله «تعالى» يردّه إليها).

والاحتمال الآخر يتمثل في وقوع العزيمة الراسخة في القلب، وهو قريب من معنى الإلهام المذكور في كلام علامتين الطباطبائي وابن عاشور، قال: (عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة، فكل من تفكّر فيما وقع إليه ظهر له الرأي الذي هو أقرب إلى الخلاص، ويُقال لذلك الخاطر إنه وحي) وعاد فأكد أن هذا المعنى هو الإلهام ذاته وليس باحتمال آخر.

١. يوسف: ١٠٩.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢١٦.

ثم طرح الفخر الرازي إشكالاً على الاحتمالات السابقة في معنى الوحي، مفاده أن القول بذلك يعني أن ذلك الوحي وجهها نحو الإلقاء في اليم، وهذا (قريب من الإهلاك، وهو مساوٍ للخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون، فكيف يجوز الإقدام على أحدهما لأجل الصيانة عن الثاني).

وأجاب على هذا الإشكال فقال: (لعلها عرفت بالاستقراء صدق رؤياها، فكان إفضاء الإلقاء في البحر إلى السلامة أغلب على ظنها من وقوع الولد في يد فرعون).

الاحتمال الآخر الذي طرحه الفخر الرازي يتمثل في القول بوقوع الوحي لنبيٍّ من أنبياء ذلك الزمان، كالنبي شعيب «عليه السلام»، فقام ذلك النبي -بدوره- بإرسال رسالة مثلاً، أو بالإبلاغ الشفهي، بحيث صار وحيّاً لأُم موسى بصورة غير مباشرة.

وهذا الاحتمال يواجه اعتراضاً بأن الأمر لو كان كذلك لما لحقها من أنواع الخوف ما لحقها. وردّ الاعتراض بأن ذلك الخوف كان من لوازم البشرية، كما أن موسى «عليه السلام» كان يخاف فرعون مع أن الله «تعالى» كان يأمره بالذهاب إليه مراراً.

ثم أتبع الفخر الرازي ذلك باحتمال آخر، قال: (لعل الأنبياء المتقدمين، كإبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام، أخبروا بذلك، وانتهى ذلك الخبر إلى تلك المرأة).

والاحتمال الأخير الذي ذكره: (لعل الله «تعالى» بعث إليها ملكاً -لا على وجه النبوة- كما بعث إلى مريم في قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(١) (٢).

وأضيف هنا احتمالاً آخر ورد في بعض المرويات والكتب، وهو احتمال ضعيف،

١. مريم: ١٧.

٢. الرازي: التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ٥١-٥٢.

حيث روي أن مبلّغ الوحي هو نفس موسى «عليه السلام»، إذ كَلَّمَهَا بعد ولادته، ففي كتاب روضة الواعظين عن: (مجاهد، عن ابن عمرو، وأبي سعيد الخدري، عن النبي «صلى الله عليه وآله» في خبر طويل قال: فلما ولدته أمه، أمرها أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليم) وهذا مخالف لما جاء في الآية الشريفة حيث أوحى إليها أن ترضعه، ومتى خافت عليه تلقيه في الماء لا أن تلقيه فوراً بعد الولادة (فقالت وهي ذعرة من كلامه: يا بني، إني أخاف عليك الغرق، فقال لها: لا تحزني إن الله يردني إليك، فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها: يا أم اقدفيني في التابوت وألقي التابوت في اليم، قال: ففعلت ما أمرت به...) (١).

وأما قول الفخر الرازي: (فلا يجوز أن يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي الواصل إلى الأنبياء، وكيف لا نقول ذلك والمرأة لا تصلح للقضاء والإمامة، بل عند الشافعي رحمه الله لا تُمَكَّن من تزويجها نفسها، فكيف تصلح للنبوة؟) فيمكن الرد عليه بالفرق بين النبوة والرسالة، فقد تكون المرأة نبياً، بمعنى أن تصلها الأنباء من الغيب، ولا تكون رسولاً، إذ لا تُحْمَل مسؤولية الرسالة تجاه مجتمعها، بل أمر النبوة خاص بها. وقد بحثت هذا الموضوع مفصلاً في الجزء الأول من كتابي (في عمق التاريخ) ضمن بحث (فك لغز الأسباط).

وأياً كان التأويل السليم، فإن ورود التفاصيل المختلفة الخاصة بالإلقاء في اليم، ثم ما ستؤول إليه الأمور من ردّ موسى إلى أمه، ثم صيرورته من المرسلين، كل ذلك يدل على أن هذا الوحي كان من الوضوح وقوة الدلالة ما يجعله أمراً استثنائياً بغرض حفظ هذا المولود... ويبرز هنا تساؤلان، الأول حول خصوصية استعمال كلمة ﴿أَقْدِفِيهِ﴾ في

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٦-٤٧.

قوله «تعالى»: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩) (١) خاصة وأن الكلمة لربما تدل على مستوى مرتفع من قوة الإلقاء والتخلص من الشيء من غير حنان ورعاية، والثاني حول اختلاف التعبير مع ما جاء في الوصف الآخر للحدث: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) فما الفرق بين الآيتين؟ وما الفرق بين ألقيه واقدفيه؟

تعرض اللغوي المهتم بالشأن القرآني الدكتور فاضل السامرائي لبيان الإجابة على ما سبق حيث بين بدء أنه لم يحدث تناقض بين ما جاء في الآيتين. نقرأ جزءاً من السياق حتى يتضح الأمر، الأولى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ (٣٧) ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩) (٣)، في سورة القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤) ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥) القذف هو الرمي والإلقاء والوضع، ومن معانيه البعد، ويأتي بمعاني قد يكون بمعنى

١. طه: ٣٨-٣٩.

٢. القصص: ٧.

٣. طه: ٣٧-٣٩.

٤. القصص: ٧.

٥. القصص: ١٠.

الإلقاء. أولاً نلاحظ في القصص قال ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ ولم يقل هذا الكلام في طه ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ثم ذكر أنه ربط على قلبها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾، كل هذه كونها لا تخافي ولا تحزني وربطنا على قلبها هذا يستدعي الهدوء في الإلقاء، ربط على قلبها إذن هي تضعه في هدوء، ثم قال ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ والإرضاع يستدعي القرب وليس البعد. في سورة طه لم يذكر هذه الأمور لا ربط على القلب ولا شيء ولا تطمين. في طه ذكر التابوت ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ لم يذكر أن الرضيع يلقي في اليم وإنما التابوت هو الذي يقذف، ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ الضمير يعود على موسى، ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الضمير يعود على التابوت، إذن موسى محمي، في القصص قال ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ التابوت يُقذف يقال لها اقذفي التابوت ولكن التابوت محمي لم يقل اقذفيه في اليم. التابوت يقذف ويرى أما الإبن فيقال لها ألقيه لا يقال لها اقذفيه، فلما ذكر التابوت ذكر القذف.

سؤال: هل قال اقذفيه أو ألقيه؟ ما الذي حدث؟

سيحصل إلقاء في الحالتين، لكن مرة ذكر التابوت، ومرة لم يذكر هذا بحسب السياق، وليس هناك تناقض، في القصص نحن أحياناً نذكر أموراً ونضيف عليها، في سفر من السفرات أذكر أموراً وفي موطن آخر أذكر جوانب أخرى أقل. هذا يحصل كثيراً، أذكر جانباً، ولا أذكر جانباً آخر. يذكر التابوت في موطن وموطن آخر لا يتكلم عنه.

سؤال: طالما ذكر التابوت إذن قطعاً هناك تابوت وإذا أغفل ذكره فلأن السياق يقتضي ذلك.

هذا أمر، والأمر الآخر من الناحية البيانية، قال في سورة طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ لم يذكر ما يوحى، الآن مبهمة، ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ صار بيان بعد الإبهام... الآن عندما ترى تابوتاً مقفلاً، متى تعلم ما فيه؟ عندما تفتحه، يصير إيضاح بعد الإبهام بعد الفتح. من الناحية البيانية إيضاح بعد الإبهام في الأمر، وإيضاح بعد الإبهام في المسألة. إذاً من الناحية البيانية هناك تناسب، كلاهما إيضاح بعد الإبهام.

ثم هناك أمر، القذيفة في اللغة شيء يُرمى به، فكان موسى في سورة طه قذيفة رمى بها فرعون، قُذِفَ في البحر، فأغرقته. ولذلك لما نلاحظ العقوبة التي ذكرها في كلتا القصتين متناسبة مع (اقذفيه). قال في خاتمة فرعون في القصص: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^(١) ألقيناهم لكن بمهانة ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ كلها إلقاء. قال في فرعون: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٢) قذيفة ألقيت في البحر عليهم فغشيهم من اليم ما غشيهم، فكان القذف أبلغ في التعبير، كأن موسى هو الكبسولة والتابوت هو القذيفة فقذف بها فرعون فأهلكته. لا يناسب أن يقال ألق ابنك في البحر ولكن ألقى التابوت.

سؤال: قد يرى أحدا تعارضاً أو تناقضاً بين القولين، ماذا قال تحديداً؟ أحياناً العبارة الواحدة التي تقال نصوغها بكلمة بيانية إذا قلت جاء فلان أو أتى فلان، هل تناقضت؟ القرآن من هذا القبيل، لكن يستعمل اختيار الكلمة في المكان البياني لها... لكن نقول، لماذا قال مرة جاء، ومرة أتى؟^(٣).

١. القصص: ٤٠.

٢. طه: ٧٨.

ومن المحتمل أن خصوصية استعمال كلمة (القذف) للدلالة على ترددها في فعل ذلك وصعوبة الأمر عليها، فقليل لها أن تفعل ذلك وتنقذ الأمر وتؤدي المطلوب وكأنها تخلع قطعة من جسدها وتلقيها بقوة رغماً عنها. وكذلك من المحتمل أن القذف يتناسب مع العجلة والسرعة في التنفيذ حين جاءت اللحظة التي كاد أن ينكشف فيها أمر المولود، والإنسان في مثل هذه اللحظة يستعجل في التصرف الذي سيُقدم عليه، ولذا تم استعمال كلمة القذف للدلالة على العجلة خوفاً من انكشاف أمره.

وتبقى المفارقة العجيبة هنا -بحسب الظاهر- أن يُطلب من الأم أن تُلقي مولودها في اليم، ليكون ذلك سبباً لنجاته من القتل، بل وأن تكون نجاته بيد مَنْ أصدر أمرَ القتل نفسه، ويتربى ويتعلم ويكبر في بيته... فما أعجب المشيئة والقدرة الإلهية!

ويخبرنا القرآن الكريم أنّ أم النبي موسى «عليه السلام» بعد أن ألقته في اليم، شعرت بوحشة كادت معها أن تفضح نفسها وأمر المولود: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ولعل ذلك بأن تتبّع التابوت المشتمل على الطفل، فتلتقطه أمام أعين الناس، فيُفتضح أمرها، أو بأن تتبّعه إلى أن يقع في يد امرأة فرعون، ثم تتقدم وتخبر الحضور بالحقيقة لتسترجه، أو بأن تنوح عليه وتبكيه، ولعلها تفضح أمرها بذلك بأن تذكر صراحةً ما أقدمت عليه وتُبدي ندمها، أو بأن تُسأل عن سبب حزنها وبكائها فتُخبر بذلك، فيُفتضح أمرها.

ومرة أخرى تدخلت يد الغيب لتحفظ المولود، ولتحقق الإرادة الإلهية وتسير

الأمر كما هو مَحْظُظ لها... وهذا التصوير الوارد في الآية -في حد ذاته- يدل على مدى الألم الذي كان يعتصر قلب أم موسى والمعبر عنه بفراغ قلبها: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾، ونقل الفخر الرازي وجوهاً في تأويل ذلك، وهي كالتالي:

أحدها: قال الحسن: فارغاً من كل هم إلا من هم موسى «عليه السلام».

وثانيها: قال أبو مسلم: فراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق كقوله: ﴿وَأَفِيدَتْهُمُ هَوَاءً﴾^(١).

وثالثها: قال صاحب «الكشاف» فارغاً صفرًا من العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف.

ورابعها: قال الحسن ومحمد بن إسحق: فارغاً من الوحي الذي أوحينا إليها أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك، فجاءها الشيطان، فقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر، فتولّيت إهلاكه، ولما أتاها خبر موسى «عليه السلام» أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها.

وخامسها: قال أبو عبيدة: فارغاً من الحزن، لعلها بأنه لا يقتل اعتماداً على تكفل الله بمصلحته.

ونقل الفخر الرازي إشكال ابن قتيبة على هذا التأويل، قال: وهذا من العجائب كيف يكون فؤادها فارغاً من الحزن والله «تعالى» يقول: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون؟

وأجاب عن ذلك بعدة أجوبة:

١. لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعده الله لم تخف عند إظهار اسمه، وأيقنت أنها وإن أظهرت فإنه يسلم لأجل ذلك الوعد إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار يضر فربط الله على قلبها.

٢. ويحتمل قوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بالوحي فأمنت وزال عن قلبها الحزن، فعلى هذا الوجه يصح أن يتأول على أنَّ قلبها سليم من الحزن على موسى أصلاً.

٣. أنها سمعت أن امرأة فرعون عطف على وتبنته، فكادت أن تبدي به بأنه ولدها، لأنها لم تملك نفسها فرحاً بما سمعت، لولا أن سكت ما بها من شدة الفرح والابتهاج. ويضيف القرآن الكريم أن أم موسى «عليه السلام» لم تكتفِ بإلقائه في اليم، بل دفعت بابنتها كي تتبّع ذلك التابوت المتحرك بواسطة المياه، مع أخذ الحيلة والحذر، بأن تكون حركتها غير مكشوفة، وهكذا كان: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

وحيث استقرّ التابوت الحامل للطفل الرضيع على ساحل اليم، التقطه (آل فرعون)، هذا ما عبرت عنه آيات سورة القصص: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَنًّا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾^(٢)، وعبرت عنه سورة طه كالتالي: ﴿... فَلْيُلْقِهِ اليمَّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾^(٣)، دون تحديد لهوية الملتقط، امرأة فرعون؟ ابنته؟ بعض الجوّاري؟ بعض الحرس؟ فرعون نفسه؟

١. القصص: ١١.

٢. القصص: ٨.

٣. طه: ٣٩.

قرآنيًا.. الأمر غير واضح، فعنوان (آل فرعون) يفتح باب الاحتمالات كلها، ولعلها ابنة فرعون بالفعل كما جاء في التوراة، ثم صار عند امرأة فرعون، فحصل الخلط عند عزرا الكاتب حين دَوّن التوراة مجددًا بعد السبي البابلي وضياع وتلف النسخ الأصلية منها.

وأما بخصوص (اليَم)، فقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي بأن هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم ٨ مرات، وكلها عند الحديث عن تاريخ بني إسرائيل، ولم ترد في أي مورد آخر، والكلمة في الأصل غير عربية، بل أكديّة، وعبريّة، وسريانيّة، ودخلت العربية، فاستعملها القرآن الكريم ضمن قصص بني إسرائيل فحسب، بينما استعمل كلمة البحر في قصص بني إسرائيل وغيرهم. كما أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن إلا مقرونة بالخوف، كما في إلقاء الطفل الرضيع موسى في اليم: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾^(١)، أو العقوبة: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ مُجْنُونَهُ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾^(٢)؛

وهذه الكلمة تكتب في العبرية יָם وتُلفظ Yam (يام) وتعني (بحر)، وهي الكلمة التي استعملتها التوراة في عرض قصة موسى «عليه السلام»، ومن ذلك الآية التالية: וַאֲתָהּ הָרֶם אֶת־מִטָּה וְנָטָה אֶת־יָדָהּ עַל־הַיָּם וּבִקְעָהּ וַיִּבְאוּ בְנֵי־יִשְׂרָאֵל בַּתּוֹךְ הַיָּם בַּיּוֹם. وترجمتها الواردة في النسخة العربية: (وَارْفَعِ أُنْتِ عَصَاكَ وَمَدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشَقَّهْ، فَيَدْخُلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ)^(٣)، بينما

١. القصص: ٧.

٢. طه: ٧٨.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج: الإصحاح ١٤: ١٦.

استعملت في النص العبري كلمة التي تُلفظ (هايم) Hayam وتعني (اليم/البحر) بإضافة (ها) التعريف التي تقابل (ال) التعريف في العربية إلى كلمة (يم)، ثم جاءت الآية ٢٨ وتحدثت عن غشيان فرعون جنوده بالماء: **וַיִּשְׂבוּ הַיָּם וַיִּכְסּוּ אֶת־הָרֶכֶב וְאֶת־הַפָּרָשִׁים לְכָל חֵיל פְּרָעָה הַבָּאִים אַחֲרֵיהֶם בַּיָּם לֹא־נִשְׁאָר בָּהֶם עַד־אַחַד**. وترجمتها الواردة في النسخة العربية: (فَرَجَعَ الْمَاءُ وَعَطَى مَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانَ جَمِيعَ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٌ)^(١)، واستعمل كلمة **בַּיָּם** في النص العبري وتُلفظ (بَيِّم) Bayam وتعني: في اليم/البحر.

ولو عدنا إلى القرآن الكريم سنجد أنه يصف نفس الحدث وعن ذات المسطح المائي بعنوانين: البحر، واليم! قال «سبحانه»: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾^(٧٧) فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ^(٧٨)﴾^(٢)، بما يعني أن الكلمتين مترادفتان من حيث المعنى والمراد، ولعل السر في تغيير الكلمة المستعملة في الآيتين المتتاليتين هو ما ذكره الدكتور السامرائي، ففي الآية الأولى كان المورد عدم الخوف وعدم الخشية، فاستعملت كلمة البحر، وفي الآية الثانية حيث كان الكلام عن فرعون وجنوده وغرقهم، بما يتوافق مع حالة الخوف والعقوبة، استعملت كلمة (اليم)، فما أدق الاستعمال القرآني للكلمات^(٣)! وأضيف إلى كلام الدكتور السامرائي بأنه لربما جاء استعمال كلمة (اليم) في خصوص قصص بني إسرائيل كإشارة إلى اليهود الذين كانوا يستمعون إلى القرآن الكريم أحياناً،

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج: الإصحاح ١٤: ٢٨.

٢. طه: ٧٧-٧٨.

٣. من لقاء تلفزيوني مع الدكتور السامرائي حول استعمال هذه الكلمة.

ليكون ذلك حجة عليهم بأن القرآن من عند الله «سبحانه» مُنزل التوراة نفسها، وإلا فما الذي أدرى النبي محمد «صلى الله عليه وآله» باستعمال هذه الكلمة على وجه التحديد في النص العبري للتوراة عند عرض قصة موسى «عليه السلام» فيها؟

نعود إلى القصة القرآنية من جديد، إذ تخبرنا أن امرأة فرعون حين اكتشفت ما في داخل التابوت، ولاشك أن هذا مثل لها مفاجأة سارة، أبدت معها ردة فعل إيجابية، وتحدثت مع فرعون لإقناعه بالحفاظ على الطفل بتبريرين: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، ولعل في ذلك إشارة إلى حرمان فرعون وزوجته من الذرية الذكور، أو حرمانها هي على وجه الخصوص من الولد الذكر، أو مطلق الذرية، بافتراض أن لفرعون أكثر من زوجة، ولربما رُزق من بعضهم بالولد. ولعل الاحتمال الأول أقوى بلحاظ أن التعبير الوارد في الآية جاء كالتالي: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ بصيغة الجمع، ولم تقل (أَتَّخِذُهُ وَلَدًا) وهو التعبير الأنسب بكونها هي المحرومة من الولد. فلربما كان التقاط موسى من الماء قبل أن يُرَزَق من جديد بأولاد ذكور، فمن المعلوم أن لرمسيس الثاني أكثر من ٣٠ ولداً ذكراً. وبرزت هنا حاجة الطفل الرضيع إلى الغذاء، فتدخلت العناية الإلهية بأن يكون هذا الأمر هو الباب الذي من خلاله يعود الطفل إلى أحضان أمه ليتحقق الوعد الإلهي: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾^(٢)، وذلك بأن امتنع الطفل عن الرضاع من أيّ ثدي عُرض عليه: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣)، وقد طرح الفخر الرازي في تأويل ذلك ثلاثة احتمالات:

١. القصص: ٩.

٢. القصص: ٧.

٣. القصص: ١٢.

١. أحدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء، فلذلك لم يرضع.
 ٢. أحدث في لبنهن من الطعام ما ينفر عنه طبعه.
 ٣. وضع في لبن أمه لذة، فلما تعودها، لا جرم كان يكره لبن غيرها، وعن الضحاك كانت أمه قد أرضعته ثلاثة أشهر حتى عرف ريجها^(١).
- وقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل أن رددناه إلى أمه، ومن قبل مجيء أخته، ولربما أيضاً من قبل ولادته كأمر تكويني خلق معه، أو هو تعبير كنائي عن أن هذا الأمر قُدِّر سلفاً من عند الله تعالى.
- ولاشك أن هذا الأمر شكّل عامل ضغط على امرأة فرعون، فتدخلت أخت موسى في تلك اللحظات الحرجة وعَرَضَتْ اقتراحها بهذا الشأن: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(٢)، ووُصِفَ الحدث بصورة أخرى أكثر تحديداً تتضمن سعي أخت موسى تمثيل دورها بإتقان، إذ لم تظهر في المشهد بصورة سريعة ومفاجئة بحيث تثير الشكوك في تدخلها بهذا الشأن، بل كانت تمشي حين قدّمت المقترح، ولم يتم استعمال كلمة (جاءت) مثلاً، لتدل على أنها قصدتهم عن عمد، ولا استعملت كلمة (تسعى) لتدل على الحركة السريعة، بل وصف فعلها بأنها ﴿تَمْشِي﴾ فحسب، وكأنّ الأمر لم يكن يعينها في الأساس وأن تدخلها لم يكن لصالح الطفل في المقام الأول: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾^(٣).

١. الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٢٣٠.

٢. القصص: ١٢.

٣. طه: ٤٠.

وهكذا كان، إذ نجحت الخطوة، وصدّق الحاضرون ذلك الدور التمثيلي الذي قامت به أخت موسى، وتمّت الموافقة على مقترحها، واستُدعيت الأم، فالتقم الطفل ثديها بإقبال، بعد أن أعرض عن سواها. وبذا صار موسى في أحضان أمه من جديد، وبمباركة فرعون، وتحت حمايته، وصدّق الله «تعالى» في وعده وهو الذي لا يُخلف الميعاد: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وكما ذكرتُ من قبل، فالأقرب أن الطفل صار في حضانة والدته، وعاش في كنفها مدة الرضاع، وهذا الأنسب بكلمة الكفالة ﴿مَنْ يَكْفُلْهُ﴾ ﴿أَهْلٍ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ إذ لم تقترح الرضاع... بل ولعل الأمر استمر أكثر من ذلك، فالقرآن الكريم ساكت من هذه الناحية، ولكن الذي يُفهم من ظاهر قوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ أن الطفل صار بمعية والدته -على الأقل- خلال الأشهر التي كان يحتاج فيها إلى الرضاع، إن لم يستمر عندها أكثر نتيجة تعلّقه بها، بما يجعلها في مقام المربية في سنوات عمره اللاحقة بعد أن صارت -في أعين الآخرين- أمّه بالرضاع أيضاً. وهكذا يُسدّل الستار -قرآنيّاً- على هذا المشهد من قصة موسى «عليه السلام»، ليعود للظهور من جديد وهو شاب قد ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾^(٢). وهو ما سنتعرّض له لاحقاً بإذن الله تعالى.

وإذا كانت التوراة لم تتحدث عن امتناعه عن الرضاع من ثدي النساء كما عرض القرآن ذلك، واكتفت بذكر اقتراح أخته بأن تأتيهم بمرضعة، وهي والدته، إلا أن

١. القصص: ١٣.

٢. القصص: ١٤.

في التراث الديني اليهودي خارج إطار الرواية التوراتية ما يشرح ذلك، ففي مدراش وايشا **מדרש ויטש** Midrash Vayosha أن ابنة فرعون واسمها (بتيا) **בִּתְיָא** حملت الطفل لترضعه، لكنه رفض الثدي. وبحسب رواية يوسفوس أنها أعطته لنساء مصريات أخريات لكي يرضعنه، لكنه رفض ذلك أيضاً. والفم المقدّر له أن يتكلم مع الله قد لا يأخذ اللبن النجس. لذلك أعطته بتيا لأمه لترضعه^(١). وتقول رواية أخرى إنه لم يرضع من أي ثدي مطلقاً^(٢)، ولربما بنفس الطريقة التي وقعت لجده إبراهيم حيث تقول إحدى الروايات اليهودية أن جبرائيل كان يرضعه في الكهف حيث وُلد ، من خلال امتصاص الحليب من إصبغه^(٣)! وسيأتي عند عرض بعض ما جاء في التراث الإسلامي الروائي حول ولادة موسى ما يشابه ذلك.

• أهم اختلاف بين السرديتين:

أبرز اختلاف في هذا المشهد بين السرديتين هو شخصية المرأة التي التقطت أو أمرت بالتقاط موسى من الماء، ففي حين عنونها التوراة (العربية) بعنوان (ابنة فرعون)، اكتفى القرآن الكريم بالإشارة إلى التقاطه من قبل (آل فرعون) ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٤)، ولم يذكر من الذي التقطه. وقد تكون فعلاً ابنة فرعون هي التي قامت بذلك، ثم صار في حوزة امرأة فرعون: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(٥)،

1. Josephus, I.c. 2:9, § 5; Sefer ha-Yashar p. 112b; Sotah 12b; Chronicle of Moses p. 3

2. Yalkut Shimoni, Wayelek, 940

3. Leben Abraham's. Beer, Bernhard pp. 3, 102

٤. القصص: ٨.

٥. القصص: ٩.

وبذا يحصل التوافق بين القصتين، ولكن في الواقع أن التعارض لا يرتفع بهذا، لأن القصة التوراتية تستمر في ذكر ابنة فرعون فقط ولا ذكر لامرأة فرعون، وأن موسى صار في رعاية البنت: (فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي بِهَذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكَ»). فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»^(١). وإن لم نرد تخطئة التوراة في هذه الجزئية، فإنه يمكن أن يرتفع التعارض تماماً بوحدة من الحلول التالية:

١. هي ابنة فرعون السابق وزوجة فرعون الحالي، واكتفت التوراة بذكر صفتها الأولى، بينما ذكرها القرآن بصفتها الثانية. ويصح هذا حتى على فرض أن زوجها كان ابناً للحاكم السابق، لأن زواج الأخ بأخته كان أمراً متكرراً لدى حكام مصر القدماء، وأبرز تلك الحالات الحاكم الشهير توت عنخ آمون، الذي وُلد نتيجة اقتران الأخ (أخناتون) بأخته الملقبة بـ (السيدة الشابة) أو (السيدة الصغيرة) وأبوهما هو أمنحتب الثالث، كما أثبتت ذلك عينات من حمضهم النووي. وأما إذا قلنا بأن الحاكم الجديد كان أحد القادة الكبار في الدولة ممن سيطروا على الحكم من خلال الزواج بابنة الحاكم السابق، أو أنه تزوج بها بعد الانقلاب، فإن هذا ممكن أيضاً وتكرر حدوثه خلال التاريخ المصري القديم.

٢. هي ابنة فرعون الحالي، وزوجته في نفس الوقت، وقد ذكر عالم الآثار المصرية الدكتور سليم في موسوعته (مصر القديمة) هذه الحوادث الشاذة في ثلاثة موارد:

(١) زواج أمنحتب الثالث من ابنته «ست آمون».

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢، ٩-١٠.

(٢) زواج أخناتون من ابنته الثالثة «عنخس إن با آتون».

(٣) زواج «رمسيس الثاني» باثنتين من بناته على أقل تقدير.

ولكن هذه المحاولة تصطدم مع ما اتفق عليه المسلمون وصححوه من الروايات التي تدل على أن اسم امرأة فرعون (آسية بنت مزاحم)، وهذا الاسم يدل على أنها ليست من أصول مصرية. ولكن مع هذا، يمكن حل هذه الإشكالية بالأخذ بمقولة أن فرعون موسى كان بالفعل من الهكسوس الساميين (العماليق العرب)، وإن لم يُعرف أحد حكمهم باسم مزاحم، أو أن امرأة فرعون التي أثنى عليها القرآن في سورة التحريم حيث قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، ليست ذاتها ابنة/ امرأة فرعون التي التقطت موسى، أي أنها زوجة أخرى لذات الشخص، أو لعلها زوجة فرعون آخر لا علاقة له بموسى «عليه السلام».

٣. ادعاء وقوع خطأ في ترجمة النص العبري عندما ذكر صاحبة العلاقة، وهذا يستدعي منا الرجوع إلى النص العبري، حيث نجد المصطلح التالي בַּת-פַּרְעֹה، وعند الترجمة يكون المعنى (ابنة فرعون)، وكلمة בַּת تُلفظ (بַت) تعني (بنت)، وفي اللهجة المصرية الحديثة يقال (بت). ولذا فإن هذا الاحتمال لا يستقيم، ويتبقى لدينا الاحتمال الأول والثاني ما لم نقل بوقوع خطأ في النص التوراتي.

• قصة المولد في التراث الروائي:

تعددت الروايات الإسلامية التي تحدثت عن ولادة النبي موسى «عليه السلام»

والظروف المحيطة بها، لاسيما دوافع وإجراءات فرعون بخصوص مواليد بني إسرائيل، ومن بين ذلك:

١. في تفسير علي بن إبراهيم بالسند عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: (إن موسى «عليه السلام» لما حملت أمه به لم يظهر حملها إلا عند وضعه، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط تحفظهن) وتصور تحقق ذلك بحيث تكون في مقابل كل امرأة من بني إسرائيل امرأة مصرية تراقبها أمرٌ عسير صعب التحقق وغير عملي مطلقاً.

(وذلك أنه لما كان بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون: إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه) هذه النقطة لم ترد في التوراة ولا في القرآن، وقد تحدثنا عن أسباب الإجراءات التي اتخذها فرعون بحق الذكور من مواليد بني إسرائيل، فهل هي من وضع الرواة والقصاصين؟

(فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون وفرق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس، فلما وضعت أم موسى بموسى «عليه السلام» نظرت وحزنت واغتمت وبكت وقالت: يُذبح الساعة، فعطف الله قلب الموكة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لكِ قد اصفرّ لونك؟ فقالت: أخاف أن يُذبح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه وهو قول الله عز وجل، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾^(١) فأحبته القبطية الموكة به، وأنزل الله على أم موسى التابوت) أي لم يكن التابوت من صنعها، بل جئ لها به من عالم الغيب، وهذا أيضاً مما لم يرد في القرآن ولا التوراة.

(ونوديت: ضعيه في التابوت فاقدفيه في اليم وهو البحر، ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين، فوضعتة في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل، وكان لفرعون قصر على شط النيل متنزه فنظر من قصره - ومعه آسية امرأته - إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح) وهذا على خلاف التصور الذي قدمناه من العناية الإلهية بالتابوت بحيث لا يتعرض للأذى باختيار القناة المائية المناسبة وغير ذلك، فإن مثل هذه الأمواج والرياح قابلة لأن تُغرق أو تحطم التابوت.

(حتى جاءت به على باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه فأخذ التابوت ورفع إليه فلما فتحه وجد فيه صبياً، فقال: هذا إسرائيلي، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة وكذلك في قلب آسية، وأراد أن يقتله فقالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(١) وهم لا يشعرون أنه موسى ولم يكن لفرعون ولد، فقال: التمسوا له ظئراً تربّيه، فجاءوا بعدة نساء قد قتل أولادهن فلم يشرب لبن أحد من النساء، وهو قول الله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) وبلغ أمه أن فرعون قد أخذه فحزنت وبكت كما قال الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾^(٣) يعني كادت أن تخبرهم بخبره، أو تموت ثم ضبطت نفسها، فكانت كما قال: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) ثم قالت لأخت موسى: قصيه، أي اتبعيه، فجاءت أخته إليه فبصرت به عن جنب، أي عن بعد وهم لا يشعرون) وهذا أيضاً مخالف للترتيب الذي ذكرناه من قبل أن تتبعها له

١. القصص: ٩.

٢. القصص: ١٢.

٣. القصص: ١٠.

٤. القصص: ١٠.

كان منذ البداية لا بعد تحريم المراضع عليه.

(فلما لم يقبل موسى بأخذ ثدي أحد من النساء اغتم فرعون غماً شديداً فقالت أخته: ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(١) فقالوا: نعم، فجاءت بأمه، فلما أخذته في حجرها وألقمتها ثديها التقمه وشرب ففرح فرعون وأهله وأكرموا أمه فقالوا لها: ربيبه لنا فإننا نفعل بك ونفعل، وذلك قول الله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما يلدون، ويربي موسى ويكرمه، ولا يعلم أن هلاكه على يده...)^(٣).

٢. وفي كمال الدين للصدوق بالسند عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» أنه قال: (ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل، كلهم يدّعي أنه موسى بن عمران، فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرته: إن هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام في بني إسرائيل) إن كان الكهنة والسحرة من بني إسرائيل فهذا يوافق ما جاء في الرواية السابقة، وأما إن كانوا من أهل مصر، فستعارض هذه الجزئية مع ما جاء هناك من أن مصدر النبوة هم بنو إسرائيل أنفسهم.

(فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد العام غلام إلا دُبح، ووُضع على أم موسى قابلة) وهذا يعني أن الحمل بان عليها، وهذا متعارض مع ما جاء في الرواية السابقة.

١. القصص: ١٢.

٢. القصص: ١٣.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٥-٢٦.

(فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيي النساء هلكننا فلم نبق؟ فتعالوا لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى: بل باشروهن فإن أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهم من حرّمه فأني لا أحرّمه، ومن تركه فأني لا أتركه. وبأشْر أم موسى فحملت به، فوضع على أم موسى قابلة تحرسها، فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت، فلما حملته أمّه وقعت عليها المحبة، وكذلك حجج الله على خلقه، فقالت لها القابلة: ما لك يا بنية تصفرين وتذويين؟ قالت: لا تلوميني فأني إذا ولدت أخذ ولدي فذبح، قالت: فلا تحزني فأني سوف أكرم عليك، فلم تصدّقها. فلما أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة فقالت ما شاء الله، فقالت لها: ألم أقل: إني سوف أكرم عليك، ثم حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثم خرجت إلى الحرس فقالت: انصرفوا - وكانوا على الباب - فإنه خرج دم منقطع، فانصرفوا فأرضعته، فلما خافت عليه الصوت) أي أن يصدر الرطفل صوتاً يفضح أمره.

(أوحى الله إليها: اعملي التابوت ثم اجعليه فيه، ثم أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر) وهذا يعني أن التابوت لم ينزل عليها من السماء على خلاف ما جاء في الرواية السابقة.

(فوضعته في التابوت ثم دفعته في اليم، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر^(١) وإن الريح ضربته فانطلقت به، فلما رآته قد ذهب به الماء همت أن تصيح فربط الله على قلبها، قال: وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون من بني إسرائيل قالت لفرعون: إنها أيام الربيع فأخرجني واضرب لي قُبّة على شط النيل حتى أتتّ هذه الأيام، فضرب لها قبة على شط النيل إذ أقبل التابوت يريدّها، فقالت: ما ترون ما أرى على الماء؟ قالوا:

١. الغمر: المياه غير الضحلة.

إي والله يا سيدتنا إنا لنرى شيئاً) وهذا مخالف لما جاء في الرواية السابقة حيث كان فرعون هو الذي رآه من قصره.

(فلما دنا منها قامت إلى الماء فتناولته بيدها، وكاد الماء يغمرها حتى تصايحوا عليها) وهذا العنصر من الإثارة الدرامية من أساليب القصاصين لجذب انتباه الحضور وكسب تفاعلهم المستمر مع القصة، وتُميز كل قصاص عن الآخر وتزيد من شعبيته في أوساط الحاضرين أو القراء.

(فجذبتة، فأخرجته من الماء، فأخذته فوضعتة في حجرها، فإذا غلام أجمل الناس وأسرهم، فوقعت عليه منها محبة، فوضعتة في حجرها، وقالت: هذا ابني، فقالوا: إي والله أي سيدتنا مالك ولد، ولا للملك، فاتخذي هذا ولداً. فقامت إلى فرعون فقالت: إني أصبت غلاماً طيباً حلواً نتخذه ولداً فيكون قرة عين لي ولك، فلا تقتله، قال: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: لا والله ما أدري إلا أن الماء جاء به، فلم تزل به حتى رضي، فلما سمع الناس أن الملك قد تبقي ابناً لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلا بعث إليه امرأته لتكون له ظئراً أو تحضنه، فأبى أن يأخذ من امرأة منهن ثدياً، قالت امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً، فجعل لا يقبل من امرأة منهن، فقالت أم موسى لأختة: قصيه، انظري أترين له أثراً) وهذا مخالف لظاهر الآيات القرآنية التي نفهم منها أن أخته تتبعته من حين إلقائه في اليم لترى كيف سيكون مصيره، ولربما لتدخل في ما لو تعرض أخوها لخطر داهم، كحيوان مفترس أو تعرض التابوت للانجراف مع تيار مائي خطر، أو التحطم.

(فانطلقت حتى أتت باب الملك، فقالت: قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً، وههنا امرأة صالحة تأخذ ولدكم وتكفله لكم، فقالت: أدخلوها، فلما دخلت قالت لها

امرأة فرعون: ممّن أنت؟ قالت: من بني إسرائيل، قالت: اذهبي يا بنية فليس لنا فيك حاجة) ألا يتعرض هذا مع عبارة سابقة لها قالت فيها: [اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً] ام المقصود أحداً من النساء المصريات فحسب؟

(فقال لها النساء: عافاك الله) وهل هذه من كلمات نساء ذلك الزمان؟

(انظري هل يقبل أو لا يقبل، فقالت امرأة فرعون: رأيتم لو قبل هل يرضى فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل؟ - يعني الظئر - لا يرضى، قلن: فانظري يقبل أو لا يقبل، قالت امرأة فرعون: فاذهي فادعيها، فجاءت إلى أمها فقالت: إن امرأة الملك تدعوك، فدخلت عليها فدفع إليها موسى، فوضعت في حجرها ثم ألصقته ثديها، فإذا قحم اللبن في حلقه^(١)، فلما رأت امرأة فرعون أن ابنها قد قبل، قامت إلى فرعون فقالت: إني قد أصبت لابني ظئراً وقد قبل منها، فقال: وممّن هي؟ قالت: من بني إسرائيل، قال فرعون: هذا ممّا لا يكون أبداً، الغلام من بني إسرائيل والظئر من بني إسرائيل! فلم تزل تكلمه فيه وتقول: ما تخاف من هذا الغلام؟ إنما هو ابنك، ينشأ في حجرك، حتى قلبته عن رأيه، ورضي فنشأ موسى في آل فرعون وكنمت أمّه خبره وأخته والقابلة، حتى هلكت أمّه والقابلة التي قبّلتها، فنشأ لا يعلم به بنو إسرائيل....)^(٢).

٣. وفي قصص الأنبياء أنه: (سئل الصادق «عليه السلام» عن موسى «عليه السلام» لما وُضع في البحر، كم غاب عن أمه حتى رده الله «تعالى» إليها؟ قال: ثلاثة أيام)^(٣).

١. أي دخل اللبن في فمه.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٣٨-٤٠.

٣. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٦.

٤. وفي روضة الواعظين: (روى مجاهد، عن ابن عمرو، وأبي سعيد الخدري، عن النبي «صلى الله عليه وآله» في خبر طويل قال: إن موسى بن عمران «عليه السلام» كان فرعون في طلبه يقرر بطون النساء الحوامل) وهذا ما لم يرد في القرآن ولا التوراة، فقد كان الأمر الصادر مقتصر على قتل الذكور لا الأجنة في البطون قبل العلم بجنسها. (ويذبح الأطفال، ليقتل موسى «عليه السلام»، فلما ولدته أمه أمرها) الأمير هو المولود موسى (أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليم، فقالت وهي ذعرة من كلامه: يا بني إني أخاف عليك الغرق، فقال لها: لا تحزني إن الله يردي إليك، فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها: يا أمّ، اقذفيني في التابوت وألقي التابوت في اليم) وبذا يكون الوحي الإلهي قد تحقق من خلال المولود نفسه لا بالإلهام مثلاً، وتكلم المسيح عند ولادته لا ينبغي أن يكون مبرراً لقبول فكرة تكرار تحقق ذلك بالنسبة لموسى، لأن الحالات والأحداث الاستثنائية المتمثلة في الآيات [المعاجز] بحاجة إلى دليل أكيد، وليس مجرد رواية أو خبر ظني، ولذا نستبعد صحة هذه الجزئية، ومن هنا لم يأخذ أحد من المفسرين الاعتبارين بمثل هذا الاحتمال.

(قال: ففعلت ما أمرت به، فبقي في اليم إلى أن قذفه الله في الساحل وردّه إلى أمه برمته، لا يطعم طعاماً ولا يشرب شراباً، معصوماً مدة. ورُوي أن المدة كانت سبعين يوماً، ورُوي سبعة أشهر)^(١) من القائل [ورُوي]؟ ومن هو الراوي المتردد؟ وهل يُعقل أن يبقى الرضيع كل هذه المدة بلا شراب ولا طعام؟

٥. وفي إكمال الدين تحديد لعدد الأطفال الذكور الذين قُتلوا إلى أن وُلد موسى «عليه السلام»، فعن الصادق «عليه السلام» قال: (إن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٦-٤٧.

على يد موسى أمر بإحضار الكهنة فدّلّوه على نسبه وأنه من بني إسرائيل، فلم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من بني إسرائيل) كما جاء في الرواية السابقة (حتى قُتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعدّر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إياه)^(١).

٦. وفي التفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» إضافات غريبة أخرى: (... فأمّر بذبح أبنائهم، فكانت الواحدة منهم تُصانع القوابل عن نفسها) أي تدهنهن وتحدعن وترشيهن (كي لا تنم عليها، ويتم حملها، ثم تُلقى ولدها في صحراء أو غار جبل أو مكان غامض، ويقول عليه عشر مرات الصلاة على محمد وآله، فيقيض الله له ملكاً يرّيه، ويدّر من إصبع له لبناً يمصّه، ومن إصبع طعاماً ليناً يتغذّاه، إلى أن نشأ بنو إسرائيل، وكان من سلم منهم ونشأ أكثر ممن قُتل...) ^(٢). وقد بينت في مؤلفاتي السابقة أن الكتاب لم تثبت نسبته للإمام «عليه السلام»، وأسلوبه وبيانه وعباراته -وحتى مضامينه- تدل على استبعاد هذه النسبة، كما أن مصدر روايات مص اللبن من الإصبع مردّه التراث اليهودي كما مرّ معنا.

٧. ونقل الثعلبي في كتاب عرائس المجالس تفاصيل أخرى غريبة وفي بعض تفاصيلها ما يعارض ظاهر القصة القرآنية: (... حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه... وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم من خيار النساء المعدودات، ويقال: بل هي آسية بنت مزاحم بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول فأسلمت على يدي موسى «عليه السلام». قال مقاتل: ولم يُسلم من أهل مصر إلا

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٧.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٨.

ثلاثة: آسية وخربيل) أي مؤمن آل فرعون (ومريم بنت ناموساء التي دلت موسى على قبر يوسف «عليه السلام») وهل يعقل أن كل جهود موسى لم تفلح إلا مع هؤلاء؟ وماذا عن بقية بني إسرائيل الذين خرجوا معه؟

(فعمر فرعون وهم تحت يديه عمراً طويلاً يقال: أربعمئة سنة يسومونهم سوء العذاب. فلما أراد الله «تعالى» أن يفرج عنهم بعث موسى «عليه السلام» وكان بدء ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله أن فرعون رأى في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأخربتها وأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون السحرة والكهنة والمعبرين والمنجمين وسألهم عن رؤياه، فقالوا: إنه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك وقومك من أرضك، ويبدل دينك، وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه، قال: فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتنه، ولا جارية إلا تركتنها، ووكل بهن فكن يفعلن ذلك، قال مجاهد: لقد ذكر لي) ولا نعلم من الذي كان يملك علماً وذكر له هذا، ولعل المصدر من أهل الكتاب أو مُسلمتهم.

(أنه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار، ثم يصفّ بعضها إلى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني إسرائيل فيوقعن فتحزّ أقدامهن، حتى أن المرأة منهن لتضع ولدها) تلده (فيقع بين رجلها، فتظل تطأه تتقي به حدّ القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها) مجدداً يحضر عنصر الإثارة الدرامية كأسلوب معهود من أساليب القصّاصين، ولعل في البين يداً يهودية عملت على التهويل في عرض تفاصيل القصة كما عهدنا ذلك في وصف اليهود للهولوكوست إبان الحرب العالمية الثانية.

(فكان يقتل الغلمان الذين كانوا في وقته، ويقتل من يولد منهم، ويعذب الحبلى حتى يضعن ما في بطونهن، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل وأنت تذبح صغارهم ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا) أي افتقدنا اليد العاملة.

(فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها، قالوا: فولدت هارون أمه علانية آمنة، فلما كان العام المقبل حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله «تعالى» إليها وحي إلهام: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فلما وضعته في خفية أرضعته، ثم اتخذت له تابوتاً، وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه) وهذا تصرف عجيب، فمن قام بعملية القفل إذا؟ الرضيع موسى؟ أم بقي التابوت غير مقفول؟ فما فائدة القفل إذا؟

(قال مقاتل: وكان الذي صنع التابوت خربيل مؤمن آل فرعون، وقيل: إنه كان من بردي فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطناً محلوجاً^(١) ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وخصاصه^(٢) ثم ألقتة في النيل) خصوصية التقدير مذكورة في التراث اليهودي كما مر معنا، وهو ما يؤيد تدخل اليد اليهودية في صناعة تفاصيل هذا الخبر. فلما فعلت ذلك وتوارى عنها ابنها أتاها الشيطان لعنه الله ووسوس إليها، فقالت في نفسها: ماذا صنعت بابني؟ لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن

١. حلج القطن: ندفه وتخليصه من بزره.

٢. خصاصه: أي ما فيه من فتحات.

ألقى به بيدي إلى دواب البحر، فعصمها الله تعالى، وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دار فرعون إلى فريضة وهي مستقى جوارى آل فرعون، وكان يشرب منها نهر كبير في دار فرعون وبستانه، فخرجت جوارى آسية يغتسلن ويسقين فوجدن الثابوت فأخذنه وظن أن فيه مالاً، فحملنه كهيئته حتى أدخلنه على آسية، فلما فتحت ورأت الغلام، فألقى الله «تعالى» عليه محبة منها، فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً، فلما سمع الذباحون أمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليزجوا الصبي، فقالت آسية للذباحين: انصرفوا، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فأتى فرعون فأستوهبه إياه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم، وإن أمر بذبحه لم أُلْمَكُم، فأتت به وقالت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فقال فرعون: قرّة عين لك، فأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: والذي يُحْلَفُ به لو أقرّ فرعون أن يكون قرّة عين كما أقرت به، لهداه الله «تعالى» كما هدى به امرأته، ولكن الله «تعالى» حرّمه ذلك. قالوا: فأراد فرعون أن يذبحه وقال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا هو الذي على يديه هلاكنا وزوال ملكنا، فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها^(١).

٨. وعاد الثعلبي ونقل عن وهب بن منبه رقماً أكبر من المواليد المذبوحين بأمر فرعون، فبدلاً من العشرين ألفاً صاروا سبعين ألفاً: (وقال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى سبعين ألف وليد)^(٢).

٩. وجاء برواية ثالثة فيها تفاصيل أخرى، من بينها أن أم موسى «عليه السلام»

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٥٢-٥٣.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٥٣.

حين دخل عليها جلاوزة فرعون ليقتلوا مولودها، ألقتة في تنور تشتعل فيه النيران: (وعن ابن عباس أن أم موسى لما تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل مصافية^(١)) لها فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فأتتها وقبّلتها) أي قامت بدورها في توليد الطفل (فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نورٌ بين عيني موسى) وهذه الجزئية أيضاً من التراث اليهودي كما مرّ معنا.

(فارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها، ثم قالت لها: يا هذه، ما جئت إليك حين دعوتني إلا ومن رأيي قتل مولودك وإخبار فرعون بذلك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت مثله قط، فاحفظي فإنه هو عدونا، فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: هذه الحرس بالباب، فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع خوفاً عليه، فلقتة في خرقة ووضعته في التنور - وهو مسجور - بإلهامه تعالى، فدخلوا فإذا التنور مسجور!!! وروي أن أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هي مصافية لي فدخلت عليّ زائرة، فخرجوا من عندها، فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً، فاحتملته^(٢)). قد يقال: وما المانع من صحة ذلك وقد ألقى النبي إبراهيم في النار فلم يحترق وجعلها الله برداً وسلاماً عليه؟ والجواب كما قلنا من قبل أن الحالات والأحداث الاستثنائية المتمثلة في الآيات [المعاجز] بحاجة إلى دليل أكيد، وليس مجرد رواية أو خبر ظني، ولذا نستبعد صحة هذه الجزئية، ونعتبرها من أساطير القصاصين.

١. أي على علاقة طيبة بها.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٥٣-٥٤.

١٠. ويدخلنا الثعلبي مرة أخرى في عالم من الأساطير والتفاصيل التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونُسبت - كما هي العادة - لابن عباس، ومن بين هذه التفاصيل ما يشير إلى تأثر صاحب القصة بالنص التوراتي، إذ يذكر أن مدة الرضاع قبل وضعه في التابوت بلغت ثلاثة، وهو ما يتوافق مع ما جاء في القصة التوراتية، كما أنه يذكر أن التي التقطته هي ابنة فرعون وآسية، لا امرأة فرعون كما حكاه القرآن الكريم: (قال: انطلقت أم موسى إلى نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتاً صغيراً، فقال لها: ما تصنعين به؟ قالت: ابنٌ لي، أخبؤه فيه، وكهرت أن تكذب!) وهل يُعقل أن تذهب للعدو لعمل التابوت ثم تفضح نفسها أيضاً؟

(فانطلق النجار إلى الذبّاحين ليخبرهم بأمرها، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه وجعل يُشير بيده، فلم يدرِ الأمناء، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم: اضربوه، فضربوه وأخرجوه، فوقع في واد يهوي فيه حيران، فجعل الله عليه^(١) إن ردّ لسانه وبصره أن لا يدلّ عليه^(٢) ويكون معه يحفظه) وهل تم ذلك بوحى من الملائكة؟ أم بإلهام أم برؤيا؟ أم كلمه الله كما كلم موسى؟ الواقع أن هذا لا يعدو أن يكون من تخاريف القصاصين أنفسهم.

(فردّ الله عليه بصره ولسانه، فأمن به وصدّقه، فانطلقت أم موسى وألقته في البحر، وذلك بعدما أرضعته ثلاثة أشهر، وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان بها برص شديد وقد قالت أطباء مصر والسحرة: إنها لا تبرء إلا من قبل البحر يوجد منه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطّخ به برصها

١. أي أخذ على نفسه عهداً لله.

٢. أي على موسى.

فتبرء من ذلك، وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق) وهذه التفاصيل مأخوذة عن التراث اليهودي كما سيمر معنا.

(فلما كان يوم الإثنين غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية، فأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فأخذه، فدنّت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، للذي أراد الله أن يكرمها، فعالجته، ففتحت الباب، فإذا نوره بين عينيه، وقد جعل الله «تعالى» رزقه في إبهامه يمّصه لبناً) وهذا من التراث اليهودي.

(فألقي الله حبّه في قلبها وأحبه فرعون، فلما أخرجه عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت، فقبّلتها وضمتّه إلى صدرها، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذّر منه من بني إسرائيل هو هذا، رُمي به في البحر فرقاً منك، فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية، فوهبه لها).

ونجد بعض مثل هذا المدعى ضمن التراث اليهودي خارج إطار التوراة، ففي إحدى الموسوعات اليهودية The Shalvi/Hyman Encyclopedia of Jewish Women مقال بعنوان: Daughter of Pharaoh: Midrash and Aggadah بقلم تمار كاداري by Tamar Kadari وتنقل فيه عن مدرّاش سفر الخروج المسمى Exodus Rabbah أن ابنة فرعون كانت تعاني من مرض جلدي، وربما كان الجذام، وأنها نزلت إلى الماء في ذلك اليوم لأجل الشفاء من المرض، وأنها لما لمست تابوت موسى شفي على الفور وبصورة إعجازية، مما جعلها تعطف عليه وتحبه حباً جما^(١).

1. <https://jwa.org/encyclopedia/article/daughter-of-pharaoh-mid-rash-and-aggadah>

ثم يضيف الثعلبي تفاصيل عن إرضاع موسى: (فلما أتت بأمّه ثار إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فقالت: امكثي عندي ترضعين ابني هذا، فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فإن طابت نفسك أن تعطيني فأذهب به إلى بيتي لا آله خيراً، فعلت وذكرت أم موسى وعد الله «تعالى» فرجعت به إلى بيتها من يومها، وقيل: كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام فلما جاءت أمه به إلى بيتها كادت تقول: هو ابني، فعصمها الله «تعالى» وذلك قوله «تعالى» ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾^(١) (٢).

١١. وروى ابن كثير في تاريخه تفاصيل أخرى، فعند حديثه عن صدور أمر فرعون بقتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل، قال: (وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح: أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يأترونه عن إبراهيم «عليه السلام»، من أنه سيخرج من ذريته غلام، يكون هلاك ملك مصر على يديه، وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر، من إرادته إياها على السوء وعصمة الله لها. وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل، فتحدث بها القبط فيما بينهم، ووصلت إلى فرعون، فذكرها له بعض أمرائه وأساورته، وهم يسمرون عنده، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل، حذراً من وجود هذا الغلام، ولن يغني حذر من قدر. وذكر السدي، عن أبي صالح، وأبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة: أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر وجميع القبط، ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والحزاة، والسحرة، وسألهم عن ذلك فقالوا: هذا غلام يولد

١. القصص: ١٠.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٥٤-٥٥.

من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان.... وعند أهل الكتاب: أنه إنما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل، فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم. وهذا فيه نظر، بل هو باطل، وإنما هذا في الأمر بقتل الولدان بعد بعثة موسى كما قال «تعالى»: { فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم } ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلٍ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾^(١). فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولاً، حذراً من وجود موسى.... وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل، بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار، فيصIRON هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً، وأن يتركوا عاماً. فذكروا أن هارون «عليه السلام» ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى «عليه السلام» ولد في عام قتلهم، فضاقت أمه به ذرعاً، واحتزرت من أول ما حبلت، ولم يكن يظهر عليها مخاض الحبل. فلما وضعت ألهمت، أن اتخذت له تابوتاً، فربطته في حبل، وكانت دارهما متاخمة للنيل، فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت، فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الحبل عندها، فإذا ذهبوا استرجعته إليها به... وذكر المفسرون أن الجواري التقطنه من البحر في تابوت مغلق عليه، فلم يتجاسرون على فتحه، حتى وضعه بين يدي امرأة فرعون: آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف. وقيل: إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى. وقيل: بل كانت عمته، حكاه السهيلي، فالله أعلم^(٢).

١. الأعراف: ١٢٩.

٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٧٤.

• ابنة فرعون في التراث اليهودي:

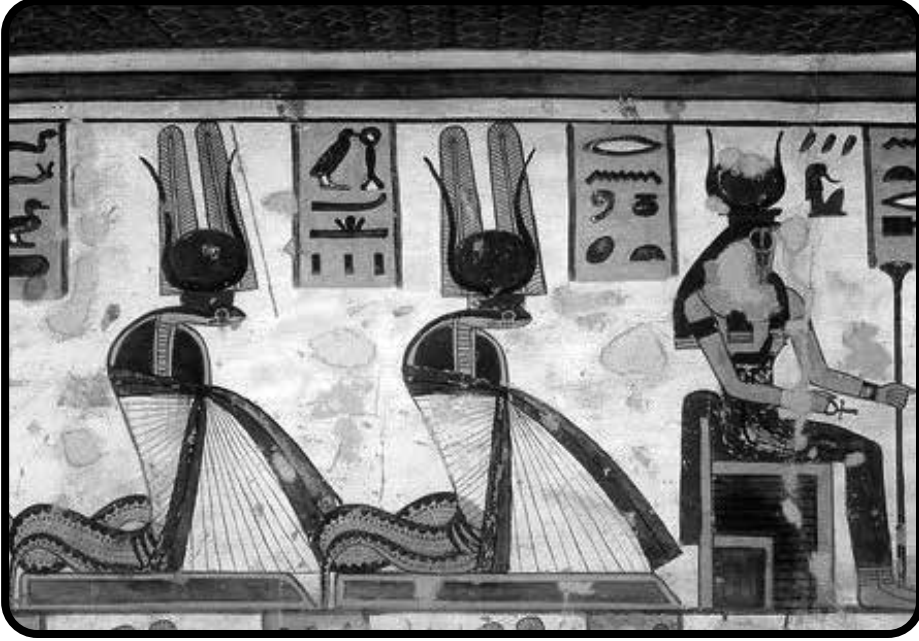
ومن المناسب في هذا الباب أن نستعرض شيئاً مما جاء في التراث اليهودي حول ابنة فرعون التي قالت بأنها هي التي تكفلت بأمر موسى بعد التقاطه من الماء.

ففي حين لم يقدم لنا سفر الخروج من التوراة اسماً لهذه السيدة، ولا لوالدها فرعون، أو لوالدها؛ فإنه اكتفى بالإشارة إليها في اللغة العبرية بعبارة (بات - باروه) Bat-Paroh وهي عبارة عبرية تعني حرفياً (ابنة فرعون).

أما كتاب اليوبيلات ספר היובילים^(١) والمؤرخ اليهودي (يوسيفوس فلافيوس) فيطلقان عليها اسم (ثيرموتيس)، أو (ثارموث) و (ثيرموتيس)، وهم الاسم اليوناني لإلهة الأفعى المصرية المسماة (رننوت/ إرتوت/ رننت) والتي كانت تعتبر في الديانة المصرية القديمة إلهة التغذية والحصاد [انظر اللوحة رقم ٦٧].

في حين أن مدراش (شرح) سفر اللاويين المعروف باسم (قراءة رباح) ויקרא רבה Leviticus Rabbah وكذلك كتاب سفر أخبار الأيام من التنخ/العهد القديم يشيران إليها باسم (بت - ياه) בת יאה Bit-Yah والتي تعني حرفياً (بنت يهوه) أي ابنة الله، وتُلفظ أيضاً (بتياه / بتياه). كما ذكر أنها مُنحت هذا الاسم لتبنيها موسى، فحيث أنها اتخذت من موسى ابناً لها، فإن (يهوه/الله) جعلها بنتاً له (بالمعنى المجازي). في كتاب أخبار الأيام أيضاً أطلق عليها اسم (ها - يهودياه)، أي (اليهودية)، للإشارة إلى أن ابنة فرعون لم تعد وثنية. أما في المسيحية، فقد أطلق عليها أيضاً اسم (ميريس) و (ميرهو).

١. يُسمى أحياناً (سفر التكوين الصغير)، كتاب يهودي ديني قديم يعتبره أغلب البروتستانت والرومان الكاثوليك والأرثوذكس الشرقيين كتاباً مزوراً.



اللوحه رقم ٦٧: لوحه أثرية لـ (رننوت) إلهة التغذية والحصاد

وفي التراث العبري^(١) أن ابنة فرعون كانت تعاني من مرض جلدي، لا يسكن ألمه إلا بمياه النيل الباردة، وأنها تعافت منه نهائياً عندما التقطت موسى ولاست جسد الطفل الملقى في الماء. وقد مرّ معنا ما يماثل ذلك عند عرض بعض الروايات الإسلامية في هذا الباب.

كما ويذكر هذا التراث الروائي اليهودي أن اثنتين من خادمتها حاولتا صرفها عن إنقاذ موسى بالتقاطه من الماء، فقام رئيس الملائكة (جبرائيل) بقتل الخادمتين.

1. [https://en.wikipedia.org/wiki/Pharaoh%27s_daughter_\(Exodus\)#:~:text=The%20Book%20of%20Exodus%20\(Exodus,name%20her%20as%20Thermouthis%20\(Greek%3A](https://en.wikipedia.org/wiki/Pharaoh%27s_daughter_(Exodus)#:~:text=The%20Book%20of%20Exodus%20(Exodus,name%20her%20as%20Thermouthis%20(Greek%3A)

وإذ رأت ابنة فرعون أن موسى طفل غير عادي، لذا فقد تبنته وجعلته بمثابة ابن لها، لأنها لم تُنجب ولداً، وأبلغت والدها فرعون بقولها: (لقد أحضرت طفلاً ذا هيئة مقدسة/إلهية، وصاحب عقل كبير)، ثم وضعت الرضيع بين يدي أبيها، فأخذه وعانقه ووضعه بالقرب من صدره^(١).

وبعد فطام موسى، قامت ابنة فرعون بمنحه الاسم الذي نعرفه... موسى. في سنواتها الأخيرة، كرّست ابنة فرعون نفسها لخدمة موسى، ولخدمة يهوه/الله؛ وكانت تحتفل بعشاء عيد الفصح مع موسى في مهاجع العبيد، فكافأها الله بأن أنجى مولودها الأول من الموت ضمن الآيات العشر التي أنزلت على موسى بعد أن تحدّاه فرعون ورفض الإيمان برسالته وإرسال بني إسرائيل معه، فكان ابنها الطفل المصري الوحيد الذي نجا من هذه الضربات الإلهية.

ثم هاجرت من مصر مع موسى وبني إسرائيل، وتزوجت -بحسب سفر أخبار الأيام من التنخ - بأحد أفراد سبط يهوذا، واسمه ميرد، وأنجبت منه مريام وشماي وإصحاح. وتضيف بعض هذه المصادر أنها كانت واحدة ممن دخلوا الجنة أحياء بعد مماتهم، وذلك لأنها كرّست نفسها لله، وبإزاء تبنيها موسى بعد إنقاذه ولسائر أعمالها التقية^(٢).

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ يؤكد النصان القرآني والتوراتي على قساوة الظروف التي أحاطت ببني إسرائيل المتواجدين في مصر قبيل ولادة النبي موسى، وقمّتها قتل المواليد الذكور.

1.The Legends of the Jews by Louis Ginzberg, 1909, P 2:4.

2.https://www.sefaria.org/Legends_of_the_Jews.2.4.11?lang=bi&with=About%20this%20Text&lang2=en

- لم يكن سبب قتل المواليد الذكور من بني إسرائيل لرؤيا رآها فرعون أو لتحذير صادر من بعض العرّافين، بل كانت مزيجاً من الأسباب السياسية والأمنية والدينية.
- مكر الله بالطاغوت، فبينما عمد لقتل المواليد الذكور بالقائهم في النهر، فإذا بالمولود (موسى) يقتحم عالم فرعون من النهر، ليكون هلاكه على يديه غرقاً!
- هناك توافق إجمالي بين السرديتين التوراتية والقرآنية لقصة المولد، إلا أن التدقيق في التفاصيل يكشف عن أكثر من اختلاف، ومن أهمها شخصية من تبنت الطفل واعتنت به بعد التقاطه من الماء، ففي حين تحدثت التوراة عن ابنة فرعون، عنونها القرآن الكريم بعنوان امرأة فرعون.
- أفسدت المصادر التراثية الإسلامية القصة القرآنية، وأقحمت فيها عدداً من الأساطير، وكان لمسلمة اليهود وغيرهم دور في ذلك.

طفولته ونشأته

طفولته ونشأته

• موضوعات هذا الفصل:

- مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم والتوراة والمصادر الكتابية حول طفولة موسى وسنّي حياته الأولى في قصر فرعون ورعايته.
- استعراض لبعض الروايات الإسلامية التي تحدثت عن طفولته، ورَكَزَت على سبب معاناة موسى في النطق، كما اشتكى من ذلك في أول حوار دار بينه وبين الله، وبيان المصدر الحقيقي لهذه القصص.
- استعراض لبعض ما جاء في التراث اليهودي خارج إطار التوراة، وتأثير تلك الأساطير على ما جاء في بعض تراثنا الإسلامي.
- موقع والدته موسى من ابنها خلال فترة الرضاع وبعد انتهائها، وأثر ذلك على تربيته.
- صورة عن الاعتناء بالطفل موسى في قصر فرعون، وتلقّيه العلوم النظرية والعلمية، وضمن ذلك سنتناول مسألة اعتناء المصريين القدماء بتأويل الرؤى.

• طفولته في القرآن الكريم:

لخص القرآن الكريم -بجملتين قصيرتين- حياة النبي موسى «عليه السلام» بعد أن عاد إلى أمه في مرحلة الرضاع إلى أن شبَّ واستوى، وذلك بقوله «سبحانه»: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(١).

فالمحبة كانت ضرورية في الظروف الاستثنائية التي وُلد فيها موسى «عليه السلام» ونشأ، إذ كان قتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل هو الوضع القائم، وما كان ليصرف فرعون عن ذلك إلا تدخل يد الغيب بإلقاء المحبة لهذا المولود في قلب من يراه، بمن فيهم فرعون نفسه بالإضافة إلى امرأته التي لربما مثلت عامل ضغط على زوجها كي يقبل هذا الطفل ويستثنيه من قراره الجائر، بل ويقبل باستمرار وجوده في القصر ويكون بمثابة الولد الذي حُرِّم منه. قال العلامة ابن عاشور: (وإلقاء المحبة مجاز في تعلُّق المحبة به، أي خَلَقَ المحبة في قلب المحبِّ بدون سبب عادي، حتى كأنه وضع باليد لا مقتضي له في العادة. ووصف المحبة بأنها من الله للدلالة على أنها محبة خارقة للعادة، لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية من الإلف والانتفاع، ألا ترى قول امرأة فرعون: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(٢) مع قولها: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾^(٣)، فكان قرة عين لها قبل أن ينفعها وقبل اتخاذها ولدًا)^(٤).

كما أن هذه المحبة ضرورية لموسى «عليه السلام» نفسه ونشأته، فقد تربَّى في طفولته المبكرة بين غرباء، والحاكم فيها -هذه المرة- طاغوت مستكبر ظالم، لا يتوانى عن

١. طه: ٣٩.

٢. القصص: ٩.

٣. القصص: ٩.

٤. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢١٧.

قتل الأطفال وتسخير الكبار، ونعلم أن الأجواء الملكية تتّصف -عادةً- بالكبر، فإذا بالحاكم -هذه المرة- يرى نفسه رباً أعلى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(١)، وإلهاً أوحداً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾^(٢)، مما يزيد من نسبة المخاطر التي قد يتعرّض لها الطفل (موسى)، فيما لو اعترت فرعون لحظة غضب عارمة لسبب أو لآخر، خاصة فيما لو كان السبب راجعاً إلى بني إسرائيل أنفسهم.

واختلف المفسرون في ماهية عامل تحقيق هذه المحبة ومضع تحققها، فمن قائل بأنها جمال في الخلقة وُصف به، وقيل ملاحه في عينيه، وهناك من يقول إنها محبة القابلة التي ولدت أمه، وقائل: محبة امرأة فرعون، وغير ذلك، ويبدو أن المسألة -كما بيّنا- أعمّ من إلقاء المحبة في نفوس أشخاص محددين، ولعل لعدة عوامل تأثير في تحقق ذلك، بما فيها الملامح، وهذوء الرضيع، وابتسامته الخلاب، وطباعه العامة، وفطنته، وما إلى ذلك.

الأمر الآخر الذي يجب ملاحظته عند الحديث عن طفولة موسى «عليه السلام»، أن الظروف التي كانت تحيط به كانت مهيأة لأن يأخذ هذا الطفل من هذه الطباع والسلوكيات الاستكبارية الطاغوتية، ومن المفاهيم والمعتقدات الباطلة، وأن يتأثر بالدلال والعناية الفائقة التي يتلقاها من امرأة فرعون وحاشيتها والمتزلفين للحاكم وغيرهم، وهو ما سيصنع منه نموذجاً لا يختلف كثيراً عن نموذج الأبناء الفاسدين للحكام من أمثال فرعون، فتجده يلهث وراء شهواته الغرائزية، ويطغى على المستضعفين ممن تطالمهم يداه، ويكون مجمعاً للصفات الرذيلة... إلا أن الإرادة

١. النازعات: ٢٤.

٢. القصص: ٣٨.

طفولته ونشأته

الإلهية شاءت أن تكون تربيته على العكس من ذلك تماماً، وأن تكون نشأته نشأة صالحة، تصنع منه إنساناً محسناً متواضعاً عفيفاً، مدافعاً عن الحق، وهكذا تكون الصناعة الإلهية للإنسان الصالح: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

قال العلامة ابن عاشور: (والصنع: مستعار للتربية والتنمية، تشبيهاً لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعه فلان)^(١)، والغاية من ذلك كما بين الزمخشري في تعليقه على الآية: (لِتُرَبَّى وَيُحَسَّنَ إِلَيْكَ، وأنا مراعيك وراقبك، كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به)^(٢)، ففي قادم الأيام، هناك مهام رسالية كبيرة ستلقى على عاتق هذا الطفل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٣). ومثلها يستدعي أن يتلقى الطفل تربيةً وعنايةً خاصة، وهل نتوقع تربيةً أرقى من التربية والصناعة الإلهية؟

• طفولته في المصادر الكتابية:

وكما اقتصر القرآن الكريم على هذا القدر من مرحلة طفولة موسى «عليه السلام»، اقتضت التوراة لبيان ذلك على آية واحدة: (وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمُهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»)^(٤).

وتذكر بعض المصادر اليهودية التراثية خارج إطار الرواية التوراتية أن بني إسرائيل أدركوا قيمة وأهمية هذا الطفل منذ أن كان رضيعاً، وأنه كان مُعداً للقيام بأشياء

١. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢١٨.

٢. الزمخشري: الكشاف، ج ٣، ص ٦٢.

٣. طه: ٤١.

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١٠.

عظيمة، لأنه ما كاد يبلغ من العمر أربعة أشهر حتى بدأ يتنبأ قائلًا: (في الأيام القادمة، سأستلم التوراة من الشعلة المضيئة). أما ابنة فرعون، فقد اعتنت كثيرًا بتعليمه، وتمت دعوة المعلمين للحضور إلى مصر من الأراضي المجاورة، وبتكلفة باهظة، وذلك لتعليم الطفل موسى العلوم والفنون، وبفعل قدراته الذهنية الرائعة ومواهبه، سرعان ما فاق أساتذته في المعرفة، فقد بدا أن ما يتلقاه من علوم كانت بالنسبة إليه مجرد عملية للتذكير لا للتعلّم، وعندما كان يقع اختلاف في الرأي بين العلماء، كان موسى يختار الإجابة الصحيحة بشكل فطري، لأن عقله كان يرفض تقبل أي شيء خاطئ. وهذا ما يتوافق مع ما ذكره العلامة الطباطبائي عند حديثه عن إتيانه العلم، بأنه علم لا جهل فيه، وقد مرّ معنا ذلك عند الحديث عن مكانته وصفاته الأخلاقية. وقد لاحظ معلّموه أنه يتمتّع بمستوى متقدّم من الإدراك وبما يفوق عمره وأقرانه، وكانت كل تصرفاته في طفولته تؤشّر إلى أنه موعود بأمور عظيمة.

والقرآن الكريم يؤيّد اتّصاف النبي موسى «عليه السلام» بالعلم والحكمة كما جاء في قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وليس بالضرورة أن يكون ذلك بصورة غيبية كالإلهام مثلاً، بل بتهيئة الظروف له بحيث تتوفر له إمكانية التعلم والاستفادة من خبرات الحياة والنضج العقلي، ويرتفع مستوى ذلك إذا أضفنا إليه قدراته الذهنية المتوقّدة التي منحها الله «سبحانه» له.

وهذا ما نفهمه أيضاً في قوله «تعالى» بحق النبي يوسف «عليه السلام»: ﴿وَكَذَٰلِكَ

يَحْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴿١﴾، فهذا التعليم ليس بالضرورة أن يكون تماماً بشكل غيبي، كأن يكون قد تم عن طريق الوحي مثلاً، بل يمكن القول أن السورة توضح لنا منبع هذا العلم بتأويل الرؤى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (٢)، أي أن انتقاله للعيش في مصر -ولو بهذه الصورة المأساوية- كان من أسباب حصوله على هذا العلم، إذ برع المصريون القدماء في ذلك واهتموا بهذا الشأن، إذ لم يكونوا ينظرون إلى الحلم باعتباره حدثاً نفسياً داخلياً، بل هو وحي من الآلهة، وقد اعتقدوا بوجود إله خاص بالحلم خلال عهد الدولة الحديثة هو الإله (بس)، ويُمثل بصورة قزم منتفخ الوجنتين، وله ذفن تشبه المروحة، وترتسم على وجهه علامات الوجوم، لتثير الرعب في نفوس الأشرار، وفي بعض الأحيان -وخاصة ابتداء من الأسرة الثامنة عشر- كان بس يصور ولديه زوجان من أجنحة الصقر [انظر اللوحة رقم ٦٨].

وبحسب الدكتور أحمد كامل عاطف في كتابه (الأحلام في عقيدة المصريين القدماء)، فإنهم كانوا يعتقدون بوجود قوى خارجية غيبية، حملت الأحلام إليهم طبقاً لأحوالهم، وأن للحلم مغزى على المستويين العقائدي والاجتماعي، وتوجد لوحة أثرية شهيرة تسمى (الحلم) أمام تمثال أبو الهول بمنطقة أهرامات الجيزة، والتي أمر بوضعها الملك تحتمس الرابع كلوحة تذكارية بين يدي تمثال أبو الهول، تخليداً لحلم راوده قبل أن

١. يوسف: ٦.

٢. يوسف: ٢١-٢٢.



اللوحه رقم ٦٨ : تمثالان أثريّان لإله الأحلام والرؤى، واسمه بس

يعتلى عرش مصر عام ١٤٠١ ق.م، وخلال الحلم ظهر أبو الهول لتحتمس الرابع في المنام ويشره بأنه سوف يتبوأ عرش مصر، وطلب منه أن يزيل فيما بعد ما تراكم عليه من رمال. قام بتأويل (تفسير) الأحلام كهنة رسميون، ولربما قام بهذا الأمر آخرون من غيرهم [انظر اللوحتان برقم ٦٩-٧٠].

ويقول أحمد سعد الدين في كتابه (فرعون ذو الأوتاد)، بعد الاستشهاد ببعض الدراسات والآثار حول براعة المصريين في تأويل الأحلام وتصنيف الكتب في ذلك: (وهكذا نرى أن قدماء المصريين في وادي النيل وبدءً منذ أقدم عصور حضارتهم ومروراً بكل عصور الحياة التالية كانوا عالمين بتفسير الأحلام، بل كان المصريون القدماء أول من اعتقد بأن الأحلام إحياء مقدس، وكانوا يسمونها الرسل الغامضة



اللوحة رقم ٦٩ : صورة لأبو الهول وأمامه لوحة الحلم



اللوحة رقم ٧٠ : لوحة الحلم

إلى النائم للإنذار بالعقاب أو المواساة والتعزية والتبصير، وكانوا يولون هذا الأمر اهتماماً بالغاً لارتباطه بعقيدتهم، واعتقادهم بأن الأحلام وحي من الآلهة، لذلك خصصوا له الاختصاصيين في هيئة الكهنوت، والذين كانت مهمتهم تركز على الإمام الكامل بتفسير أي تفاصيل ترد في الأحلام، وخاصة الأحلام الملكية، وأحلام الحاشية، وصنّفوا الكتب في ذلك، بل وكانت لديهم برديات موسوعية تضم معجماً لتفسير الأحلام وأسموه: قاموس الأحلام، وهو ما يدل على سعة الحيلة التي كانت لدى المصريين في ذلك العلم).

ثم نقل سعد الدين عن الكاتب محمد أبو رحمة حول دراية المصريين بالتأويل قوله: (كان المصريون يعلمونه ويدرسونه ويطبقونه عملياً، بل وصلوا في هذا الشأن إلى حدّ تشخيص الأمراض النفسية من خلال تفسير الأحلام)^(١).

وقد عُثِرَ على نسخة من (كتاب الحلم) الذي اعتنى بتأويل معاني الكثير من الأنماط المختلفة من الأحلام، والكتاب محفوظ على ورق بردي ومدون بالهيروغليفية، ويعود تاريخه إلى عهد رمسيس الثاني، وكان بمثابة ميراث يسلمه جيل لآخر عبر الأزمان.

ومن هنا أيضاً نفهم جانباً من قوله «تعالى»: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٣٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

١. سعد الدين: فرعون ذو الأوتاد، ص ٢٥٦.

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١١﴾^(١)، فقله «عليه السلام»: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ... وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ بيان لدور وجوده في أرض مدنية متحضرة تمتلك حظاً من العلوم في ما تحقق له من علم، وأنه لو كان قد بقي في (البدو) لربما لم يكن ليحصل عليه.

والخلاصة، أن حصول موسى «عليه السلام» أيضاً على العلم قد تحقق - في جانب منه - بالأسباب العادية الطبيعية التي وظفتها يد الغيب ليبلغ ما بلغ من شأن في هذا المجال، وهذا ما تؤيده عبارة واردة في سفر أعمال الرسل من (العهد الجديد): (فَتَهَدَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمَصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ)^(٢).

إلا أن الأمور لم تكن بالنسبة إلى موسى «عليه السلام» بهذه الصورة الوردية، فقد كان (المصريون) متشككين فيما سترتب على تعليم طفل مثله، الثقط من الماء، ومنحدر نسباً من بني إسرائيل^(٣)، وهو ما سينعكس لاحقاً حين يشب ويكبر ويتأمر عليه الملأ المعادي له ليقتلوه، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً بشئ من التفصيل. كما وسأستعرض بعضاً آخر مما جاء في التراث الديني اليهودي - خارج إطار الرواية التوراتية - حول هذه المرحلة ضمن التعليق على الروايات الإسلامية.

• طفولته في الروايات الإسلامية:

تضمّنت الروايات الإسلامية وكتابات المؤرخين المسلمين حول هذه المرحلة بعض التفاصيل الأخرى التي لا نعلم مدى صحتها، ومدى صدق نسبة بعضها إلى النبي

١. يوسف: ١٠٠-١٠١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٧: ٢٢-٢٣.

3. Legends of the Jews, Louis Ginzberg, 1909, P 2:4:11

«صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام»، وتركزت هذه التفاصيل حول الأمر الذي أدى إلى معاناة النبي موسى «عليه السلام» من صعوبة النطق، حيث يقول «تعالى» على لسان موسى «عليه السلام»:

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۖ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (١٨) ﴿١﴾.

وقوله «تعالى» على لسانه أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (١٩) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (٢٠) ﴿٢﴾.

وقوله «تعالى»: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ (٢٢) ﴿٣﴾، حيث أن قول فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ تعبير واستهزاء بعدم قدرة موسى «عليه السلام» على بيان مراده كما ينبغي، أو كناية عن صعوبة عنده في النطق، ولنلتفت أن المسألة ليست محصورة في معاناته من صعوبة في النطق كأن تكون في لسانه لثغة أو لديه فأفأة أو تأتأة في النطق، بل قد تكون في طريقة كلامه عموماً، أو تأثير حالته النفسية عند الأزمات على قدرته على البيان بطلاقة، بما يجعله يتأتى مثلاً.

وإليك بعض النماذج من هذه الروايات والأخبار:

١. في تفسير علي بن إبراهيم القمي، بالسند عن الإمام محمد الباقر «عليه السلام» أنه قال: (... فلما دَرَجَ موسى) مَشَىَّ ببطءٍ وَتَمَهَّلَ كأول ما يمشي الطفل (كان يوماً

١. طه: ٢٧-٢٨.

٢. الشعراء: ١٢-١٣.

٣. الزخرف: ٥١-٥٢.

عند فرعون، فعطس موسى فقال: "الحمد لله رب العالمين"، فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمه، وقال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللحية، فهلبها -أي قلعها- فهمَّ فرعون بقتله، فقالت امرأته: غلامٌ حَدَث، لا يدري ما يقول، وقد لَطَمْتَهُ بِلَطْمَتِكَ إياه، فقال فرعون: بل يدري. فقالت له: ضع بين يديك تمرّاً وجمراً، فإن ميّز بينهما فهو الذي تقول. فوضع بين يديه تمرّاً وجمراً، فقال له: كُل. فمد يده إلى التمر، فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر، فأخذ الجمر في فيه، فاحترق لسانه، فصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك أنه لا يعقل؟ فعفى عنه... قال: فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتى بلغ مبلغ الرجال^(١) والرواية طويلة جداً.

ونحتاج إلى وقفة هنا للحديث عن اتخاذ اللحية من قبل ملوك مصر، فخلال عصر ما قبل الأسرات، وكذلك خلال العهد الأول من عصر الأسرات، كان الرجال يتّخذون اللحي، ولذا يظهر الملك مينا (نعرمر) موحد القطرين وله لحية [انظر اللوحة رقم ٧١]، كما ونجد لبعض المسؤولين وحكام المملكة المصرية القديمة، مثل الأمير (رع حتب) شوارب [انظر اللوحة رقم ٧٢]، واشتملت أقنعة المومياءات من الفترة الانتقالية الأولى والمملكة المصرية الوسطى على تصاوير للحي كاملة على وجوه أصحابها، مثل مومياء (عنخف) من الأسرة الثانية عشرة.

ولكن، جرى تحوّل تدريجي خلال عصر الأسرات، بحيث أصبحت حلاقة الوجه والتخلّي عن الشارب واللحية أمراً شائعاً، على الأقل بين العناصر النبيلة في المجتمع. ثم انتشرت حلاقة الوجه إلى بقية السكان، الذين كان لديهم ميل مفهوم إلى حدّ ما لاتباع عادات المجتمع الأعلى [انظر اللوحة رقم ٧٣].

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٥-٢٧.



اللوحة رقم ٧١ : لوحة فنية أثرية يظهر فيها الملك مينا (نعرمر) بلحية



اللوحة رقم ٧٢ : تمثال أثري يظهر فيه الأمير (رع حتب) بشارب



اللوحة رقم ٧٣ : لوحة أثرية يظهر فيها عدد من العمال بلا لحي

وبمرور الوقت، أصبح عدم الحلاقة علامة على الحالة الاجتماعية السيئة، إلا في حالة حداد أو على السفر خارج البلاد.

وهكذا، لم تعد تظهر اللحية الحقيقية الكاملة في لوحات الملوك المصريين من أسرّات الدولة الحديثة، واستعُض عنها باللحي المستعارة بقدر العُثُنون^(١) إذ كانت تعتبر سِمة إلهية وفقاً لمعتقداتهم آنذاك، فصار الملك المصري - في مناسبات معينة - يُعبّر عن وضعه كإله حي من خلال ارتداء لحية مستعارة مثبتة بمجل. وقد تكون هذه اللحي أَعْرَض نحو الأسفل [انظر اللوحة رقم ٧٤]. كان هذا النوع من اللحية منتشرًا في اللوحات الملكية الرسمية، حتى تمّ تصوير الملكة حتشبسوت بلحية مستعارة [انظر اللوحة رقم ٧٥].

١. العُثُنون: اللحية الصغيرة أسفل الذقن، وتسمى في الخليج (السكسوكة).



اللوحه رقم ٧٤ : تمثالان أثريان: توت عنخ آمون (على اليمين) والآخر لمنقرع



اللوحه رقم ٧٥ : تمثال أثري للملكه حتشبسوت بلحيه مستعارة

وفي المقابل، فإن وجود اللحية الكاملة والحقيقية في الشخصيات المصوّرة في الفن المصري عادة ما تشير إلى الطبيعة الأجنبية للفرد، وكثيراً ما صُوّر أعداء مصر القديمة باللحية [انظر اللوحة رقم ٧٦].

٢. وفي قصص الأنبياء عن الإمام الصادق «عليه السلام» أن موسى «عليه السلام» خُيّر بين جمرة ودينار، لا بين جمرة وتمرّة، ودون الإشارة إلى العطسة والتسميت: (...) ألقي الله «تعالى» من موسى على فرعون وامرأته المحبة، قال: وكان فرعون طويل اللحية فقبض موسى عليها فجهدوا أن يخلصوها من يد موسى فلم يقدرُوا على ذلك حتى خلاها، فأراد فرعون قتله فقالت له امرأته: إن هنا امرأة تستبين به هذا الغلام، ادْعُ بجمرة ودينار فضعهما بين يديه، ففعل فأهوى موسى إلى الجمرة ووضع يده عليها فأحرقتها، فلما وجد حر النار وضع يده على لسانه فأصابته لغثة) قال المجلسي: (الألغث: الثقل البطئ، والمراد هنا البطء في الكلام)^(١). ولم أجد الكلمة في المعاجم اللغوية، ولعل الصحيح (لُغْثَة).

٣. وفي كتاب عرائس المجالس للثعلبي من التفاصيل والمبالغات ما يكشف زيفها، وأنها لا تعدو أن تكون من اختراع القصاصين الذين كانوا يجدون في ابن عباس خير ضحية لهم ينسبون إليه ما شاءوا، ونجد فيها بدلاً عن التمرة أو الدينار، حُلِيّاً من الياقوت: (وعن ابن عباس: ... فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أُحِبِّ أن تُرِيني ابني، فوعدها يوماً تريها إياه، فقالت لحواضنها وقهارمتها^(٢): لا تبقين منكم أحد إلا استقبل ابني بهدية وكرامة، فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من حين أخرج

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٦.

٢. قهّارمة: جمع قهّارمَة وقهّارمَة، والقهّارمَة: مدبرة البيت ومتولية شئونه.



اللوحه رقم ٧٦ : لوحه يظهر فيها أسرى كنعانيون بلحي، ومصريون بلا لحي

من بيت أمه إلى أن أدخل على امرأة فرعون، فأكرمته وفرحت به، فلما أدخل على فرعون تناول لحيته ونتف منها، ويقال: إنه لطم وجهه، وفي بعض الروايات أنه كان يلعب بين يدي فرعون وييده قضيب صغير يلعب به، إذ ضرب على رأس فرعون، فغضب غضباً شديداً وتطير منه^(١)، وقال: هذا عدوي، فأرسل إلى الذباحين، فقالت امرأته: إنما هو صبي لا يعقل، وإني أجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق، أضع له حلياً من الذهب، وأضع له جمرأ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل، فلما حول جبرئيل يده إلى الجمر قبضها وطرحها في فيه، فوضعها على لسانه فأحرقته، فذلك الذي يقول: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ فكف عن قتله، وحببه الله «تعالى» إليه وإلى الناس كلهم^(٢).

١. تطير منه: أي تشاءم منه.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٥٠-٥٦.

٤. في تفسير الطبري عن السديّ، قال: (لما تحرّك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبيّاً^(١)) فبينما هي ترقّصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(٢) إنما هو صبيّ لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني^(٣) أنا أضع له حلياً من الياقوت، وأضع له جمرًا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل، فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستاً من جمر، فجاء جبرائيل «صلى الله عليه وسلم»، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله «عز وجل» ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾^(٤) يَفْقَهُوا قَوْلِي^(٥)، فزالت عن موسى من أجل ذلك^(٥) أي أن عقدة لسانه قد زالت بعد هذا الدعاء.

ما سبق يمثّل في الواقع بعضاً مما ذكره التراث اليهودي المدوّن خارج نطاق التوراة، ضمن تفاسيرها وشروحها (المدراش)، وضمن التلمود وغيرها من المصادر، مع شيء من الاختلاف اعتدناه من مسلمة اليهود الذين كانوا يحرفون ويغيّرون في مضامين ما ينقلونه للمسلمين من تفاصيل وردت في تراثهم، وفيها أنه:

١. حين بلغ موسى الثالثة من عمره، كان طفلاً كبيراً جداً من حيث الحجم مقارنة بالأطفال في مثل هذا العمر.

١. أي سنّته. يقال: أَوْزَى السَّمْنُ الْإِبِلَ، أي أكثر شحمها ونقيّها.

٢. القصص: ٩.

٣. أي من لديها حُلِيّ أكثر مني.

٤. طه: ٢٧-٢٨.

٥. الطبري: جامع البيان، ج ٨، ص ٤١٠.

٢. جلس موسى الطفل على مائدة الملك في حضور عدد من الأمراء والمستشارين، وأخذ التاج من رأس فرعون ووضعه على رأسه، فارتاع الأمراء من تصرف الصبي. وقال العراف أنّ هذا هو نفس الصبي الذي -وفقاً لتنبؤاتهم السابقة- سيدمر مملكة فرعون ويحرّر بني إسرائيل. وكان بلعام ويثرون في ذلك الوقت من مستشاري الملك أيضاً. نصّح بلعامُ الملك أن يقتل الغلام فوراً، أما يثرون -وفي بعض المصادر أنه كان في الواقع جبريل متلبساً في هيئة يثرون- فقد قال إنه يجب اختبار الصبي أولاً، لمعرفة ما إذا كان لديه إدراكٌ كافٍ لارتكاب مثل هذا الفعل عن عمد [انظر اللوحة رقم ٧٧].

اتّفق الجميع مع هذه النصيحة، وتم الإتيان بقطعة لامعة من الذهب، أو الحجر الكريم، بجانب جمرة، ووُضعت على طبق أمام الصبي، ليُرى أيهما سيختار. ثم قاد الملك جبرائيل يده إلى الجمرة، فالتقطها ووضعها في فمه، فاحترق لسانه. فكان ذلك سبباً لمعاناته من صعوبة النطق لاحقاً، إلا أن ما جرى أنقذ حياته^(١).

من الواضح وجود تشابه كبير في القالب العام للأحداث بين ما جاء التراث اليهودي وبين بعض الروايات السابقة، وهو يعكس تأثير التراث اليهودي على مرويات المسلمين، فهل القصة بأكملها مجرد أسطورة من أساطير اليهود، اقتحمت التراث الإسلامي الروائي باسم ابن عباس والإمامين الباقر والصادق «عليهما السلام» كما سبق وبيّنا، أم أنّ فيها شيئاً من الصحة والحقيقة، دون تبرئة الإسرائيليات بكونها المصدر لها، أم أنها من المعارف الخاصة بالمسلمين التقت مع الرواية الإسرائيلية من جهة وخالفتها من جهة أخرى؟ كل ذلك محتمل، وإن كنت لا أميل إلى الاحتمال الثالث على وجه التحديد.

1. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses>



اللوحة رقم ٧٧ : لوحة فنية تمثل موسى -الطفل- بعد أخذه
تاج فرعون، وبلعام يشير بقتل الطفل

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ لحّص القرآن الكريم -بجملتين قصيرتين- حياة النبي موسى بعد أن عاد إلى أمه في مرحلة الرضاع إلى أن شبّ واستوى، وذلك بقوله «سبحانه»: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، والجملة الثانية تبين السبب وراء عدم الكتساب موسى منذ طفولته الصفات السلبية التي يمكن أن يتربّي عليها الطفل في أجواء قصر طاغوت مستكبر كفرعون.

○ لم تذكر التوراة شيئاً عن طفولة موسى، سوى مَنْ أعطاه الاسم ولماذا. وأما المصادر الكتابية خارج إطار التوراة فقد تحدّثت عن تعديّ موسى على هيبة فرعون والاختبار الذي لجأ إليه ليكتشف ما إذا كان الطفل واعياً لفعلته أم فعلها عن غير قصد ولا سوء نية، وهو الاختبار الذي أدّى إلى صعوبة النطق لديه.

○ تأثرت المرويات الإسلامية التي تحدّثت عن طفولة موسى بتلك القصة التي لا نعلم مدى صحتها، وأدخلت عليها بعض التغييرات أو الإضافات الأسطورية.

○ لم تنقطع علاقة والدّة موسى بابنها بمجرد انتهاء سنّي الإرضاع، فمن المنطقي أن تمتدّ العلاقة بين الأم -الرضاعية- بابنها الذي تعلّقت به وتعلّق بها ولم يقبل أن يرضع إلّا منها، كما أنها ستكون الأنسب للعناية به في بيئة كبيئة القصر حيث يتوافر العديد من الخدم والحشم وتكون هناك حاجة دائمة لمن يساعد الملكة في شئونها.

○ تلقّى موسى في طفولته العلوم النظرية والعلمية، وقد تحدّث القرآن عن المستوى العلمي الذي سيبلغه لاحقاً عند بلوغه مرحلة الشباب.

٨

شبابه

شبابه

• موضوعات هذا الفصل:

- محاولة تحديد المراد من قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى...﴾^(١).
- محاولة تحديد سنّ النبي موسى عندما قتل رجلاً من أعدائه.
- قراءة تحليلية في ما وراء تصنيف القرآن الكريم للرجل المقتول على يد موسى على أنه عدوّ له، والآخر من شيعته؟
- تحديد الاختلافات بين السردية القرآنية والتوراتية لقصة موسى والرجلين والتي أدّت لاحقاً إلى خروجه من مصر إلى مدين.
- إطلالة على تاريخ مدين، وسبب لجوء موسى إليها على وجه التحديد.
- بحث تاريخي تحليلي حول هوية والد المرأتين اللتين أعانهما موسى عند ماء مدين.
- قصة زواج موسى، وعرض شيء من سيرة ذريته.

- لماذا قرّر موسى مغادرة مدين والعودة إلى مصر؟ وما الفرق بين القصة القرآنية والقصة التوراتية حول هذه المسألة؟
- وقفة حول جبل حوريب/طور سينين.
- قراءة ونقد لعدد من أخبار ومرويات المسلمين لسيرة النبي موسى الخاصة بهذه المرحلة السنيّة.

• موسى الشاب في القرآن:

وصف القرآن الكريم هذه المرحلة من حياة النبي موسى «عليه السلام» بقوله «سبحانه»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، ولم تحدّد الآية سنّاً معيّنة، وهو ما فتح باب الاجتهاد وحتى القول بالرأي في تأويلها، وراوحت بين الثلاثين والأربعين، أو ميّزت بين بلوغ الأشد، فكان في الثلاثين أو الثلاثة والثلاثين، وبين الاستواء والذي تحقّق عند بلوغه الأربعين.

ذكر الطبري -في تفسيره- الآراء المختلفة في تأويل ذلك:

١. عن ليث، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾، قال: أربعين سنة.
٢. وعن مجاهد -ولكن هذه المرة برواية عن ابن أبي نجيح- أن قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: ثلاثاً وثلاثين سنة، قوله: ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾، قال: بلغ أربعين سنة.
٣. وعن مجاهد مرة ثالثة -ولكنه يروي هذه المرة عن ابن عباس- أنه قال في قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: بضعاً وثلاثين سنة.

٤. وقال بعضهم: يكون ذلك في ثلاثين سنة^(١).

وفي المقابل نجد في التوراة اقتران حادثة القتل - التي ورد ذكرها في القرآن مع ذكر بلوغه الأشد - وصف موسى أنه قد كبر: (وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامَ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ...) ^(٢) دون تحديد لسن معينة. بينما ذكرت مصادر يهودية أخرى أنه بلغ العشرين، أو الأربعين ^(٣).

وفي بعض المصادر اليهودية تذكر أنه كان في الثامنة عشر من عمره حين وقعت والأشهر لدى المسيحيين هو بلوغه سن الأربعين، اعتماداً على ما جاء في سفر أعمال الرسل من (العهد الجديد): (فَتَهَدَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَلَمَّا كَمَلَتْ لَهُ مُدَّةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، خَطَرَ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَإِذْ رَأَى وَاحِدًا مَظْلُومًا حَامِيَ عَنْهُ، وَأَنْصَفَ الْمَغْلُوبَ، إِذْ قَتَلَ الْمِصْرِيَّ) ^(٤).

فهل هذا الرأي عند أهل الكتاب هو المؤثر الرئيس في قول من قال من قدماء مفسري القرآن بأن المراد بقوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ هو بلوغه الأربعين وذلك تحت تأثير الإسرائيليات أو المسيحيات؟ هذا محتمل... كما أن في البين احتمالاً آخر سأعرضه في الأثناء.

شخصياً، أستقرب أن يكون المراد من قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ بلوغه «عليه

١. الطبري: جامع البيان، ج ١٠، ص ٤١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١١.

3. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses>

٤. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٧: ٢٢-٢٤.

السلام» الثامنة عشر تقريباً، وقوله ﴿وَاسْتَوَى﴾ للدلالة على مُضيّ فترة وجيزة على ذلك تحقّق من خلالها الاستقرار في هذه المرحلة من العمر، وكأن الآية تُرشد إلى أن الحادثة المشار إليها لم تقع مباشرةً بعد بلوغه الأشد، بل بعد ذلك بمدة. ولذا قد يكون سن العشرين -أو أكثر من ذلك بقليل- هو مراد الآية الشريفة.

والذي يؤكد أنّ الآية لا تريد ببلوغ الأشد تقدّم العمر به إلى الثلاثين أو الأربعين هو نفس الاستعمال القرآني لمصطلح بلوغ الأشد، فقد استعمل القرآن الكريم هذا العنوان في الموارد التالية:

١. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(١).

٢. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾^(٢)، قال العلامة الطباطبائي: (قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو أوان البلوغ والرشد) أي إذا بلغ ورشد (وعند ذلك يرتفع عنه اليُتم، فالتحديد بهذه الجملة لكون النهي عن القرب في معنى الأمر بالصيانة والحفظ، كأنه قيل: احتفظوا على ماله حتى يبلغ أشده فتردّوه إليه، وبعبارة أخرى الكلام في معنى قولنا: [لا تقربوا مال اليتيم ما دام يتيماً] وقد تقدّم بعض ما يناسب المقام في سورة الأنعام آية ١٥٢)^(٣).

فهل ننتظر إلى بلوغ اليتيم سن الثلاثين أو الأربعين ثم نعطيه أمواله؟ من الواضح أن التشريع لا يقصد ذلك، بل الكلام عن النضج العقلي الكفيل بأن يجعله يُحسن التصرف في المال، وهذا أمر نسبي يختلف من شخص إلى آخر، ولعلنا نجد مراهقاً

١. الأنعام: ١٥٢.

٢. الإسراء: ٣٤.

٣. الطباطبائي: الميزان، ج ١٣، ص ٩١.

راشداً من هذه الناحية، وهو في الثالثة عشر فحسب، بينما لا يملك مثل هذا الرشد شابٌ آخر قد بلغ العشرين من عمره.

٣. في قصة النبي يوسف «عليه السلام»: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ.... ﴿١٣﴾﴾^(١)، فهل انتظرت امرأة العزيز إلى أن بلغ يوسف الثلاثين أو الأربعين ثم أقدمت على ما أقدمت عليه؟ هذا بعيد جداً.

وفي ذلك قال العلامة الطباطبائي: (بلوغ الأشد أن يُعمر الإنسان ما تشتد به قوى بدنه، وتتقوى به أركانه بذهاب آثار الصباوة، ويأخذ ذلك من ثمانية عشر من عمره إلى سن الكهولة التي عندها يكمل العقل ويتم الرشد. والظاهر أن المراد به الانتهاء إلى أول سن الشباب دون التوسط فيه أو الانتهاء إلى آخره كالأربعين... فلا مجال لما ذكره بعضهم: أن المراد ببلوغ الأشد بلوغ الثلاثين أو الثلاث والثلاثين، وكذا ما قاله آخرون إن المراد به بلوغ الأربعين وهو سن الأربعين. على أن من المضحك أن تصبر امرأة العزيز عن يوسف مدى عنفوان شبابه وريعان عمره حتى إذا بلغ الأربعين من عمره وأشرف على الشيخوخة تعلقت به وراودته عن نفسه)^(٢).

٤. ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ

١. يوسف: ٢١-٢٣.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١١، ص ١١٨.

ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ...^(١)، ولعل هذه الآية هي التي دفعت البعض إلى القول بأن بلوغ موسى «عليه السلام» الأشد والاستواء كان عند بلوغه الأربعين، وهذا خطأ منهم في فهم الآية، فهي لا تقول أن سن الأربعين هي سن بلوغ الأشد، وقد استشهد العلامة الطباطبائي بهذه الآية لتأكيد العكس تماماً، وأنها تُرشد إلى أن بلوغ الأشد ليس بلوغ الأربعين، قال: (فلو كان بلوغ الأشد هو بلوغ الأربعين لم تكن حاجة إلى تكرار قوله: «بَلَغَ»)^(٢).

كما وأنَّ من المعلوم أنَّ موسى «عليه السلام» لم يتزوج في الفترة التي عاشها في مصر قبل الخروج إلى مَدْيَن، وأنه تزوج لاحقاً في مَدْيَن. وأما زواجه من (كوشية = نوبية) كما جاء في سفر العدد: (وَأَنْتَقَدْتُ مَرْيَمَ وَهَرُونُ مُوسَى لَزَوَاجِهِ مِنْ امْرَأَةٍ كُوشِيَّةٍ، وَقَالَا: «هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضاً؟»)^(٣) فهناك أكثر من رأي:

١. تمَّ ذلك بعد عودته من مَدْيَن إلى مصر.

٢. تمَّ ذلك بعد عودته من مَدْيَن إلى مصر بعد وفاة زوجته المدينيَّة.

٣. تمَّ ذلك بعد خروجه مع بني إسرائيل من مصر إلى سيناء فأرض كنعان.

٤. كوش هنا اسم لمنطقة تشكّل جزءً من مَدْيَن، وليس المقصود منها بلاد النوبة.

٥. لم يتزوج موسى إلا واحدة، وهي المدينية، وإنما عبّر عنها بالكوشية تحقيراً لها، بلحاظ سُمرة بشرتها كالكوشيّات.

وعلى كل حال، فإنَّ عدم زواج موسى قبل خروجه الأول من مصر أمر مؤكد، ومن

١. الأحقاف: ١٥.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١١، ص ١١٨.

٣. الكتاب المقدس: سفر العدد، الإصحاح ١٢: ١-٢.

المستبعد أن يبقى موسى «عليه السلام» بلا زواج طيلة أربعين سنة، ولديه ألف فرصة وفرصة للاقتران بفتاة من أهل مصر أو بني إسرائيل أو غيرهم، ولا سيما بلحاظ وجود كل المغريات الغرائزية من حوله والتي تدفع بالإنسان المؤمن -عادةً- إلى المبادرة للزواج حفاظاً على النفس من السقوط في أية مخالفة شرعية.

ومما يؤيد القول بأن الآية تتحدث عن بدايات مرحلة الشباب لموسى «عليه السلام»، ما روي في كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق بالإسناد عن محمد بن نعمان الأحول عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام»: في قول الله «عز وجل»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال: أشده ثمان عشرة سنة، ﴿وَاسْتَوَى﴾ (١)، والقسم الأول من الرواية مقبول، وأما تأويل الاستواء بالالتحاء بمعنى ظهور اللحية، فيبدو لي ذلك بعيداً، فمن المعتاد ظهورها قبل سن الثامنة عشرة، فلا معنى لذكرها لاحقاً، لأن ذلك سيكون بمثابة تحصيل حاصل، ولذا قد يكون المراد هو تكامل لحيته وكثافتها، وهو ما نشهده عند الرجال فعلاً.

وعلى كل حال، فالآية تدلّ على ما امتاز به موسى «عليه السلام» من العلم والقدرات القيادية (أو الحكمة) (٢) نتاج ما من به الله «سبحانه» عليه من خصائص عقلية، علاوة على البيئة والظروف التي عاش فيها وساعدت في تحقيق ذلك كما ذكرنا مسبقاً عند الحديث عن طفولته.

ومن المحتوم أن موسى «عليه السلام» طوال هذه الفترة كان قد تربّى على توحيد الله «سبحانه» وتعالى إلى جانب ما تمتّع به من صفات أخلاقية وعلم وقدرات قيادية

١. الصدوق: معاني الأخبار، ص ٦٧.

٢. راجع ما ذكرناه حول معنى الحكم وذلك في الفصل الخاص بمكانته وصفاته الأخلاقية.

(وحكمة)، وهو التوحيد الذي وصّى به أسلافه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٣) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٤)، وتمسك به السائرون على نهجهم من ذرية يعقوب (إسرائيل)، ومنهم والد موسى، وقد يكون لامرأة فرعون التي تبنته دوراً أيضاً في ذلك، ولعلها هي نفسها التي مدحها القرآن الكريم إذ قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥)، وذكرت في الروايات الإسلامية باسم (آسيا بنت مزاحم).

• موسى يقتل عدوه:

قال «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (٣٧).

يبدو من ظاهر الآيات التي انتقلت من وصف مرحلة شباب موسى «عليه السلام» إلى الكلام عن حادثة قتل موسى لأحد الرجال، أنها جرت في هذه السن المبكرة من شبابه، وهو ما وضعه في مأزق أمني على الرغم مما كان يتمتع به من امتيازات وفرها له

١. البقرة: ١٣٢-١٣٣.

٢. التحريم: ١١.

٣. القصص: ١٤-١٥.

انتسابه إلى بيت فرعون، وغيّر مسار حياته تماماً، وقلبها رأساً على عقب، واضطرّه إلى التخلّي عن كل الامتيازات التي كان يتمتع بها، والهروب والاستقرار في منطقة بعيدة، والعيش حياة بسيطة جداً، والاشتغال في الرعي، ثم الزواج بفتاة من أهل تلك الديار.

ولطالما كنت أستغرب العبارة التالية: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾، إذ أنها تخصّ مرحلة ما قبل مبعث النبي موسى «عليه السلام»، فكيف يكون لموسى شيعة آنذاك وأعداء بحيث يرى أن هذا الذي هو من شيعته يستحقّ التدخل لدفع الظلم عنه، بل وكاد أن يكرّر ذلك مرة أخرى في مناسبة لاحقة؟ وعلى أي أساس تم التقسيم إلى من هو له شيعة ومن هو عدو؟ هل مجرد كون الرجل مثلاً من بني إسرائيل يجعله من شيعته، وكون الآخر مصرياً يجعله من عدوه؟ وهل كون الأول مستضعفاً -فحسب- يجعله من شيعته؟

الأمر يستحق التفكير والتدبر، والرواية التالية تقدّم إجابة على هذه التساؤلات.. ولكننا سنتوقف عندها قليلاً لنرى هل هي كافية ومقنعة وتقدّم معالم الظروف التي جعلت لموسى الشاب شيعة وأعداء؟

في إكمال الدين بالسند عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» في رواية طويلة وتتعارض في بعض تفاصيلها مع ما جاء في رواية سابقة مرّت معنا رُويت في تفسير القمي عن الإمام الباقر «عليه السلام» حول طفولة موسى: (.... فنشأ موسى في آل فرعون، وكتمت أمّه خبره وأخّته والقبيلة حتى هلكت أمّه والقبيلة التي قبلته، فنشأ لا يعلم به بنو إسرائيل، قال: وكانت بنو إسرائيل تطلبه وتسأل عنه فيعَمى عليهم خبره. قال: فبلغ فرعون أنهم يطلبونه ويسألون عنه، فأرسل إليهم، فزاد في العذاب

عليهم، وفرّق بينهم، ونهاهم عن الإخبار به والسؤال عنه، قال: فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مُقِمِّرة إلى شيخ لهم عنده علم، فقالوا: قد كنّا نستريح إلى الأحاديث، فحتى متى وإلى متى نحن في هذا البلاء؟ قال: والله إنكم لا تزالون حتى يجيء الله «تعالى» ذِكْرُه بغلامٍ من ولد لاوي ابن يعقوب، اسمه موسى بن عمران، غلام طوال جَعْد، فبينما هم كذلك إذ أقبل موسى «عليه السلام» يسير على بغلة، حتى وقف عليهم، فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة) وهل يكفي هذا القدر من الوصف السابق للتعرف عليه؟ (فقال له: ما اسمك يرحمك الله؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبّلها، وثاروا إلى رجله يقبّلونها، فعرفهم وعرفوه، واتّخذ شيعة، ومكث بعد ذلك ما شاء الله) (١).

فهذه الرواية تذكر لنا أنّ انقسامَ موقفِ البعض في علاقتهم بموسى «عليه السلام» كان ناتجاً عن (ظهوره) بعد انتظار طويل ومعاناة شديدة بسبب اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، هذا الظهور الذي -وإن كان قبل بعثته- إلا أنه جاء بمثابة طوق النجاة لهم، وباب الأمل الذي فُتح لهم للخلاص من معاناتهم... وهكذا ظهر لموسى شيعة وأتباعٌ على استعداد لمساعدته في مشروعه (الخلاص)، وصار أعوان الظالم فرعون أعداءً مباشرين لموسى بسبب هذا المشروع.

وأحتمل أن مسألة الانقسام إلى معسكرين لا تقف عند هذا الحد -إن صحّت الرواية- ولم تكن ذات بُعد ديني من الأساس، أو بُعد ديني خالص على أقل تقدير، بل إن التشييع لموسى والعداء له جاء في أجواء التنافس والغيرة بين شباب بلاط الحُكم أيضاً، فقد كان موسى «عليه السلام» يتمتّع بمواصفات عديدة، من بينها ما

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٣٨-٤٠.

جاء في قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) جعله مرشحاً قوياً للحكم من بعد فرعون، لاسيما إذا أضفنا إلى ذلك ما جاء في تاريخ الطبري -إن صحّ- من أنه: (كبر موسى، فكان يركب مراكب فرعون، ويلبس ما يلبس، وكان إنما يُدعى موسى ابن فرعون)^(٢)، وكان آخرون من شباب هذا البلاط ينافسونه على موقعه وقُربه من فرعون، ويخافون أن يرتقي موسى أكثر، ولربما يغدو في لحظةٍ ما الحاكمَ الفعليّ للبلاد، من هنا، التّفّ البعض حول موسى، والبعض الآخر حول شباب آخرين من أبناء السلطة الحاكمة والمقرّين إليها، فكان لموسى شيعة وأتباع، وكان للآخرين شيعة وأتباع، واحتدم التنافس واشتعلت الغيرة والحسد في نفوس أولئك الشباب، فتآمروا على قتل موسى، فجاءه التحذير في اللحظة المناسبة: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣)، ولعلهم استغلّوا قتل موسى -بالخطأ- لأحد أتباعهم وشيعتهم، في ما حكاه القرآن الكريم -والتوراة أيضاً- فكان ذلك مبرراً لهم للتخلص من موسى، أو أنهم اعتقدوا أن موسى قد بدأ يستخدم العنف ضد منافسيه، ففضى على أحد أتباعهم كرسالة موجهة منه إليهم كي يخافوه، ولذا بادروا للتخلص منه ضمن مؤامرة حاكوها.

ونجد في التراث اليهودي -خارج الرواية التوراتية- ما يحكي عن استمرار بقاء موسى في قصر فرعون لمدة خمسة عشر عاماً بعد حادثة التقاط الجمرة ووضعها في فمه

١. القصص: ١٤.

٢. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧٤.

٣. القصص: ٢٠-٢١.

حين كان في الثالثة، وأثناء ذلك كان كثيراً ما يذهب إلى إخوته - بني إسرائيل - الذين استعبدتهم فرعون، ويشاركهم أحزان مصيبتهم. لقد كان موسى يساعد أي شخص يعاني من الأحمال الثقيلة، أو مَنْ كان يضعف كثيراً عن أداء الأعمال الموكولة إليه. وحاول موسى التوسّط عند فرعون لإعطاء العبيد شيئاً من الراحة التي يستحقونها، وتوسل إليه أن يمنح بني إسرائيل يوم إجازة وراحة في الأسبوع. وافق فرعون على هذا الطلب، وبناءً على ذلك، اختار موسى يوم السبت ليكون يوم راحة لهم^(١).

وتحدّث إحدى المصادر اليهودية عن زيارة قام بها موسى لموضع عمل بني إسرائيل فشاهد المعاناة والظروف الصعبة التي كان شعبه يئنّ تحت وطأتها، وتساءل عن سبب ذلك، فأخبره بنو إسرائيل بالقرار القاسي الذي أصدره فرعون قبل ولادته بفترة وجيزة، وأخبروه عن (النصائح) الشريرة التي قدمها مستشاره بلعام بن بعور ضدهم، وضدّ شخص موسى نفسه عندما كان صبيّاً صغيراً، حين وضع تاج فرعون على رأسه. اشتعل غضب موسى على المستشار الحاقد، وحاول أن يفكّر في وسيلة يستطيع من خلالها تحييد بلعام، الذي ما أن شعر بإجراءات التضييق عليه، هرب من مصر مع ولديه، وتوجّه إلى بلاط (كيكانوس) ملك إثيوبيا.

ويضيف هذا المصدر أن مشهد بني إسرائيل وهو يتألّمون كان يبعث موسى على البكاء، وأنه تكلم ذات مرّة قائلاً: (ويل لي لكريكم! إنني أموت إذ أراكم تتألّمون بشدة)، وأنه وعلى الرغم من المقام والمنزلة التي كان يتمتع بها على مستوى السلطة، إلا أن موسى لم يترفع عن مساعدة (إخوانه) التعساء بقدر ما استطاع. وكانت النتيجة أنه لم يقدّم فقط الراحة للعمال المجتهدين من الأعمال الشاقة والأحمال الثقيلة،

1. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses>

ولكنه حصل أيضاً على تأييد فرعون الذي اعتقد أن موسى كان يشارك في العمل من أجل تعزيز تنفيذ الأمر الملكي.

كما وكان موسى يوجّه إليهم كلمات مشجعة يطلب فيها منهم عدم الاستسلام للتعب الجسدي لئلا تتعب أرواحهم، وأن لا يفقدوا شجاعتهم، وأن الأمل باق وسيأتي الفرج لا محالة، فبعدما تتلبّد السماء بالغيوم تشرق الشمس، وبعد العواصف يأتي الهدوء^(١).

ومن الواضح -إن صحّ ما سبق- أنّ هذا التصرف الإنساني من موسى «عليه السلام» يخلق له شعبية بين بني إسرائيل، ويوجد له من بينهم شيعة له ومحبين وتابعين، كما ويجرّض عليه منافسيه وخصومه وحاسديه، وهو في الجملة يتوافق مع دلالة قوله «تعالى» عند وصف موسى الذي بلغ أشده واستوى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، كما ويبين كيف كان له (شيعة) و(أعداء) كما ذكر القرآن لكريم، على الرغم من أنه لم يبدأ دعوته ورسالته بعد.

ولربما نضيف إلى قائمة أعدائه، الكهنة الذين ما كان يعجبهم تمسّك موسى -المرشح للحكم- بالدين التوحيدي الخاص بقومه وآبائه الحقيقيين، ولربما حرضوا البعض ضده، فانضمّوا بذلك إلى قائمة أعدائه وخصومه السياسيين والمتآمرين عليه.

• تفاصيل الحادثة:

اتّحد القرآن الكريم والتوراة الحاضرة في الصورة العامة لتفاصيل هذه الحادثة التي

1. The Legends of the Jews by Louis Ginzberg [1909] 2:4

٢. القصص: ١٤.

غَيَّرَتْ مسار حياة موسى «عليه السلام» بشكل كبير جداً، وإلى الأبد، وكانت منعطفاً حاداً في باكورة شبابه، ولكنها عناية الله «سبحانه وتعالى» التي صنعت من الشر خيراً، بما يجعلها من مصاديق قوله «عز وجل»: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، وقوله «تعالى»: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢).

وما ذاك إلا لأن موسى «عليه السلام» كان من المحسنين: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، وقد وعد الله «تعالى» وهو الذي لا يخلف وعده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)، وهو القائل: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي﴾^(٥).

وموسى هو صنعة الله التي صنعها على عينه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي... وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٦)، فكيف يُضَيِّعُ صُنْعَهُ: ﴿صُنِعَ إِلَهِ الدِّينِ أَتَقْنَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٧)؟

ومع اتحاد الصورة العامة للقصة في المصدرين، إلا أن في البين بعض الفروقات التي سنشير إليها في الأثناء.

١. البقرة: ٢١٦.

٢. النساء: ١٩.

٣. القصص: ١٤.

٤. التوبة: ١٢٠.

٥. آل عمران: ١٩٥.

٦. طه: ٣٩-٤١.

٧. النمل: ٨٨.

• القصة في التوراة:

جاءت أحداث القصة مختصرة جداً في التوراة وبدأت بهذه الصورة: (وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَن لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاَصِمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمْفَتَكِرُّ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟». فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الْأَمْرُ». فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هَذَا الْأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ....^(١)).

وأما في القرآن الكريم فنجد الحادثة قد عُرِضَتْ كالتالي: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ١٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٧ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ١٨ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ١٩ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ٢٠ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢، ١١-١٥.

الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾.

والذي يلاحظ على النصين عند المقارنة:

١. تفاصيل القصة في القرآن أكثر من التفاصيل الواردة في التوراة، وهذه من الموارد النادرة في القصص التي اشترك في ذكرها الكتابان السماويان، ففي العادة تكون القصة التوراتية ذات تفاصيل أكثر، ولربما أسهبت التوراة في قصة لخصها القرآن في آية أو آيتين.

٢. القصتان بدأتا بذكر بلوغ موسى سنًا لم يعد فيها طفلاً، وإن اختلفتا في التعبير عن ذلك، ففي القرآن الكريم تم التعبير عن ذلك ببلوغ الأشد والاستواء، بينما عبرت التوراة عن ذلك بالكبر، ثم أردف القرآن ببيان ما أنعم الله «سبحانه» عليه مع بلوغه هذه السن، بينما لم تُشر التوراة الحاضرة إلى شيء من ذلك.

٣. التوراة لم تُشر إلى الظرف الزمني والمكاني الذي وقعت فيه الحادثة، بل ذكرت السبب الذي من أجله تواجد موسى في ذلك المكان: (خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيُنْظَرَ فِي أَثْقَالِهِمْ) وهذا ما أشرنا إليه من قبل من أنه كان يتفقد أوضاع بني إسرائيل الذين كانوا يعانون من تسخير فرعون لهم في تنفيذ الأعمال الشاقة، ويقدم لهم يد المساعدة، بينما تحدث القرآن عن الظرف الزمني للحادثة: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، ولعل في ذلك إشارة إلى نفس ما استهدفته التوراة بقولها: (خَرَجَ إِلَى

إِخْوَتِهِ لِيُنْظَرَ فِي أَثْقَالِهِمْ)... فالكلام هناك وإن كان عن دخول للمدينة، وهنا حديث عن خروج، ولكن المآل واحد، فقد خرج من حيث كان، ولربما القصر، ثم دخل المدينة التي كان يعمل فيها بنو إسرائيل، والسبب هو: (لِيُنْظَرَ فِي أَثْقَالِهِمْ)، ولذا كان دخوله ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ لأن الوضع حساس، وهناك من يتربص به، ضمن حالة الانقسام الحاصلة، ووجود مَنْ يَكُونُ له العداوة والبغضاء، وكان ملقَّب بني إسرائيل ملقاً حساساً، وقد يستفيد منه بعض الأعداء في تأليب فرعون على موسى، أو تأليب الكهنة أو غيرهم من الملأ والحاشية الحاقدة على موسى (الموحِّد لله)، والراغبة في التخلص منه بأية طريقة... ولذا فقد خرج موسى من حيث كان، ودخل المدينة ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ كي لا يُكْتَشَف أمره في مساعدته بني إسرائيل ومحاولته التخفيف عنهم.

٤. تم التعبير عن طرفي الصراع في القرآن الكريم بعنوان ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ دون الحديث عن الانتماء العرقي أو القومي أو غير ذلك، بل الحديث هنا عن الولاء والعداء، وعن انقسام بين الرجلين في الموقف العملي تجاه موسى، أو تجاه القضية التي تبناها موسى، بينما تحدثت التوراة عن الانقسام القائم على أساس الانتماء العرقي: (فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ)، فكأن انتصار موسى «عليه السلام» للرجل جاء بلحاظ كونه (عبرانياً) من بني إسرائيل فحسب، أو بهذا اللحاظ بالإضافة إلى لحاظ الاستضعاف، والمهم أنه لم يكن بلحاظ موقفه وولائه، ولا شك أن ما عرضه القرآن الكريم من مبرر للتدخل أرقى شأنًا من مجرد الانتماء العرقي، أو الانتماء العرقي بالإضافة إلى الاستضعاف.

٥. القرآن الكريم استعمل كلمة ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ وهي تدلّ على المفاعلة، كما قال

«تعالى»: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾^(١)، أي أن استعمال القوة لم يأت من أحد الطرفين كما ذكرت التوراة بقولها: (يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ)، بل كلاهما استعمل القوة، بغض النظر عن كان البادئ، ومن كان المبادر بالاعتداء. ولربما جاء هذا التعبير في التوراة الحاضرة بلحاظ الرغبة في التأكيد على الاستضعاف التام، وكأنَّ العبراني كان مستسلماً -بسبب استضعافه- لعدوان ذلك المصري، ولم يُبدِ أية مقاومة، وأتى لمن كان في مقام العبودية أن يردَّ الاعتداء عليه من قبل مالكه أو من عينه مالكه عليه.

٦. أشار القرآن إلى الاستغاثة الصادرة من الرجل الموالي لموسى «عليه السلام»: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ بما يدلّ على وجود استدعاء تمّ من قبله، وعلى إثر ذلك تدخل موسى، فهل كان سيمتنع عن التدخل لو لم تأت الاستغاثة؟ هذا ممكن، فلعل الطرف الموالي له لم يُرد لأحد أن يتدخل في الأمر، لأنه يريد حلّ الأمر بنفسه. ولا نجد في التوراة ما يشير إلى ذلك.

٧. تحدثت التوراة بصراحة عن تعمّد موسى لقتل الرجل: (فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنَّ لَيْسَ أَحَدًا) فالالتفات إلى الجهتين جاء للتأكد من خلوّ المكان من رقيب أو شاهد، ومن ثمّ جاء الإقدام على القتل: (فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ)، بما يدلّ على سبق الإصرار والاستهداف للقتل، والنية المسبقة للقيام بذلك، بينما ظاهر القصة القرآنية أن الأمر كان غير عمدي، وأنه من موارد (القتل الخطأ): ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ والوكز هو الضرب بجُمع الكف (اليد)، ومثل هذه الضربة لا تؤدّي عادةً إلى القتل، ولربما يساعد على تأكيد ذلك قوله «تعالى» بعد وصف كيفية وقوع الفعل: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ

عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٧٨﴾ فلو قلنا بأن هذا الكلام الصادر عن موسى «عليه السلام» بلحاظ القتل الخطأ، فسيؤيد ما ذكرناه، وأما إن قلنا بأنه أراد أن التقاتل الذي وقع بين الرجلين كان من عمل الشيطان، فلن يكون ذلك مؤيداً لفرض القتل الخطأ [انظر اللوحات برقم ٧٨-٨١].

٨. ذكر القرآن الكريم ردّة فعل موسى على تورّطه في قتل الرجل المُعادي والذي تلخّص في التخلّص إلى الله سبحانه، وطلب المغفرة، واستجابة ذلك من قبل الله تعالى، وإطلاقه الوعد لله بأن لا يكون نصيراً ومسانداً وظهيراً للمجرمين: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾، بينما تحدثت التوراة عن قيام موسى بإخفاء جثة الرجل المقتول: (وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ)، وهو ما سكّت عنه القرآن الكريم ولم يُشير إليه.

ومن الواضح مراعاة القصة القرآنية للبُعد الروحي في سرد تفاصيلها البسيطة والقليلة، وهو ما سيتكرر معنا لاحقاً ضمن عرض الأحداث بعد الهجرة إلى مدين، وهو ما نفتقده في القصة التوراتية بشكل عام، حيث التركيز هناك على الأمور كأحداث وتفاصيل تخص الحادثة والشهادة التاريخية، بينما يخرج القرآن عموماً عن هذا النمط من سرد القصص، ويتحدّث عن البُعد المعنوي فيها، فكأنّ القرآن يقدّم جسد القصة وروحها، بينما تكفي التوراة بالجسد فحسب.

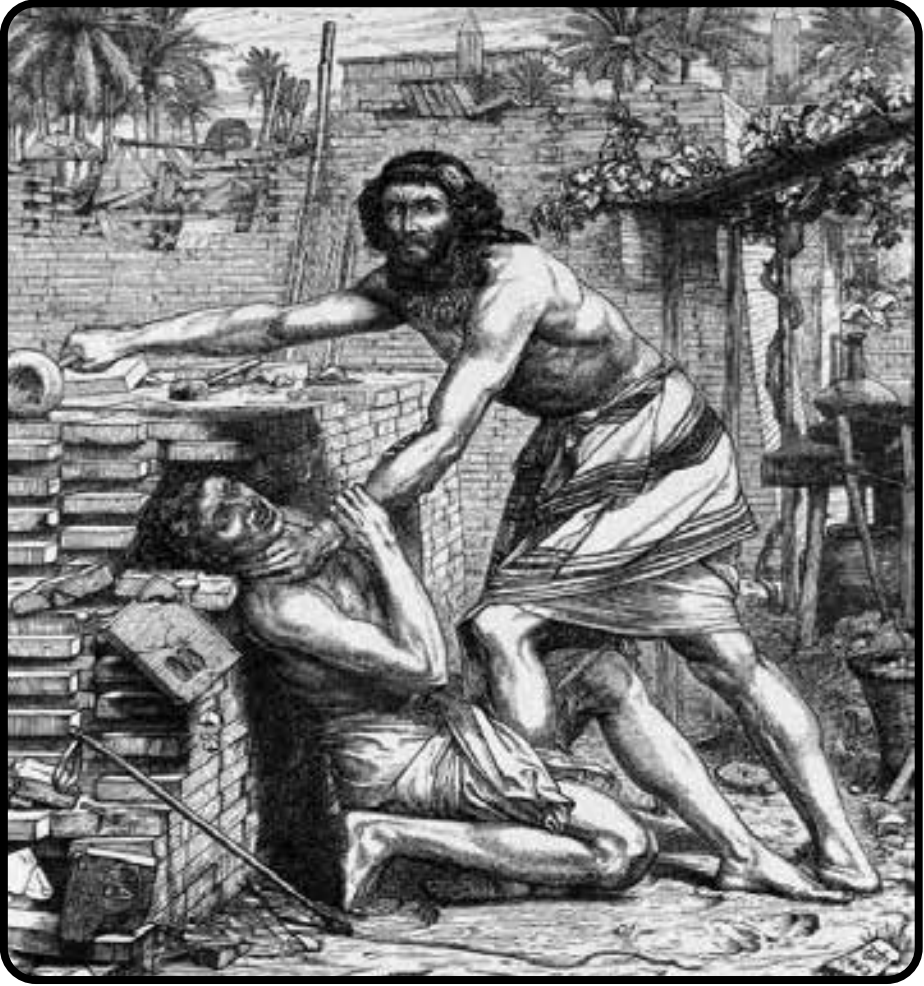
ويأتي الاستغفار هنا -وإن كان قتل خطأ- لما للنفس البشرية من قيمة عند الله «تعالى» بحيث أن خلاصها من الموت عمل عظيم بمثابة إنقاذ كل البشرية، وفي المقابل فإن إزهاق روح إنسان برئ لا يستحق القتل يمثل جريمة كبرى بحق الإنسان والإنسانية:



اللوحة رقم ٧٨ : صورة من الصفحة ٥٠ من (الكتاب المقدس وقصته ..)
والصادر في ١٩٠٨م، ويظهر موسى في اللوحة وهو يتلقت ممسكاً بسيفه ليقتل الرجل



اللوحة رقم ٧٩ : لوحة تمثل موسى وهو يقتل الرجل في غفلة من الناس



اللوحة رقم ٨٠ : لوحة فنية تمثل موسى وهو يتلفّت قاصداً قتل عدوّه



اللوحة رقم ٨١ : عمل فني على عمود ضمن بناء (دير فيزلاي) في شرق فرنسا
-من القرون الوسطى- ويمثل قتل المصري

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

٩. وصف القرآن الكريم الحالة المعنوية والنفسية لموسى «عليه السلام» بعد حادثة القتل الخطأ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ وهو ما يزيد من جمالية البيان الذي لربما يسعى لأن يعيش القارئ -أو المستمع إليها- التفاصيل وكأنه يعيش الحدث حياً، ولا نجد ذلك في القصة التوراتية. ومن الواضح أن تخوفه «عليه السلام» وترقبه ناجمان عن وجود من يتربص به، ويكنّ له العدا، إذ يمكن ادّعاء أن من المفترض أن قتل أحد الحراس أو الجلاوزة لا تترتب عليه تلك العاقبة السيئة بلحاظ ما لموسى من موقع متقدّم في البلاط، وهو الذي يُعتبر بمثابة الولد لفرعون، فلا بدّ إذاً من وجود سبب أقوى يستوجب مثل هذا الخوف والترقب، وهو ما أشرنا إليه من وجود جماعة معادية لموسى تتربص به الدوائر وتتحين الفرصة للقضاء عليه أو التخلص منه.

١٠. حدّد القرآن الكريم أنّ الحدث الثاني في تفاصيل القصة يتعلّق بمواجهة موسى لموقف مشابه لما جرى في اليوم السابق: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾، وأحد طرفي المشكلة هذه المرّة هو نفس الشخص الموصوف بأنه من شيعته... هذه الجزئية نجدها مذكورة في التوراة مع اختلاف بسيط وهو أن التوراة بيّنت أن طرفي التخاصم كانا عبرانيين وبعبارة أخرى من بني إسرائيل، وهذا على خلاف الصراع الذي وقع في اليوم السابق: (ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَانِ يَتَخَاَصِمَانِ) ولكنها في نفس الوقت لا تذكر أن أحدهما كان أحد طرفي الحادثة التي جرت في اليوم السابق وفق ما دلّت عليه القصة القرآنية.

١١. عبّر القرآن الكريم عن ردة فعل موسى في تلك اللحظة بالبيان التالي: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فالظروف الاستثنائية التي فرضها فرعون تستدعي تجنب إثارة المشكلات والابتعاد عن الاحتكاك مع الخصم القوي والعنيف والمتجبر، وهو شبيه بالوضع الذي كان يعيشه أحياناً المسلمون في مكة المكرمة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، وكأنّ سورة القصص بعد ذكر ما جرى لموسى «عليه السلام» وموقفه من التخاصم والافتتال مع العدو في تلك الظروف الصعبة واختلال موازين القوة، وتعدّد أموره وأوضاعه بسبب ذلك، دعت ضمناً للاعتبار بهذه القصة بحيث يتم تجنّب الدخول في صراعات مكشوفة مع الأعداء من قريش وطواغيتها مخافة تعقيد أوضاع المؤمنين، ودخولهم في متاهات يصعب الخروج منها، وتقديمهم المبررات للعدو للانقضاض عليهم بقوة، ولذا دعتهم السورة القرآنية للإعراض عن جهالات الجاهلين والتزام الحالة السلمية في ردود الفعل. ونجد مثل ذلك في قوله «تعالى»: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

وهذا مما يزيد من قيمة القصة القرآنية -عموماً- مقارنة بالقصة التوراتية، حيث تحضر العظة والعبرة في مفاصل القصة ومنحنياتهما ثم في ما يستتبعها من بيان ووصايا وتشريعات، بما ينسجم مع قوله «تعالى»: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، بينما اكتفت القصة التوراتية في وصف ردة الفعل بالتالي: (فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟») ومع ذلك، فإنّ هذه العبارة حملت مغزىً معنوياً

١. القصص: ٥٥.

٢. الجاثية: ١٤.

٣. يوسف: ١١١.

أيضاً ببيان أن اتحاد المتخاصمين في الانتماء لبني إسرائيل يستدعي منهما عدم اعتداء أحدهما على صاحبه.

١٢. انتقلت القصة القرآنية بعد ذلك لبيان القرار الذي اتخذته موسى في تلك اللحظة التي استُغيث بها، إذ صار بين خيارين، إغاثة الملهوف والانتصار للمظلوم من جهة، وبين تجاهل نداء الاستغاثة وعدم الاستجابة لدافع الشهامة والمروءة بلحاظ ما جرى بالأمس، ويبدو أن موسى «عليه السلام» في وسط الصراع القائم بينه وشيعته من جهة، وبين أعدائه من جهة أخرى اختار القرار الأول، وبادر للبش بالعدو: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهنا تصريح بأن الطرف الآخر كان عدواً لموسى وأيضاً لذلك الرجل الذي من شيعته، فهل كان من بني إسرائيل المعادين لموسى وحليفاً لأعدائه؟ وقد يكون جاسوساً لأعداء موسى، ولذا كان عدواً له.

هذا محتمل، كما ويُحتمل أنه لم يكن من بني إسرائيل، أما التوراة فتصرّح بأن الرجل الآخر كان عبرانياً: (ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاَصِمَانِ)، وأن تدخل موسى «عليه السلام» كان لصالح المعتدى عليه لا بلحاظ الموالاة والعداء له: (فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟»).

وعلى كل حال، فقد واجه موسى «عليه السلام» ما كان يخاف منه، إذ تمّ الإفصاح عن اتهامه بقتل العدو بالأمس: ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ وأضيفت إليها تهمة أخرى ترتبط بدوافع القتل: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ إنه يتهمه بأنّ ظاهر حركته الإصلاحية والإنسانية في مساعدة بني إسرائيل والمستضعفين هي في الواقع حركة مصلحية يريد من خلالها أن يُكوّن لنفسه شعبية جماهيرية ليصل من خلالها إلى

مبتغاه في الحكم بالقوة والبطش بمخالفيه، وبمجرد أن يُحقّق هدفه سيكشف عن وجهه الحقيقي، ويتحوّل إلى جبار في الأرض كسائر الجبابرة السابقين.

وليس من الواضح -من خلال الآية- من الذي أطلق هذا الاتهام... هل هو نفس الذي استصرخ موسى «عليه السلام» وطلب مساعدته، ولما وجده غاضباً بسبب تكرار الموقف كما وقال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، حينئذ تصوّر أنّ موسى سيبطش به كنوع من التأديب، لا أنه سيبطش بالعدو، ولذا قال: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟ فجاءت هذه المقولة منه بمثابة الإفصاح عن القاتل الذي لم يكن قد اكتُشف أمره بعد، فصار موسى بذلك مستهدفاً... أم أن القاتل هو الطرف الآخر من التخاصم، بما يعني أنّ الأمر لم يعد سرّاً محصوراً بين موسى «عليه السلام» وبين الذي كان من شيعته، ليتحوّل الوضع إلى تهديد فعلي ضده.

وفي المقابل، فإنّ القصة التوراتية تصرّح بأن القاتل هو الرجل الآخر: (فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمْفَتَكِرُّ أَنْتَ بِقِتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟»). أما كيف عرف بالأمر؟ يقول القُصص أنطونيوس فكري في شرح الآية: (غالباً، الرجل العبراني الذي أنصفه موسى بالأمس نشر الخبر وسط الشعب)^(١).

١٣. وتُكمل التوراة وصف الأحداث بعد ذلك: (فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الْأَمْرُ»). فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هَذَا الْأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ

1. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Taf-sir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Taf-seer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-02.html

وَسَكَنَ فِي أَرْضٍ مِثْيَانٍ....). ويمكن أن نفهم من هذا النص صدور أمر بالقبض على موسى «عليه السلام» ثم إعدامه، أو صدور الأمر بقتله، ولا بد أن في البين أحداً ما أبلغ موسى لاحقاً بصدور هذا الفرمان الفرعوني، فاتخذ «عليه السلام» قرار الهروب من مصر، وكانت (مديان/مدين) هي وجهته التي استقرّ فيها.

أما القرآن الكريم فقد تحدّث عن الاجتماع الذي عُقد في موقع بعيد عن ذاك الذي تواجد فيه موسى «عليه السلام»، وذلك بلحاظ كلمتي (أقصى.. يسعى): ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾، وقد مرّ معنا عند الحديث عن التحديد الجغرافي للأحداث أنها وقعت في مدينة (أواريس) وتوسعتها المتمثلة في (بر رعمسيس)، وأنها كانت في تلك الفترة من أكبر المدن في الأرض. كما ويُحتمل أنه «عليه السلام» ابتعد عن تلك المنطقة من المدينة بلحاظ الظروف التي يمرّ بها، خوفاً من قتله أو البطش به، أو اعتقاله... وفي هذا الاجتماع تشاور أعداؤه عموماً، أو أولياء المقتول، أو خصوص رجال السلطة، ولربما بحضور فرعون نفسه، وقرّروا قتل موسى.

وقد ذكر عدد من المفسرين أنّ هذا الاجتماع قد انعقد بحضور فرعون نفسه، وهو الذي أصدر الأمر بقتل موسى، والأمر بالنسبة لي غير واضح، فلا الآية صرّحت بذلك، ولا الظروف الموضوعية تؤيّد هذا التصوّر، فكل ما عبّرت عنه الآية هو التالي: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فمن هم الملائكة؟ كل الاحتمالات التي ذكرتها قبل قليل قائمة، بل لعلّ القول بأن فرعون كان أحد الحاضرين في ذلك الاجتماع يتعارض مع صدور الأمر بقتل موسى، فالمفروض إما أن يتدخّل فرعون في محاولة لاسترضاء أولياء المقتول والوصول إلى حلّ يحول دون قتل موسى قصاصاً أو أخذاً بالثأر، وإما أن يُصدّر أمراً باعتقاله وتقديمه إلى المحاكمة، خاصة وأن من المفترض أن فرعون كان

يحبّ موسى وقد اتّخذ بمثابة الولد، وقد أعطاه موقعاً متقدّماً في السلطة، ولم يدّعُه موسى -بعد- إلى توحيد الله «سبحانه».

ولذا فإنني أستقرب أن الاجتماع التأمري تمّ من قبل الجماعة المعادية لموسى، ولربما فيهم بعض رجالات البلاط والسلطة، وأنهم اتخذوا قراراً سرياً بقتله، وهي فرصتهم للتخلّص من منافس قوي لهم على السلطة، أو لاعتباره صاحب مشروع إصلاحى مخالف لمشروعهم الطاغوتي، ولذا فإن تدخل فرعون لن يجدي موسى نفعاً، ولن يعطيه حصانة من المؤامرة. ولعل التعبير بقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ للإشارة إلى ما سبق، بلحاظ أن موقع الاجتماع التأمري جاء في موقع بعيد عن مركز المدينة حيث يُفترض أن يكون فيه قصر فرعون، وذلك رغبة من المتأمرين في الحفاظ على سرية الاجتماع بعيداً عن أعين رجالات فرعون. فإن صحّ هذا الاحتمال، فسيكون ما جاء في القصة التوراتية وصف غير دقيق للحدث، إذ يصرّح النص بأن فرعون كان هو صاحب القرار المتخذ، وأن موسى هرب منه شخصياً.

١٤. ثم بيّن القرآن الكريم كيف عرف موسى نبياً التأمري عليه: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ بما يدلّ على حُب هذا الرجل لموسى «عليه السلام» وحرصه على حياته، ولعله الذي ذكره القرآن الكريم في مواطن أخرى ضمن مرحلة ما بعد النبوة وبصفة أنه ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(١)، أي أنه لم يكن من بني إسرائيل، وهذا الرجل: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فهو لم يكن مصدر الخبر فحسب، بل وكان مشيراً ناصحاً ومحباً، ولذا أشار عليه بأن الحل الوحيد هو الخروج من المدينة.. وهي كلمة أنسب بشأن

هذا النبي الكريم من كلمة (هروب) التي جاءت كترجمة عن النص الأصلي في التوراة، والتي -أيضاً- لم تذكر كيف علم موسى بالتأمر ضده.

١٥. مَرَجَ التعبير القرآني لهذا المَفْصَل من القصة عند بلوغها هذا المنعطف الخطير في الأحداث بين السرد البياني وبين الوصف النفسي والمعنوي لموسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾. ومن دقة التعبير القرآني أن مَيَّزَ في التعبير بين الخوف والترقب، فاستعمل اسماً يدلّ على الملازمة: ﴿خَائِفًا﴾، واستعمل فعلاً مضارعاً ﴿يَتَرَقَّبُ﴾، لأن من غير المعقول أن موسى «عليه السلام» كان يترقب ويتلقت طوال رحلته التي استمرت لأيام عديدة إلى أن وصل إلى مدين، فالخوف لازمه، وأما الترقب فكان يقع من حين إلى آخر.

واندفع موسى «عليه السلام» -انطلاقاً من إحساسه بالخوف والشعور الطبيعي بالضعف أمام الظروف المستجدة الخطيرة- بالدعاء واستمداد القوة والطمأنينة من الله «سبحانه»: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١٦ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ١٧﴾ كما ودعا الله «تعالى» الهداية إلى وسط الطريق الذي يوصله إلى مدين، كي لا ينحرف عنه بعيداً فيضل ويضيع، أو بأن يسلك طرقاً متعرجة أو صعبة فيتطلب منه المزيد من الوقت والجهد، وهو ما تختصره عبارة ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

والملاحظ أن هذا البعد المعنوي في القصة غائب عن الوصف التوراتي لأحداثها، وهو -كما ذكرت من قبل- من مميزات الأسلوب القرآني في عرض القصص بخلاف التوراة التي عادة ما تفتقد هذه الميزة المهمة في رواياتها لقصص الأنبياء والتواريخ.

١٦. الأمر الآخر الذي نتوقف عنده ضمن هذا المشهد من القصة هو مقولة موسى «عليه السلام» بعد قتل العدو: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾^(١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(١٦) ﴿﴾ فما هو هذا المتّصف بأنه من عمل الشيطان؟ ما أقدم عليه موسى؟ أم الخلاف والتقاتل الواقع بين الرجلين؟ أم غير ذلك؟

بالإضافة إلى البُعد التفسيري/التأويلي للآية، فإن هذه التساؤلات لها علاقة بمسألة عصمة الأنبياء، ولذا أثّرت من قبل علماء الكلام والمفسرين على حدّ سواء، بل ونجدها حاضرة في بعض ما روي عن أهل بيت النبوة وغيرهم ممّن سُئلوا أو أثاروا هذه المسألة كإشكالية في هذا الإطار. وتنوّعت الإجابات على هذه التساؤلات، وانعكست بالتالي على محاولة فهم الآية السابقة وآيات أخرى ذات علاقة بالحدث نفسه، وتأويلها بطريقة ترتفع معها إشكالية تنافي ذلك الفعل مع عصمة النبي موسى، ومن ثمّ الأنبياء عموماً. ويلاحظ على بعض الإجابات أنها قد تنجح في رفع الإشكالية من جهة ولكنها تبدو غير مقنعة في استكمال تأويل الآيات بصورة منطقية وفق تسلسل الأحداث والظروف المحيطة بها، ويشعر أحدها وهو يقرأها أنها تأويلات تُحمّل الآيات ما لا تُطيقه وما لا تتناسب معها من بيانٍ لردود الفعل على الموقف وتبعاته وآثاره. وفي ما يلي نماذج ممّا طُرح في التراث الإسلامي حول هذه المسألة:

(١) في عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للشيخ الصدوق: (سأل المأمون الرضا «عليه السلام» عن قول الله «عز وجل»: [فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان]؟ قال الرضا «عليه السلام»: إن موسى «عليه السلام» دخل مدينة من مدائن فرعون ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، وذلك بين المغرب والعشاء، ﴿فَوَجَدَ

فِيهَا رَجُلَيْنِ يَفْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴿فَقَضَىٰ مُوسَىٰ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عَلَى الْعَدُوِّ بِحُكْمِ اللَّهِ «تَعَالَى» ذِكْرَهُ، فَوَكَزَهُ فَمَاتَ، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، يَعْنِي الْاِقْتِتَالَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، لَا مَا فَعَلَهُ مُوسَى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» مِنْ قَتْلِهِ، ﴿إِنَّهُ﴾ يَعْنِي الشَّيْطَانَ ﴿عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾. قَالَ الْمَأْمُونُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنِّي وَضَعْتُ نَفْسِي غَيْرَ مَوْضِعِهَا بِدُخُولِي هَذِهِ الْمَدِينَةَ ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أَيَّ اسْتَرْنِي مِنْ أَعْدَائِكَ لِئَلَّا يَظْفَرُوا بِي فَيَقْتُلُونِي (بلحاظ أن كلمة [اغفر] مشتقة من [الغفر] أي التغطية والستر، لذا يقال [المِغْفَر] لغطاء الرأس المصنوع من شبك حديدي مرن ويلبسه الجندي تحت [القلنسوة] أي تحت الخوذة العسكرية) ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ مُوسَى «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ مِنْ الْقُوَّةِ حَتَّى قَتَلْتُ رَجُلًا بِوَكْزَةٍ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ بَلْ أَجَاهِدُ فِي سَبِيلِكَ بِهَذِهِ الْقُوَّةِ حَتَّى تَرْضَى ﴿فَأَصْبَحَ﴾ مُوسَى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» ﴿فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ عَلَى آخِرِ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ قَاتَلْتَ رَجُلًا بِالْأَمْسِ وَتَقَاتَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ لَا وَدَبَّتْكَ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ، ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ﴾. قَالَ الْمَأْمُونُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَبَا الْحَسَنِ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾^(١)؟ قَالَ الرِّضَا «عَلَيْهِ السَّلَامُ»: إِنْ فِرْعَوْنُ قَالَ لِمُوسَى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» لَمَّا أَتَاهُ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ

الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ بي، قال موسى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢) (٣).

(٢) طرح الفخر الرازي هذه الإشكالية بالصورة التالية: (احتج بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء بأن ذلك القبطي إما أن يقال إنه كان مستحق القتل أو لم يكن كذلك، فإن كان الأول) أي مستحقاً للقتل (فلم قال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾؟ ولم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾؟ ولم قال في سورة أخرى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾؟ وإن كان الثاني) أي غير مستحق للقتل (كان قتله معصية وذنباً).

وأجاب عنها بعدة إجابات وردود أعرضها بصورة نقاط:

أ- لم لا يجوز أن يقال إنه كان لكفره مباح الدم؟

ب- قوله: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أن الله «تعالى» وإن أباح قتل الكفار، إلا أنه كان الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر، فلما قُتل، فقد ترك ذلك المندوب، فهو قوله: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

وثانيها: أن قوله: ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، فقوله: ﴿

هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، والمراد منه بيان كونه مخالفاً لله تعالى، مستحقاً للقتل.

١. الشعراء: ١٩.

٢. الشعراء: ٢١.

٣. الصدوق: عيون أخبار الرضا، ص ١١٠.

وثالثها: أن يكون قوله: ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى المقتول، يعني أنه من جند الشيطان وحزبه، يقال: "فلان من عمل السلطان"، أي من أحزابه.

ج- قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ فعلى نهج قول آدم «عليه السلام»: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾^(١) والمراد:

- إما على سبيل الانقطاع إلى الله «تعالى» والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب قط.

- أو من حيث حَرَمَ نفسه الثواب بترك المندوب.

وأما قوله: ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ أي فاغفر لي ترك هذا المندوب.

- أن يكون المراد: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ حيث قتلت هذا الملعون، فإن فرعون لو عرف ذلك لقتلني به ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ فاستره عليّ ولا تُوصِلْ خبره إلى فرعون ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ أي ستره عن الوصول إلى فرعون، ويؤيده أنه قال عقيبه: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ولو كانت إعانة المؤمن ههنا سبباً للمعصية لما قال ذلك.

د- قوله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ فلم يقل: إني صرت بذلك ضالاً، ولكن فرعون لما ادّعى أنه كان كافراً في حال القتل، نفى عن نفسه كونه كافراً في ذلك الوقت، واعتترف بأنه كان ضالاً، أي متحيراً لا يدري ما يجب عليه أن يفعله، وما يدين به في ذلك^(٢).

١. الأعراف: ٢٣.

٢. الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٤٦٦-٤٦٧.

ولا يخفى وجود بعض الالتقاء في الإجابات التي عرضها الفخر الرازي مع بعض ما جاء في رواية الإمام الرضا «عليه السلام».

٣) من جانبه، قام السيد الشريف المرتضى برّد الإشكالات السابقة ضمن ردوده على الإشكالات الواردة على مسألة عصمة الأنبياء «عليه السلام» في كتابه (تنزيه الأنبياء)، وأعيد عرض ما قاله في صورة نقاط مع بعض التصرف طلباً للاختصار والتوضيح، مع إلغاء بعض النقاط التي ستكون تكراراً لما ذكره الفخر الرازي:

أ- موسى «عليه السلام» لم يتعمّد القتل ولا أراد ذلك، وإنما كان يجتاز الطريق فاستغاثه رجلٌ من شيعته على رجل من عدوه، وكان هذا العدو قد بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله. فأراد موسى أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدّى ذلك إلى القتل دون قصدٍ منه ولا تعمّد ولا إرادة. وكلُّ ألم يقع على سبيل دفع الظالم من غير أن يكون ذلك الألم مقصوداً، فسيكون فعلاً حسناً غير قبيح، ولا يستحق العوّض به، سواء أكان دفعاً للضرر الواقع على النفس أو على الغير.

ب) إن قيل: فما معنى قول فرعون لموسى «عليه السلام»: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾؟ وقوله «عليه السلام»: ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾؟ إذ كيف ينسب الضلال إلى نفسه، ومن المفترض أن لا يكون الأنبياء في أي وقت من الأوقات -حتى قبل النبوة- ضالّين؟ فإن الجواب سيكون كالتالي:

- ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ لنعمتي وحقّ تربيتي، فإنّ فرعون كان المريّ موسى إلى أن كبر وبلغ، ألا ترى إلى قوله «تعالى» حكاية عنه: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(١).

- ﴿فَعَلَتْهَا إِذَا وَآنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن أن الوكرة أو المدافعة ستفضي إلى القتل. فقد يُسَمَّى الذاهب عن الشئ أنه ضال عنه. ومن المحتمل أنه أراد بذلك أنني كنت من الضالين عن فعل المندوب المتمثل في الكف عن القتل في تلك الحال، ففاتني بذلك الثواب.

ج) فإن قيل: كيف يجوز لموسى «عليه السلام» أن يقول لرجل من شيعته يستصرخه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾؟ فإن الجواب كالتالي: إن قوم موسى كانوا غلاظاً جفاة، ألا ترى إلى قولهم بعد مشاهدة الآيات لما رأوا من يعبد الأصنام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(١). وإنما خرج موسى «عليه السلام» خائفاً على نفسه من قوم فرعون بسبب قتل القبطي، فرأى ذلك الرجل يخاصم رجلاً من أصحاب فرعون واستنصر موسى «عليه السلام»، فقال له عند ذلك: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي خائب في طلب ما لا تدركه، وتكلف ما لا تُطيقه، ثم قصد إلى نصرته كما نصره بالأمس على الآخر، فظن أنه يريد أن يبطش به، فقال له: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾، فعدل موسى عن قتل العدو، وصار ذلك سبباً لشياع خبر القبطي بالأمس^(٢).

٤) وفي تعليقه على كلام الشريف المرتضى، قال المجلسي في البحار: (ما ذكره رحمه الله أحد الوجهين في تفسير الآية، والوجه الآخر أن قوله: ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ كلام القبطي لا كلام الإسرائيلي كما مر في رواية علي بن إبراهيم) رواها بالسند عن الإمام الباقر، والعبارة كالتالي: [فلما كان من الغد جاء آخر فتشبت بذلك

١. الأعراف: ١٣٨.

٢. المرتضى: تنزيه الأنبياء، ص ٦٩-٧١.

الرجل الذي يقول بقول موسى، فاستغاث بموسى، فلما نظر صاحبه إلى موسى قال له: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ فخلى صاحبه وهرب^(١) (ولعل الأظهر في الخبر هو الأول، ويُحتمل الثاني أيضاً كما لا يخفى بعد التأمل)^(٢).

• موسى في مَدْيَن:

تُعَدّ مدين/مديان -حالياً- من المواقع الأثرية ضمن مدينة (البدع)، شمال المملكة العربية السعودية [انظر اللوحة رقم ٨٢]، وهي مدينة قديمة يعود تاريخ تأسيسها إلى ما قبل أربعة آلاف سنة تقريباً، وفيها بيوت ومعابد منحوتة في الصخور والجبال، وهي شبيهة بالآثار الموجودة في العُلا (الحجر) حيث ما يُعرف باسم مدائن صالح [انظر اللوحة رقم ٨٣].

ولمدين أسماء أخرى، منها: مدائن شعيب، ومغاير شعيب نسبة إلى النبي الكريم شعيب «عليه السلام» الذي ذُكر في القرآن الكريم، ونُسب إلى هذه المدينة وأهلها. وتذكر التوراة أن الاسم مدين/مديان نسبة إلى (مدين) الابن الرابع للنبي إبراهيم «عليه السلام»، ولكنه ليس من ذرية سارة ولا هاجر، بل من زوجته قطورة. وعلى هذا يعود تأسيس هذه المدينة نسبة إليه باعتبارها الموضع الذي اختاره للسكنى والاستقرار فيه مع إخوانه الخمسة وذلك بأمر النبي إبراهيم «عليه السلام»، وبمرور الزمان -إذ أنعم الله عليها- تحوّلت هذه المنطقة الصحراوية إلى مدينة عامرة ونقطة التقاء قوافل تجارية قادمة من نواحي متعددة، فغدت مركزاً تجارياً ومقصداً للناس، وهذا ما دفع أهلها إلى الطغيان شيئاً فشيئاً بلحاظ حاجة الوافدين عليها بغرض التجارة، ولجأ

١. القمي: تفسير القمي، ص ٤٨٥.

٢. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٣٦.



اللوحة رقم ٨٢ : خريطة تحدد موقع مدين بالنسبة إلى عدة مدن



اللوحة رقم ٨٣ : بعض آثار مدين

تجارها إلى الغش والتطفيف: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١)، واستكبروا وصاروا يحرّضون الناس على الشرك: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)، ولما أصرّوا وأقيمت عليهم الحُجج أنزل الله العذاب بهم: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾^(٣). ويبدو أن هذا الزلزال العظيم دمر المدينة ومقومات الحياة فيها لمدة من الزمن، وصار هناك مجتمع بشري بسيط من بعد ذلك كما نفهم من قصة النبي موسى، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً بشيء من التفصيل.

وَرَدَ ذكر الاسم (مدین) في القرآن الكريم تسع مرات في ثمانية سياقات، ارتبط ذكرها في ستة منها بالنبي شعيب «عليه السلام» ودعوته، وفي سياقين منها كان الارتباط بالنبي موسى «عليه السلام» وخروجه من مصر واختيارها لتكون ملجأ له، وهي كالتالي:

١. هود: ٨٥.

٢. هود: ٦٥.

٣. هود: ٩٠-٩٣.

١. ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

٢. ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

٣. ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (٣).

٤. ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (٤).

٥. ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٥).

١. الأعراف: ٨٥.

٢. التوبة: ٧٠.

٣. هود: ٨٤.

٤. طه: ٤٠.

٥. الحج: ٤٢-٤٤.

٦. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۖ﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿١﴾.

٧. ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٢﴾.

٨. ﴿وَالِىَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣﴾.

ولعل هذا هو السبب الذي دفع بكثير من قدماء المفسرين إلى القول بأن الرجل الذي استقر عنده النبي موسى «عليه السلام» وتزوج إحدى ابنتيه هو النبي شعيب «عليه السلام»، وبهذا المضمون رويت بعض الروايات التفسيرية والتاريخية. وهذا في حد ذاته ممكن، لاسيما بلحاظ أن عصر النبي شعيب «عليه السلام» أعقب عصر النبيين إبراهيم ولوط «عليه السلام» المتعاصرين معاً، ولم يفصله عنهم زمن طويل، وقد قال شعيب لقومه كما حكى ذلك القرآن الكريم: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ﴿٤﴾، وهو ما يتوافق مع عصر النبي موسى «عليه السلام» الذي أعقب عصر النبيين إبراهيم ولوط بثلاثة قرون أو أربعة، هذا علاوة على تفاصيل قصة موسى ووالد زوجته - كما سيأتي معنا- تؤكد على إيمان الرجل بالله «سبحانه» وصلاحه: ﴿....

١. القصص: ٢٢-٢٣.

٢. القصص: ٤٥.

٣. العنكبوت: ٣٦.

٤. هود: ٨٩.

فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾... قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾ (١).

ولكن هذه الاستنتاجات في حد ذاتها لا تكفي للقطع بأن هذه الشخصية هي ذاتها النبي شعيب «عليه السلام»، فلعله رجل مؤمن صالح من ذرية شعيب «عليه السلام» أو من غيره ممن عاشوا في تلك الديار وحافظوا على ملة إبراهيم «عليه السلام» من بعده، خاصة إذا صححنا أن مدين هو أحد أبناء النبي إبراهيم الذي نُسبت إليه المدينة، أو بقاياها بعد ما أصابها من غضب الله، إلا أن نقول بصحة ما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أو بعض الأئمة «عليه السلام» فنكون حينذاك ملزمين بالقول بأنه كان شعيب ذاته.

والذي يُضعف احتمالية كونه شعيباً، أنه على الرغم من ذكر القرآن له بالاسم عدة مرات وذكر ارتباطه بمدين، إلا أنه عندما جاء على ذكر قصة موسى ولجؤه إلى مدين لم يذكر اسمه مطلقاً، ولم يُشير بأية إشارة إلى أنه نفس النبي شعيب، بما يُضعف -برأيي- احتمالية كونه شعيباً «عليه السلام» بالفعل.

كما أن التوراة قد ذكرت الرجل بلقب (يثرון) أي (فضل) بلغة أهل مدين، على ما قيل، وفي المصادر الكتابية أن اسمه (رعوثيل) أي (خليل الله)، وجاء إن اسمه (حوباب) أي محبوب، وذلك بحسب النسخة العبرانية الماسوريكية/الماسورية للتنخ، والماسورا كلمة مشتقة من الجذر (م س ر) وتعني (نقل) (أوصل)، وتعني اصطلاحاً التقليد، وهم الكتبة الذين أخذوا على عاتقهم فيما بين القرن السابع إلى العاشر الميلادي

تحديد نسخة موحدة للعهد القديم (التنخ) وتشكيلها، وذلك بهدف حسم الخلافات القائمة في قراءة نصوص التنخ، ويعترف اليهود بأنه بعد كتابة النص الماسوراتي قاموا بالتخلص من كل المخطوطات القديمة^(١)... بينما في النسخ الأخرى أن (حوباب) ابن يثرون (رعوثيل) وليس هو نفسه. وسنتحدث عن اسمه في النصوص الإسلامية وذلك عند دراسة القصة بالتفصيل، وليس في البين عموماً ما يشير إلى الاسم (شعيب).

وعلى كل حال، فقد انطلق النبي موسى «عليه السلام» من مصر باتجاه مدين، ويبدو أنه كان قد خطط مسبقاً لهذه الرحلة، ولم يكن بلوغها عشوائياً، والذي يرشد إلى ذلك قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ...﴾^(٢)، فهو قاصد لهذه المدينة وسأل الله «تعالى» أن يهديه سواء السبيل والطريق المباشرة التي توصله إلى حيث أراد: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

ولا يذكر السرد القرآني ولا التوراتي أي شيء عن الصعوبات التي انطوت عليها هذه الرحلة، لاسيما بلحاظ سلسلة من الحصون والحاميات ونقاط المراقبة الحدودية الواقعة على الحدود الشرقية لمصر حيث توجد قناة السويس الآن تقريباً، وكانت تمثل تحدياً خطيراً لشخص هارب ومستهدف، وهذا يعني اضطراره لسلوك الطريق غير المعهود وغير الرسمي لبلوغ مقصده.

فقد كان خلال عهد الأسرتين ١٨ و ١٩ طريق يمتد من السويس إلى مدينة رفح على حدود غزة، هذا الطريق كان يُعرف بعنوان (طريق حورس)، وكان الهدف من تأسيسه ربط مصر بآسيا بعد أن توسعت مصر فأصبحت في ذلك العهد امبراطورية.

١. وهو ما يذكرنا بالخطوة التي تمت على عهد الخليفة عثمان ضمن مشروع توحيد المصاحف.

٢. القصص: ٢٤.

هذا الطريق كان محمياً بأحد عشر حصناً خدمت -في آن واحد- للدفاع عنها، وكمراكز حراسة على الحدود الشرقية للبلاد. كانت هذه الحصون مدعومة بنظام خاص من مخازن الحبوب والآبار، وكانت تقع على بعد مسافة يوم واحد من بعضها البعض بحسب وسائل النقل آنذاك، مما كان يسمح للجيش -أو التجار والأفراد- بعبور شبه جزيرة سيناء بأمان. وقد اعتُبرت هذه الحصون من الأهمية بمكان بحيث تم تمثيلها والكتابة عنها في معبد (سيقي الأول) في الكرنك، وهذا التمثيل والتدوين هو الذي أرشد الآثاريين والمؤرخين إلى وجود هذا الطريق وهذه الحصون، ومن خلال البعثات الاستكشافية تم العثور لاحقاً وبالتدريج على أربعة حصون منها إلى حدّ الآن، بالإضافة إلى بعض آبار المياه والفخاريات وأشياء أخرى. ومن المنطقي أن موسى تجنّب هذه الطريق وسلك طريقاً صحراوياً غير رسمي يقوده إلى مقصده.

وهكذا تكون طبيعة الطريق الصحراوية بمخاطرها المتعددة، لاسيما بالنسبة إلى شخص وحيد بلا سند، علاوة على صعوبة الحصول على الطعام والماء، تحديات كبيرة بالنسبة إلى موسى في تجربة لم يمرّ بها من قبل، وتجعله على شفا هلكة، ولكنها عين الله «سبحانه» التي حرصت موسى «عليه السلام»، إلى أن بلغ أرض مدين.

أما عن سبب اختياره هذه المدينة على وجه التحديد، فلا نملك دليلاً أكيداً على ذلك، فالقصة القرآنية لم تتطرق إلى هذه المسألة، وتبقى سائر النصوص والاستنتاجات العقلية ظنيّة تحتمل الصحة والخطأ، ومن ذلك:

١. كان لشعب مدين قرابة مع بني إسرائيل، بلحاظ التقائهم بالجد إبراهيم «عليه السلام»، وهو ما قد يفسر سبب هروب موسى المولود لأبوين عبرانيين من الأراضى الزراعية في دلتا النيل إلى الأراضى المنخفضة الساحلية شبه القاحلة في مدين. ومن

المعلوم أن مسألة القرابة والدخول في جِمي الأقرباء والعشيرة من الأمور ذات القيمة عند القبائل والأسباط (ما يقابل القبائل في عُرف بني إسرائيل)، وهذا الاحتمال منطقي جداً، لاسيما مع معرفة موسى «عليه السلام» سلفاً بهذا الأمر نتيجة وجوده ضمن بلاط فرعون، أو بلحاظ ما كان يتداوله بنو إسرائيل بهذا الخصوص^(١).

ولربما يؤيد ذلك قول الرجل بعد أن قصّ عليه موسى ما جرى له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وكأنه يقول له: لا تخف بعد اليوم، فحيث أنك وفدت علينا ولجأت إلينا فأنت إذاً في جِمانا، واعتبر نفسك قد نجوت من القوم الظالمين فلن يصلوا إليك ما دمت معنا.

٢. معرفة موسى «عليه السلام» المسبقة بالرجل المؤمن الذي سيغدو والد زوجته، والذي تُطلق عليه التوراة وبحسب هذا الاحتمال المستفاد من التلمود البابلي، فقد كان هذا الرجل - في الأصل - أحد المستشارين المقربين لفرعون، ولكنه اضطرّ لمغادرة بلاط فرعون بسبب تعاطفه مع بني إسرائيل، واختيار مدين موضعاً للسكنى. وعندما حلّ هناك، أصبح الكاهن الأكبر فيها. وبحسب الترجمة العربية المطبوعة من قبل (ساره هُدجسون) Sarah Hodgson لسنة ١٨١١ تحت عنوان (الكتب المقدسة - وهي كتب العهد العتيق والعهد الجديد)، فقد ورد اسم هذا الرجل هكذا (يثرؤ)، وعُرف على أنه كان إمام مدين: (وكان موسى يرعى غنم يثرؤ حميه إمام مدين)^(٣) (وكان

1. <https://www.thebiblejourney.org/biblejourney2/25-the-israelites-journey-from-egypt-to-mt-sinai/prince-moses-escapes-to-midian/>

٢. القصص: ٢٥.

٣. هُدجسون: الكتب المقدسة، سفر الخروج، الإصحاح ٣: ١.

لإمام مدين سبع بنات^(١). وورد اسمه بإضافة ألف بعد الواو (يثرؤا) في النسخة السامرية من ترجمة التوراة إلى العربية على يد الكاهن السامري (أبوالحسن إسحاق الصوري)، وعُرِف أيضاً على أنه كان إمام مدين: (وموسى كان راعي غنم يثرؤا حميه إمام مدين)^(٢)، (ولإمام مدين سبع بنات)^(٣).

وبحسب التلمود البابلي، فإن هذا الكاهن/الإمام سرعان ما أدرك سخافة عبادة الأوثان، فترك الشرك، وآمن بالتوحيد، وتخلّى عن كهنوته، وهو ما قلب أهل مدين عليه وصار مضطهداً ومستضعفاً عندهم، واضطهدت معه ابنتاه/بناته، ولذا كُنَّ لا يسقين حتى ينتهي سائر رعاة الأغنام من السقيا^(٤).

ولا بأس بهذا الاحتمال أيضاً في حدّ ذاته، ولكنه يحتاج إلى دليل يدعمه، ووروده في التلمود يجعله مورد شك، خاصة عند عرضه على القرآن الكريم الذي يبيّن أن موسى «عليه السلام» لم يسأل عن الرجل ولم يذهب إليه عند بلوغه مدين، ولكنه قصد الماء وجلس لاحقاً في الظل، كشخص لا يعرف أحداً من أهل المنطقة، وهو ما سنوضحه لاحقاً ضمن عرض القصة.

وعند بلوغ موسى «عليه السلام» مدين، كان من المنطقي أن يقصد الماء للشرب والغسل والتنظف، ولأنه الموضع المناسب للتعرف على مَنْ يمكن أن يضيّفه، إذ يكون الماء -عادةً- موضع اجتماع الناس، ومن عادة القبليّين استضافة الغرباء.

١. هـدجسون: الكتب المقدسة، سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١٦.

٢. التوراة السامرية، سفر الخروج، الإصحاح ٣: ١.

٣. التوراة السامرية، سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١٦.

4. https://www.chabad.org/holidays/passover/pesach_cdo/aid/1647/jewish/Moses-in-Midian.htm

واجه موسى «عليه السلام» موقفاً استدعى منه التدخّل، والحادثة برواية التوراة كانت كالآتي: (فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبَيْتِ. وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلَأْنَ الْأَجْرَانَ لِيَسْقَيْنَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. فَأَتَى الرَّعَاءُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَهَضَّ مُوسَى وَأَنْجَذَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بِالْكُنَّ أَسْرَعَتْنِ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمَ؟» فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرَّعَاءِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ اذْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتِهِ. فَوَلَدَتْ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ «جَرَشُومَ»، لِأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ»^(١)).

وأما النص القرآني فيعرض الحادثة في قالب لا يختلف كثيراً في صورته العامة عن هذا القالب التوراتي، قال «تعالى»: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة كبيرة ﴿مِّنَ النَّاسِ يَسْأَلُونَ﴾ حُذِفَ المفعول، ومن المعتاد في مثل هذه المجتمعات أن يكون السقي للناس وللأنعام، وتم الحذف للاختصار أو لانعدام الغرض بمعرفة المسقي ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ في مكان غير المكان الذي حول الماء، أي في جانب مباعد للأمة من الناس ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تطردان الأنعام عن الماء ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ الخطب هو الشأن والحدث المهم ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ فقد كرهتا أن تسقيا في حين اكتظاظ المكان بالرِّعاء، فإذا انصرفوا ورجعوا مع أنعامهم عن الماء، أقدمتا على ذلك، وفي مثل هذا الوضع، عادةً ما تتلوّث المياه فتكون على أسوأ حال، كما أن الانتظار ومنع الأنعام من الورود على الماء يتطلب جهداً كبيراً ويشكّل ضغطاً نفسياً.

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٢: ١٥-٢٢.

وكون هذا التأخر والانتظار والذود عادتتهما - كما يفهم من العبارة - دليل على حسن تربيتهما وعفتتهما، وإلا كان بإمكانهما مزاحمة الرجال والصراخ ولربما حتى اللجوء إلى السب والتعير وما إلى ذلك مما قد نشهده من الإنسان عندما يشعر بالاستضعاف أو الظلم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(١٣) بيان لعذر وجودهما في موضع مكتظ بالرجال، وهذا دليل آخر على أنهما عقيقتان، فلولا الحاجة والضرورة لما تواجدن في مثل هذا الظرف، ولو كان أبوهما يقوى على ذلك لقام بالأمر بنفسه، ولكنه شيخ كبير ضعيف البدن لا يقوى على ذلك ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي سقى ما جاءتا ليسقينه من الأنعام ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ تولى أي رجع إلى حيث كان، أي أنه كان جالساً في الظل، فرجع إليه بعد الانتهاء من سقي الأنعام ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(١٤) متذكراً بهذه النعمة التي حصلت للتونعماً سابقة أسداها الله إليه، كنجاته من القتل وليداً، وإيتائه الحكم والعلم، وتخليصه من تبعة قتل عدوه وسلامة الوصول إلى مدين. وفقير يعني محتاج، يريد بذلك أنه محتاج الآن لأمثال ذلك الخير الذي أنزله الله من قبل، فهو بحاجة الآن إلى الأمن والمأوى والطعام ولربما عوامل الاستقرار من قبيل زوجة صالحة يسكن إليها وما إلى ذلك، فاستجاب الله لدعائه ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ وجود الفاء دليل على أن هذا وقع بعد فترة زمنية وجيزة، ولك يُكْتَفَ بكلمة [جاءت] مع كفايتها للدلالة على ما جرى، بل أضيفت إليها كلمة [تمشي] وذلك ليُبنى عليه قوله [على استحياء] إرشاداً مرة أخرى على حسن تربيتهما على خلاف من يمتهن عادة المهن الخشنة الخاصة بالرجال، ومنها رعي الأنعام، حيث يتم التطبع بأطباع أصحاب تلك المهن بما يتطلب مستوى من الخشونة ولربما الفظاظة، كما أن وجود كلمة [على] قبل [استحياء] للدلالة على تمكن تلك الصفة منها والمبالغة

في الحياء ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ ليكافئك على حُسن عملك، ووجود إن التوكيدية للدلالة على صحة الكلام وأن مصدر الدعوة هو الأب لا المتحدث بما يؤكد عفافها ﴿أَجَرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ تقديم جملة [ليجزيك] التي تدل على الإكرام على كلمة [أجر] مؤشر على أن موسى لم يُقدِّم على المساعدة لقاء شيء مادي، بل إن هذا التعويض الذي سيقدمه الأب جاء بإرادة شخصية منه لا كتعويض عقد الإجارة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ فمن المعتاد أن يُسأل الضيف عن حاله ومقدمه، فلذا أخبره موسى بقصصه، وقد يكون ذلك بمبادرة منه نتيجة ارتياحه نفسياً للرجل فأراد أن يبين له حقيقة وضعه وأنه مطلوب وقد يكون لذلك نتائج سلبية على هذه الأسرة المضيفة ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴿ليكفيهما مزاحمة الرعاء ويسد مسدَّ أبيهما كرجل في ما تتطلبه الحياة في تلك البيئة﴾ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿تعليل لما أشارت به من استئجار موسى على وجه التحديد﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ ﴿إضافة [هاتين] قد تكون للإشارة إلى وجود بنات أخريات كما بينت التوراة أنهم كن سبعة، فقال [هاتين] كي لا يختار من بين سائر بناته﴾ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَاجٍ ﴿جمع حَجَّة أي سنة، وهذا هو مهرها، إذ لم يكن لموسى الهارب من مصر أي مال، كما أن حاجة هذه الأسرة فعلياً تمثلت في وجود رجل يقوم بهذا الدور﴾ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴿فالأمر إليك يا موسى أن تتفضل وتبقى مدة أطول لأداء تلك المهام المطلوبة منك﴾ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴿أي ما أريد أن أشرط عليك ما فيه مشقتك وتعبك﴾ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿بِحُسن معاملتك ولين جانبي﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴿هذا

قبول من موسى للعرض بحيث يتم به التعاقد على النكاح والإجارة ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ وعلى الوفاء بما اتفقنا عليه ﴿وَكَيْلٌ﴾ وشاهد، فإذا أخل أحدهما بالاتفاق كان الله هو المؤاخذ ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ...﴾ (٢٩) (١).

وبالمقارنة يمكن أن نستخرج الاختلافات التالية بين النصين:

١. عدد بنات الرجل سبعة بحسب التوراة، ولم يذكر القرآن سوى ابنتين، وإن احتملنا أنهن كن أكثر من ذلك، دون تحديد لعدد.

٢. كان تدخل موسى (ع) لصالحهن بعد أن استقين الماء وملأن الأجران لسقي الأغنام، ثم تعرّضن للطرد والأذى من قبل الرعاء... هنا تدخل موسى بحسب التوراة- وعاونهن في سقي الأغنام. أما القصة القرآنية فتصرّح بأن المرأتين لم تكونا قد سقيتا بعد، ولم تكونا حول الماء، بل في موضع دونه، أي في جانب مباعد للجماعة الكبيرة من الناس ولا حديث في البين عن ملء الأجران أو ما شابه ذلك، وكل ذلك يعني أنهما لم تردا الماء بعد على خلاف ما جاء في التوراة.

٣. وتصرّح التوراة أن البنات أردن سقي ما معهن من أغنام، بينما لم يأت القرآن الكريم على ذكر نوع الأنعام التي كانت بمعيتهما، ولذا احتمل العلامة ابن عاشور أنها كانت من الإبل لا الأغنام، قال: (والمعنى في الآية: تمنعان إبلاً عن الماء) (٢) حيث يسمى القطيع من الإبل [الدّود]، وكما جاء في بعض مرويات المسلمين، ثم استدرك بالإشارة إلى ما جاء في التوراة، وجعل ذلك احتمالاً آخر لمراد الآية الشريفة.

١. القصص: ٢٣-٢٩.

٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٩٩.

وقد يقال أن الله «تعالى» سأل موسى لاحقاً: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (٨) ﴿^(١)﴾ بما يعني أن أسرة زوجة موسى كانوا يرعون الغنم لا الإبل، وعن طريقهم صار موسى راعياً لها، إلا أن يقال أن علاقة بين هذا وذاك، وأن موسى اختار لاحقاً أن يرعى غنماً بدلاً عن الإبل، وهذا ممكن، ولكن لعل الاحتمال الأول أقرب للصحة، وسيتوافق مع ما جاء في التوراة وبعض المرويات في التراث الإسلامي.

٤. لم تذكر التوراة شيئاً من مشاعر موسى (ع) وكلماته بعد تدخله لصالح الفتيات، وتكتفي بقول: (فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ)، لينتهي المشهد عند الماء إلى هذا الحد، بينما قدّمت القصة القرآنية إضافة معنوية أخرى للقصة، بالإضافة إلى دلالتها على شهامة موسى ومروءته وإحسانه، حيث قال «تعالى»: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهو نوع من التعبير عن الامتنان والشكر لله ونسبة عمل الخير والتوفيق له إليه سبحانه، ودليل على تواضع موسى وإيمانه الرفيع، كما يدل على الحرّ وقوة أشعة الشمس بما دفعه للعودة للجلوس تحت الظل، ليستريح أيضاً من مشقة مَنَحِ الماء والسقي لماشية المراتين، والافتحام بها في عدد الرعاء العديد.

٥. الاختلاف الخامس بين النصين أن التوراة ذكرت الحوار الذي دار بين الفتيات وبين أبيهن الذي صرّح أيضاً باسمه هنا: (فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بِالْكُنَّ أَسْرَعُنَّ فِي الْمَجِيءِ الْيَوْمِ؟» فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ») ولا بد أن ثيابه ومظهره الخارجي وكلامه هو ما أرشدهم إلى كونه قادمًا من مصر (وإنَّه اسْتَقَى لَنَا

أَيْضًا وَسَقَى الْغَنَمَ». فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ الرَّجُلَ؟ ادْعُوهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». إلى هنا انتهى النص التوراتي في عرض الحوار الذي دار، لينتقل بعد ذلك لعرض الحوار الذي دار بين واحدة من الفتيات وبين موسى «عليه السلام».

أما القرآن الكريم فقد اختصر هذا المشهد ضمن عرض الحوار الذي دار بين إحدى المرأتين وموسى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ وهذا مورد آخر من موارد عناية القرآن الكريم ببيان الأبعاد المعنوية في القصة، بل وفي استعمال كلمة (على) الدالة على الاستعلاء وكلمة (الاستحياء) الدالة على المبالغة في الحياء إرشاد إلى أن الاستحياء كان متمكناً منها، فلم تكن تمشي متبخرة ولا متثنية ولا مُظهرة زينة، على خلاف تصرف بعض الفتيات عند مشاهدة شخصية مشهورة أو شاب قوي أو شهم، حيث يتصرفن بطريقة تدل على محاولتهن جذب الأنظار إليهن.

والأمر الآخر الذي يستوقفنا هنا أن القصة التوراتية تذكر أن يثرون دعا موسى لتناول الطعام عنده، بينما قالت ابنته لموسى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، ومن الممكن فعلاً أن يكون هذا الجزاء وجبة طعام لذيدة بعد عناء السفر والحرمان من وجبة طعام من هذا النوع.

٦. مجدداً تختصر القصة التوراتية الأحداث، ولا تذكر شيئاً عما دار بين موسى ويثرون عند إجابته دعوته ووفوده عليه في بيته، وتنتقل مباشرة لتقول: (فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتِهِ. فَوَلَدَتْ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ «جَرْشُومَ»، لِأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلاً فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ»). وهكذا نتعرف على اسم الفتاة التي اختارها موسى، وهي صفورة، أي عصفورة بحسب سُراح التوراة، كما ونعرف أن لموسى «عليه السلام» ولداً واسمه جرشوم، وهذه الكلمة عبرية مكوّنة من مقطعين:

(جُر) أي الغريب، و (شِم) وتعني الاسم أو هناك، فيكون المعنى الأقرب لاسمه: (الغريب هناك) كما ذكر النص نفسه: (لَأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ»).

أما القرآن الكريم، فنقل بعضاً من الحوار الذي دار بين الطرفين، وطبيعة الاتفاقية التي تمت بينهما وأدت إلى زواجه من إحدى ابنتيه، وذلك بعد أن بادر موسى وأخبره بعدد من الأحداث التي مرّت عليه في حياته حين كان بمصر، وكيف اضطر للخروج منها واللجوء إلى مدين، أو أن الرجل سأله أولاً عن خبره، ثم أخبره موسى بتلك القصص: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهذا يدلّ على أن مدين كانت خارج سلطة فرعون وحدود دولته، وإلا لكان مصدر الخوف من القتل أو الاعتقال قائماً من خلال ممثلي السلطة المركزية المصرية المتواجدين في مدين. كما يدلّ أيضاً على أنه صار في جَمِي هذا الرجل وعشيرته.

ومن جديد، فإن الفاء في مسار الأحداث تدل على الاستجابة السريعة للدعوة، وهذا تصرّف طبيعي بالنسبة لمن كان في مثل حال موسى «عليه السلام».

على إثر ما جرى عند ماء مَدَيْن، واستحسان شهامة موسى ومروءته، وما جاء على لسانه من وصفٍ لمسار حياته، بادرت إحدى المرأتين -إعجاباً بموسى- لتقديم اقتراح يتضمن طلب بقاءه عندهم ليساعدهم في شئونهم: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ وقد بيّنا عند الحديث عن صفاته «عليه السلام» كيف استدلت على هاتين الصفتين عنده، فلا نعيد [انظر اللوحة رقم ٨٤].

استحسن الأب الفكرة، ولا بد أنه شعر بإعجاب ابنته بموسى -وهو الرجل الغريب الذي سيساكنهم نفس المنزل- لذا فمن الأفضل أن يُقدّم له اقتراحاً آخر يزيد من



اللوحة رقم ٨٤ : لوحة فنية في المتحف اليهودي لموسى في ضيافة يثرون

حُسن العرض، ويزيد من الخير، ولا يعطي مجالاً لأحد كي يتعرّض لأسرته بكلمة سوء بسبب وجود رجل غريب فيما بينهم، كما ويحفظ عفة موسى وابنتيه: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ سنوات وظاهر الآية أن الإجارة المذكورة جعلت مهراً للبت، وفي الفقه الإسلامي أن المنفعة يمكن أن تُجعل مهراً للنكاح ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ليس هذا من تزكية النفس المنهي عنه، لأن المنهي عنه ما قُصد به الفخر والترفع على الآخرين، فأما ما كان لغرض ممدوح فلا مانع منه، قال يوسف «عليه السلام»: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(١)،

وقد أراد الرجل بذكر هذه الصفة التأكيد على أنه لئن الجانب سهل المعاملة صادق الوعد حسن التعامل مع تأكيده على أنه لا يريد أن يشق عليه، لأن الاستئجار لهذه المدة قد يبدو أمراً شاقاً ومهراً مغالياً فيه، ولكن الأمر لم يكن من هذا الباب، بل هي المصلحة المتبادلة بين الطرفين، بتأمين المأوى والأمن والزوجة والمأكل والمشرب لموسى، في مقابل استمرار وجوده معهم طوال هذه المدة ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وهكذا وافق موسى «عليه السلام» على هذا العرض، وجعل الله «سبحانه» وكيلاً على هذه الاتفاقية، مع إعطاء نفسه شيئاً من المرونة في التنفيذ، بين ثمان وعشر سنوات، وهذا ما تحقق بالفعل، ولا نعلم هل أكمل السنوات العشر أم لا، ولكنه أنهى الاتفاق الدائر بينهما، ثم غادر قافلاً إلى مصر من جديد. ولربما يمكننا القول أنه في البداية كان يميل إلى عدم البقاء عشر سنوات، ولذا لم يحسم بقاءه إلى تلك المدة، لاسيما وأنه سيشتاق إلى مسقط رأسه وأهله وأصدقائه، وهناك فارق كبير بين الحياة في مدين مقارنة بما كانت عليه الأوضاع في مصر، ولربما تتبدل الأوضاع، وقد يبلغه صدور عفو عنه مثلاً، وغير ذلك مما يشجعه على العودة في أقرب فرصة، ولذا فإن السنوات الثمان أنسب بالنسبة إليه، ولكن بمرور الوقت واعتياده على النمط الجديد للحياة، والعلاقة التي انبنت بينه وبين أهل زوجته ومدين، بالإضافة إلى مروءته وكرمه، وسعيه لإرضاء والد زوجته الذي أكرمه، كل هذا لربما دفعه لإكمال عشر سنوات ثم اتخاذ قرار المغادرة.

والتعبير بقضاء الأجل يُرشد أيضاً إلى أنه لم يُمضِ أكثر من عشر سنوات، ولربما ثمان فحسب، ثم غادر، بينما تدل بعض النصوص الكتابية على أنه بقي في مدين

أربعين سنة، فقد جاء في الموسوعة اليهودية: (لذلك قام بالفرار إلى شبه جزيرة سيناء واستقر مع حوالب، أو يثرو، كاهن مدين، الذي تزوج ابنته صفورة في الوقت المناسب. هناك أقام أربعين سنة، عمل فيها راعياً، وخلال تلك الفترة وُلد ابنه جرشوم)^(١).

كما ونجد في سفر أعمال الرسل، من العهد الجديد عند المسيحيين: (فَهَرَبَ مُوسَى بِسَبَبِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَصَارَ غَرِيبًا فِي أَرْضِ مَدْيَانَ، حَيْثُ وَلَدَ ابْنَيْنِ. وَلَمَّا كَمِلَتْ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ظَهَرَ لَهُ مَلَأُكُ الرَّبِّ)^(٢).

وهذا الأمر يؤثر على تحديد عمر النبي موسى «عليه السلام» عند بعثته وتكليفه بالرسالة الإلهية، فبحسب ما استقر به من قبل، كان عمره في العشرينات حين غادر مصر، ونضيف إلى ذلك ١٠ سنوات تقريباً، فلذا سيكون في الثلاثينات عند التكليف بالرسالة. أما بحسب الموسوعة اليهودية، فإنه بقي في مدين ٤٠ سنة، وبحسب عدد من شروحات التوراة أنه كان في الأربعين حين خرج من مصر^(٣)، فالمجموع ٨٠ سنة عند البعثة. وهذا ما صرّحت به بعض المصادر المسيحية أيضاً.

٧. وهل رُزق بذرية من زوجته كما أخبرتنا التوراة عن ولده جرشوم؟ ليس في القرآن حديث عن ذلك مطلقاً، ولكن قد يفهم ذلك من قوله «تعالى»: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا...﴾، فلو كان الأمر مقتصرًا على زوجته لقليل مثلاً (... وسار بامرأته...).

وتضيف التوراة أن موسى قد رُزق بولدٍ ثانٍ من زوجته صفورة، واسمه أليعازر، ففي

1. <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11049-moses>

٢. الكتاب المقدس: سفر أعمال الرسل، الإصحاح ٧: ٢٩-٣٠.

3. <https://biblehub.com/commentaries/acts/7-23.htm>

سفر الخروج: (اللَّذَيْنِ اسْمُ أَحَدِهِمَا جَرَشُومُ، لِأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضِ غَرِيْبَةٍ»، وَاسْمُ الْآخَرِ أَلِيعَازَرُ، لِأَنَّهُ قَالَ: «إِلَهُ أَبِي كَانَ عَوْنِي وَأَنْقَذَنِي مِنْ سَيْفِ فِرْعَوْنَ»)(١)، فالاسم أليعازر يعني: الله المعين/عون. وتذكر بعض المصادر الكتابية أن أليعازر -كأخيه جرشوم- قد وُلِدَ في مدين قبل الهجرة إلى مصر، وذكر بعض شراح التوراة أنه كان حديث الولادة عند الهجرة، وسنتحدث عن هذا الأمر لاحقاً.

لا يُعرَف الكثير عن ابني موسى، ولكن بحسب الموروث الكتابي فإن الله «تعالى» لم يكلفهما بالنبوة والرسالة من بعد أبيهما، بل كلف يوشع بن نون بذلك، وقد وُصف ابنه -في بعض الكتابات اليهودية- بأنهما كانا معاندين لأبيهما، وأنّ عدم اختيارهما -أو أحدهما- للرسالة كان بسبب ذلك. وقد استمرّ نسل موسى «عليه السلام» من خلاهما، ففي سفر أخبار الأيام الأول ضمن ذكر أسماء المنحدرين من ذرية لاوي ابن النبي يعقوب: (ابْنَا مُوسَى: جَرَشُومُ وَالْإِعْزَرُ. بَنُو جَرَشُومَ: شَبُوئِيلُ الرَّأْسُ) أي أكبر أبنائه (وَكَانَ ابْنُ أَلِيعَازَرَ: رَحْبِيَا الرَّأْسُ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَلِيعَازَرَ بَنُونَ آخَرُونَ. وَأَمَّا بَنُو رَحْبِيَا فَكَانُوا كَثِيرِينَ جِدًّا)(٢).

كما ويذكر سفر أخبار الأيام الأول أسماء عدد من المسؤولين المعيّنين من قبل النبي داود «عليه السلام»: (كَانَ شَبُوئِيلُ بْنُ جَرَشُومَ بْنِ مُوسَى وَكَانَ رَئِيسًا عَلَى الْخَزَائِنِ. وَإِخْوَتُهُ) أي أبناء عمومته (مِنْ أَلِيعَازَرَ: رَحْبِيَا ابْنُهُ) أي ابن أليعازر (وَيَسْعِيَا ابْنُهُ، وَيُورَامُ ابْنُهُ، وَزِكْرِي ابْنُهُ، وَشَلُومِيثُ ابْنُهُ. شَلُومِيثُ هَذَا وَإِخْوَتُهُ كَانُوا عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِ الْأَقْدَاسِ الَّتِي قَدَّسَهَا دَاوُدُ الْمَلِكُ وَرُؤُوسُ الْآبَاءِ وَرُؤُوسَاءِ الْأُلُوفِ وَالْمِائَاتِ وَرُؤُوسَاءِ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ١٨: ٣-٤.

٢. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢٣: ١٥-١٧.

الجيش^(١). وادّعي أن بعضهم خدم كرجل دين (كاهن/كوهين) على الرغم من حصر هذا في ذرية هارون كما صرّحت التوراة بذلك.

وفي البين أمر غريب، فبين موسى وداود قرابة ٢٠٠ سنة، فكيف يكون هؤلاء أحفاد موسى المباشرين؟ ولعل شبوئيل هذا من ذرية موسى لا حفيده المباشر، وهذا هو الأنسب، وهو ما قد يحلّ لنا معضلة الفاصل الزمني الكبير بين عهد النبي يعقوب وبين عهد النبي موسى -وبتقديري يتجاوز ٣ قرون- بينما لا يفصل بين موسى ويعقوب سوى ٣ آباء، عمران وقهات ولاوي بن يعقوب، إذ يمكن القول أن في بعض موارد التوراة هناك اختصار في الأنساب. كما يمكن لهذا أن يحلّ لنا معضلة زواج عمران من عمته بحسب ظاهر النص التوراتي. وقد مرّ كل ذلك معنا في باب سابق. وسيأتي معنا في الأسطر اللاحقة أن إحدى شروح التوراة تذكر أن وجود الألف في (ابن) في إحدى النصوص التوراتية للدلالة على أن المذكور في النص كان من ذريته، لا الحفيد المباشر (وَكَانَ يَهُونَاثَانُ ابْنُ جَرْشُومَ بْنِ مَنَسَّى)^(٢) إذ يُفترض أن تُكتب بدون الألف، وهذا ما قد ينطبق على ما نحن فيه أيضاً، علاوة على ما جاء سابقاً بخصوص نسب موسى، وما سيأتي أيضاً بخصوص بعض ذريته.

ويستدلّ التلمود البابلي على كثرة نسل موسى بالوعد الإلهي حين أخبر موسى بأن سقومه قد صنعوا عاجلاً ذهبياً وعبدوه في غيابه: (أُتْرَكْنِي فَأَبِيدَهُمْ وَأَخْحَوْ أَسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ، وَأَجْعَلَكَ شَعْبًا عَظَمَ وَأَكْثَرَ مِنْهُمْ)^(٣)، ولكن من المعلوم أن الله لم

١. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢٦: ٢٤-٢٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر القضاة: الإصحاح ١٨: ٣٠.

٣. الكتاب المقدس: سفر التثنية: الإصحاح ٩: ١٤.

يُيْذَهُم، وَاكْتَفَى بِقَتْلِ عَدَدٍ مِنْ بَنِي لَاوِي، وَلِذَا فَمَنْ الْمَفْتَرِضُ أَنْ تَتِمَّةُ الْآيَةِ لَمْ تَتَحَقَّقْ. وَيُضَيِّفُ التَّلْمُودُ أَنَّ عَدَدَ ذُرِّيَّةِ مُوسَى كَبِيرٌ جَدًّا، وَلَكِنَّا لَا نَعْرِفُهُمْ^(١).

وهذا أيضاً غريب، حيث من المعلوم أن بني إسرائيل كانوا يعتنون اعتناء شديداً بالأنسب، حتى أن التنخ/العهد القديم نفسه مليء بالأنساب وبالتفصيل، فكيف لم يتم الاعتناء بنسل وذرية أهم أنبياء اليهود وبني إسرائيل على الإطلاق؟ والمثال أمامنا واضح بخصوص نسل النبي محمد «صلى الله عليه وآله» وذريته، ومقدار الاعتناء بذلك.

ومن موارد ذكر الولدين في مرحلة لاحقة من سيرة النبي موسى، ما جاء في الإصحاح ١٨ من سفر الخروج، وملخصه أن يثرون جدّ الولدين ووالد صفورة قد جاء بمعيتهم إلى موسى في بركة سيناء عند (جبل الله) أي طور سينين، والخبر كالتالي: (فَأَخَذَ يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى صَفُورَةَ امْرَأَةِ مُوسَى بَعْدَ صَرْفِهَا وَابْنَيْهَا..... وَأَتَى يَثْرُونُ حَمُو مُوسَى وَابْنَاهُ وَامْرَأَتُهُ إِلَى مُوسَى إِلَى الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ كَانَ نَازِلًا عِنْدَ جَبَلِ اللَّهِ)^(٢).

وقد فهم بعض شراح التوراة من عبارة (بَعْدَ صَرْفِهَا وَابْنَيْهَا) أن موسى كان قد طردهم من مصر، وأرسلهم إلى مدين... لماذا؟ النص التوراتي لا يبيّن ذلك، ولكن فُسِّرَ ذلك من قبل بعض شارحي التوراة أن جرشوم تأثر بالأفكار والميول الوثنية التي كانت عند جده يثرون بلحاظ بقاءه عنده لفترة طويلة، على خلاف أخيه أليعازر، ولذا فإنّ بقاءه في مصر كان يُهدّد مشروع موسى التغييري ودعوته التوحيدية، وأنّ هذا أيضاً سبب محتمل لعدم قيام موسى بنحтан ابنه جرشوم، إلى أن هدّد الله بقتل الولد، أو لربما لم يحتنه لوعده قطعه على نفسه ليثرون، وسنناقش هذه المسألة ضمن بحثنا حول المبعث.

1. <https://www.sefaria.org/Berakhot.7a?lang=bi>

٢. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ١٨: ٢-٥.

ولكن بحسب ما استنتجناه مسبقاً من القرآن الكريم، فإنّ من المفترض أن يكون ابنا موسى طفلين صغيرين عندما عاد إلى مصر بمعيتهمما وزوجته، ولا يتعدى عمر أحدهما بضع سنوات، إذ لم يمكث موسى في مدين أكثر من عشر سنوات على أكثر تقدير، والفرس أن ابنه وُلدا في هذه الفترة، فكيف يؤاخذ موسى طفله ويطرده من مصر مع أخيه وأمه؟ وكيف لم يتمكن من تعليمه والتأثير عليه ليوحّد الله في حين أنه يريد التأثير على الناس وعلى رأسهم فرعون؟

ولعل الأنسب -إن صحّت الرواية التوراتية- أن يُقال أنه خاف على زوجته وأولاده من بطش فرعون بهم ضمن أجواء الصراع والتحدّي والآيات النازلة كالجراد والضفادع والقمل والدم وغير ذلك، ولذا أرسلهم إلى أرض آمنة، هي مدين، عند يثرون، تماماً كما لجأ هو «عليه السلام» إليها عندما خاف من بطش فرعون من قبل. وفي المدرّاش/شرح التوراة ما ترجمته: (يقول الحاخام ناتان: حزن موسى لأن أحد أبنائه لم يقف مكانه) أي لم يحلّ محلّه من بعده حيث يرث منه النبوة والرسالة (فقال له الرب: أليس أبناء أخيك هارون كأبنائك؟) ^(١)... وعلّق الدكتور (موريس مزراحي) على ذلك متسائلاً: (إذاً، موسى علّم أبناء هارون ولكن ليس أبناءه؟ لماذا؟ وسؤال مزعج آخر، ولا توجد له إجابة حاسمة: هل أبناء الأشخاص المهمّين والقادة محكوم عليهم بحياة رديئة وبارتكاب الخطايا وأن يكونوا على الهامش؟ في كثير من الحالات يكون لدى الأشخاص المهمّين القليل من الوقت لعائلاتهم، وأن أطفالهم يعانون من أجل ذلك. هناك أمثلة على ذلك للأسف، وأبناء موسى هم مثال على ذلك) ^(٢).

1. Sifrei Devarim 305: 2

2. <https://images.shulcloud.com/618/uploads/PDFs/200709-TheFateof-MosesChildrenPinchas.pdf>

ويذكر سفر أخبار الأيام الأول أسماء عدد من المسؤولين المعيّنين من قبل النبي داود (ع): (كَانَ شَبُوثِيلُ بْنُ جَرَشُومَ بْنِ مُوسَى وَكَانَ رَئِيسًا عَلَى الْخَزَائِنِ. وَإِخْوَتُهُ) أي أبناء عمومته (مِنْ أَلِيعَزَرَ: رَحَبِيَّا ابْنُهُ) أي ابن أليعزر (وَيَشَعِيَّا ابْنُهُ) ابن رحبيا (وَيُورَامُ ابْنُهُ، وَزَكَرِيَّا ابْنُهُ، وَشَلُومِيثُ ابْنُهُ)^(١). وفي البين أمر غريب، فبين موسى وداود قرابة ٢٠٠ سنة، فكيف يكون شبوئيل حفيداً مباشراً لموسى؟ هل كان من ذرية موسى واختصر نسبه؟

وفي سفر القضاة -الذي يأتي في الترتيب الزمني بعد سفر موسى ثم سفر وصية يوشع بن نون- نصّ يتحدث عن انحراف بعض بني إسرائيل عن التوحيد واتخاذهم صنماً في مكان عبادتهم: (وَأَقَامَ بَنُو دَانَ لِأَنْفُسِهِمُ التَّمثالَ الْمُنْحُوتَ. وَكَانَ يَهُونَاثَانُ ابْنُ جَرَشُومَ بْنِ مَنْسَى هُوَ وَبَنُوهُ كَهَنَةً لِسَبْطِ الدَّانِيَّيْنَ إِلَى يَوْمِ سَبْيِ الْأَرْضِ) أي سبي نبوخذ نصر لليهود في القرن السادس قبل الميلاد (وَوَضَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ تَمثالَ مِيخَا الْمُنْحُوتِ الَّذِي عَمِلَهُ، كُلُّ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَ فِيهَا يَبْتَثُ اللَّهُ فِي شَيْلُوهُ)^(٢).

وفي بعض نسخ التوراة نجد بدلاً من منسى، موسى، ويصرح التلمود أن يَهُونَاثَانُ ابْنُ جَرَشُومَ هو في الواقع حفيد النبي موسى، وفي إحدى شروح التوراة أن وجود الألف في (ابن) للدلالة على أنه من ذريته، لا الحفيد المباشر، وتم تغيير اسم الجد موسى... لماذا؟ يقول التلمود: (على الرغم من أنه كان ابن موسى، فقد تصرّف كمنسى ملك يهوذا، الذي اشتهر بعبادة الأوثان)^(٣).

١. الكتاب المقدس: سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح ٢٦: ٢٥-٢٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر القضاة: الإصحاح ١٨: ٣٠-٣١.

3. https://www.sefaria.org/Bava_Batra.109b?lang=bi

٨. تحدث التوراة عن حدثين مهمين وقعا بعد السنوات التي قضاها موسى في مدين، وارتبطا بتكليفه «عليه السلام» بالرسالة... الأول: موت فرعون، والثاني: تجدد الأمل لدى بني إسرائيل في الخلاص من العذاب الذي أذاقهم إياه: (وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا، فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ. فَسَمِعَ اللَّهُ أُنْيَنَهُمْ، فَتَدَكَّرَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) في رعاية بني إسرائيل وغير ذلك مما تحدثت عنه التوراة (وَنَظَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلِمَ اللَّهُ) وبذا جاء الظرف المناسب لينطلق موسى عائداً إلى مصر (وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْغَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنٍ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ)، وهناك بدأت بعثته النبوية وتكليفه بحمل الرسالة.

وهذا يعني أن موسى لم يكن قد نوى الخروج من مدين حينذاك والعودة -بمعية أهله- إلى مصر، بل كان على عادته قد خرج للرعي وحيداً، إلى أن وصل إلى جبل حوريب، بخلاف ما صرح به القرآن إذ قال «تعالى»: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا....﴾ لتبدأ بعثته النبوية وتكليفه بحمل الرسالة.

كما ولا حديث في القرآن عن موت فرعون، ولا عن تجدد الأمل عند بني إسرائيل، ولا شيء عن الميثاق المشار إليه في التوراة بين الله «تعالى» وبين إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كما لم يُسمَّ القرآن الجبل ضمن سرده لقصة موسى «عليه السلام»، بل ذكره بعنوان (الطور) أي الجبل، فهل هو طور سينين/سيناء حيث أقسم به «تعالى» إلى جانب التين والزيتون ومكة البلد الأمين: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ١ وَطُورِ سَيْنِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣ ﴿ ١؟

يبدو الأمر كذلك، ولعل هذه الأقسام الواردة في الآية للدلالة على مواضع التكليف لثلاثة من الرسل أولي العزم، عيسى في بلد التين والزيتون (فلسطين)، وموسى عند طور سينين، ومحمد «صلى الله عليه وآله» في البلد الأمين مكة، أو أنها بشكل عام مواطن الرسالات العظيمة في تاريخ البشرية بما في ذلك النبي إبراهيم «عليه السلام» بعد انتقاله إلى أرض كنعان.

وعلى كل حال، فإنَّ التوراة تتفق مع القرآن في أن مبعث موسى «عليه السلام» وتكليفه بالرسالة تمَّ عند جبل، واستنتجنا من القرآن أنه يقع في سيناء، وأنه طور سينين، وبحسب التوراة فإنَّ اسم ذلك الجبل (حوريب)، وهذا الاسم يعني التوهج / الحرارة، وهو بمثابة جبل النور حيث غار حراء بالنسبة لبنينا محمد «صلى الله عليه وآله». وبحسب التوراة فإنَّ جبل حوريب هو نفس الجبل الذي بقي فيه موسى أربعين ليلة للقاء الله واستلام الألواح منه بعد الخروج من مصر.

وقد استعمل الاسمان -حوريب وسيناء- على نحو التبادل في النصوص التوراتية، بما يُرشد إلى اتحاد المراد منهما، ويؤكد ذلك ما جاء في الموسوعة اليهودية تحت عنوان (حوريب Horeb) و(جبل سيناء) ما ترجمته: (يقع الجبل في صحراء سيناء، ويشتهر بصلته بإنزال الله للناموس/الوحي على موسى. غالباً ما يُشار إلى جبل سيناء باسم الجبل/الطور من دون مضاف إليه...) كما في القرآن الكريم أيضاً (ويبدو أن نص الكتاب المقدس يشير إلى أن اسمه الحقيقي هو حوريب)^(١). ويطلق على هذا الجبل في اللغة العبرية הַר סִינַי وتُلفظ (هار سيناي)، ويُعرف عند العرب باسم (جبل موسى) [انظر اللوحتين رقم ٨٥-٨٦].

1. <https://jewishencyclopedia.com/articles/13766-sinai-mountain>



اللوحة رقم ٨٥: خريطة تبين موقع طور سينين (جبل موسى - حوريب)



اللوحة رقم ٨٦: صورة لطور سينين (جبل موسى - حوريب)

وعلى سفح الجبل، يقع دير طور سيناء/دير القديسة كاترين/دير سانت كاترين، وتعتبر كاترينا الإسكندرانية (ت ٣٠٥م) قديسة وشهيدة عند الكنيسة القبطية (المصرية) الأرثوذكسية، فهي أميرة آمنت بالمسيحية، وأثّرت على المئات فجعلتهم يؤمنون بالمسيحية، مما دفع بالامبراطور الروماني إلى الأمر بتعذيبها في السجن ثم بقتلها، وهي في الثامنة عشرة فحسب. وسُمّي الجبل باسمها لأنه كما ورد في التراث المسيحي، فإن الملائكة حملت جثمان القديسة كاترينا من مكان استشهادها في الإسكندرية، ونزلت بها إلى هذا الجبل. وهو من أقدم الأديرة الأرثوذكسية الباقية إلى اليوم، ويرجع تأسيسه إلى القرن السادس للميلاد. يحيط الدير سور عظيم يحتضن عدة أبنية داخلية بعضها فوق بعض تصل أحياناً إلى أربعة طوابق تحترقها ممرات ودهاليز معوجة [انظر اللوحتين رقم ٨٧-٨٨].

وأقدس مكان في هذا الدير الواقع في صحراء سيناء -بحسب المعتقد المسيحي- هو هيكل الشجرة الذي يقولون أن موسى وقف فيه عندما خاطبه الله «سبحانه». وبالقرب من الدير يوجد مسجد.

• أخبار وروايات المسلمين:

١. عن ابن عباس وعن مُرّة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله: (... فكبر موسى فكان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس، وكان إنّما يُدعى موسى ابن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيّل بأرض يقال لها [منف] ^(١) فدخلها نصف النهار وقد تغلّقت أسواقها وليس في طرقها أحد، وهو قول الله «عز وجل»

١. الواقعة جنوب الحيزة، وقد مرّت معنا ضمن بحث التحديد الجغرافي للأحداث.



اللوحة رقم ٨٧ : صورة لدير القديسة/سانت كاترين على سفح جبل موسى



اللوحة رقم ٨٨ : دير القديسة/سانت كاترين من الداخل

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ يقول هذا من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ يقول من القبط ﴿فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾^(١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ خائفًا أن يؤخذ ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ يقول يستغيثه ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ثم أقبل لينصره فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي قال الإسرائيلي (وَفَرَّقَ) خاف (من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ الكلام ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فتركه وذهب القبطي فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل، فطلبه فرعون وقال: خذوه، فإنه صاحبنا. وقال للذين يطلبونه اطلبوه في بنيات الطريق، فإن موسى غلام لا يهتدي إلى الطريق، وأخذ موسى في بنيات الطريق وجاءه الرجل وأخبره ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فلما أخذ موسى في بنيات الطريق، فجاءه ملكٌ على فرس بيده عَنَزَةٌ (عصاة) فلما رآه موسى سجد له مِنَ الْفَرَقِ، فقال: لا تسجد لي، ولكن اتبعني، فاتبعه فهدها نحو مدين. وقال موسى وهو متوجه نحو مدين ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١) فانطلق به الْمَلِكُ حتى انتهى به إلى مدين)^(٢).

١. القصص: ١٥-٢٢.

٢. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧٣-٢٧٥.

٢. وعن ابن عباس: (... فلمّا بلغ أشده فكان من الرجال، لم يمكّن أحداً من آل فرعون يخلص إلى أحدٍ من بني إسرائيل بظلم ولا سُخرة، حتى امتنعوا كلّ امتناع، فبينما هو يمشى ذات يوم في ناحية المدينة، إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله، وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى) أي لم يكن أحد يعلم السبب الحقيقي وراء موقف موسى الإيجابي تجاه بني إسرائيل، متصورين أن المسألة تعود إلى أنه قد أُرضع من قبل سيدة من بني إسرائيل فحسب (إلا أن يكون الله «عز وجل» أطلع موسى من ذلك على ما يُطلع عليه غيره) ثم يسرد هذا الخبر كيف قتل موسى عدوّه ويضيف (فأتى فرعون فقيلاً له أن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك. فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لأنه لا يستقيم أن نقضي بغير بينة ولا ثبّت. فطلبوا له ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾) ويكمل الخبر وصف ما جرى حين افتضح موسى بأنه القاتل ويضيف (فأرسل فرعون الذّباحين، وسلك موسى الطريق الأعظم وطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر)^(١).

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧٥-٢٧٩.

٣. عن سعيد بن جبير قال: (خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال. قال: وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر، فخرج حافياً، فما وصل إليها حتى وقع خُفُّ قدميه)^(١).

٤. عن السديّ ضمن وصفه لتفاصيل ما جرى عند ماء مدين: (فرحمهما موسى، فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها، فسقى لهما موسى دلوّاً، فأرويتا غنمهما، فرجعتا سريعاً، وكنتا إنما يسقيان من فضول الحياض، ثم تولى موسى إلى ظل شجرة من السَّمَر)^(٢) ولا أدري مصدر السديّ عن الصخرة ونوع الشجرة، وهل للإسرائيليات دور في ذلك أم هو من كيسه.

٥. عن ابن عباس قال: (ورد الماء وإنه ليتراءى خُصرة البقل في بطنه من الهزال)^(٣).

٦. عن شعيب الجبّئي قال: (اسم الجاريتين لَيّا، وصَقُورًا، وامرأة موسى صَقُورا ابنة يثرون كاهن مدين، والكاهن: حَبَر)^(٤).

٧. عن ابن إسحاق، قال: (... وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف، فقال بعضهم: كان اسمه يثرون.... عن أبي عُبيدة، قال: كان الذي استأجر موسى ابنُ أخي شعيب، يثرون... عن ابن عباس قال: الذي استأجر موسى: يثرى صاحب مدين.... قرّة بن خالد، قال: سمعت الحسن يقول: يقولون شعيب صاحب موسى، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ) أي أن الحسن البصري لم يوافق على كونه شعيباً، بل كان سيد أولئك القوم الذين يعيشون

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧٩.

٢. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٧٩-٢٨٠.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٨٠.

٤. الطبري: جامع البيان، ج ١٠، ص ٦٠.

في مدين عند مصدر الماء المذكور في القرآن الكريم (قال أبو جعفر) الطبري (وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه)^(١).

٨. قال ابن الأثير: (قيل: إن اسم شعيب يثرون بن سيفون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم، وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين، وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنما هو ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط)^(٢).

٩. وعن السدي في وصف ما جرى بعد أن سقى موسى «عليه السلام» للمرأتين وعودة إحدهما إليه: (فقام معها وقال لها: امضي. فمشت بين يديه، فضربتها الرياح، فنظر إلى عجيزتها فقال لها: موسى امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت)^(٣).

١٠. عن سعيد بن جبیر قال: (قال لي يهودي بالكوفة وأنا أجهز للحج: إني أراك رجلاً يتبع العلم. أخبرني أيّ الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أعلم، وأنا الآن قادم على حبر العرب -يعنى ابن عباس- فسأله عن ذلك. فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما. إن النبي إذا وعد لم يُخلف. قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال: صدق وما أنزل الله على موسى، هذا والله العالم). وروي أيضاً عن سعيد ابن جبیر مثل ذلك ولكن ضمن حوار مع نصراني^(٤).

١. الطبري: جامع البيان، ج ١٠، ص ٦٠-٦١.

٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٢.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٨٠.

٤. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٨١.

١١. قال المجلسي: (وقال أهل السَّير: فبينما هو يمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان: أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، والذي من شيعته يُقال إنه السامري) الذي أشار القرآن الكريم إلى موقفه لاحقاً في إضلال بني إسرائيل بعبادة العجل (والذي من عدوّه كان خبازاً لفرعون واسمه قاثون، وكان اشترى حطباً للمطبخ، فسخر السامري ليحمّله، فامتنع، فلما مرّ بهما موسى استغاث به، فقال موسى للقبطي: دعه، فقال الخباز: إنما أخذه لعمل أبيك) أي فرعون (فأبى أن يخلي سبيله، فغضب موسى فبطش وخلّص السامري من يده، فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله، قالوا: ولما قتل لم يرهما إلا الله «تعالى» والإسرائيلي...) ثم يكمل الخبر وصف ما جرى بعد ذلك إلى أن جاء (رجل من أقصى المدينة من شيعته يقال له خربيل، وكان على بقية من دين إبراهيم الخليل «عليه السلام»، وكان أول من صدّق بموسى وآمن به)^(١).

كانت هذه نبذة من الأخبار والروايات التي تقدّم مزيداً من التفاصيل عمّا جاء في كتاب الله عز وجل، وبعضها يلتقي مع ما جاء في مرويات كتابية، وكثير منها لا نعلم مصدره، سوى أنه منقول عن لسان ابن عباس أو ابن جبير أو غيرهما، أما من أين جاء هؤلاء بتلك التفاصيل... الله أعلم. وما مدى دقة وصحة تلك التفاصيل... الله أعلم. وهل صدر هذا الكلام بالفعل عن ابن عباس وابن جبير... الله أعلم. وما أكثر ما كُذّب على الصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت وغيرهم! بل إن بعض ما مرّ معنا من تفاصيل لا نشك بأنه مختلق، فضلاً عن التعارض الواقع فيما بين التفاصيل أحياناً.

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٥٧.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ رجّحنا أن المراد من قوله «تعالى»: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى...﴾ بلوغ سن العشرين تقريباً، وفي هذه المرحلة من عمره واجه موسى الشاب قضية الرجلين اللذين كانا يقتتلان، وقُتل أحدهما على يده عن غير عمد.

○ يبدو أن القرآن الكريم حين وصف أحد الرجلين بأنه من شيعته والآخر من عدوّه، فإن ذلك لم يكن بلحاظ الانتماء إلى بني إسرائيل من عدمه، بل بلحاظ تعقيدات المشهد السياسي الحاضر في بلاط فرعون ضمن أجواء التنافس والتحاسد بين المرشّحين لخلافة فرعون، ولعل اصطفاً عديداً من بني إسرائيل مع موسى جاء في جانب منه بلحاظ انتماؤه النسبي، وإحسانه إليهم.

○ ذكرنا ثمانية اختلافات بين السردية القرآنية والتوراتية لقصة موسى والرجلين والتي أدّت لاحقاً إلى خروجه من مصر إلى مدين، وإن كانتا في الصورة العامة والإجمالية متشابهتين.

○ خرج موسى من مصر قاصداً مدين على وجه التحديد، ولم يكن ذلك عفوياً، بل من المحتمل وجود صلة قرابة (بعيدة) بين أهلها وبين بني إسرائيل من خلال جدّ الطرفين، النبي إبراهيم الخليل، فأراد أن يدخل في حماهم، كما أنّ مدين كانت خارج منطقة نفوذ وحكم الامبراطورية المصرية آنذاك.

○ استبعدنا أن يكون النبي شعيب هو والد المرأتين اللتين أعانهما موسى عند ماء مدين، وتزوَّج بأحدهما لاحقاً، والقرآن الكريم يشير إلى أنه كان رجلاً مؤمناً موحّداً ومحسناً.

○ بحسب التوراة، رُزق موسى بولدين، ويمكن أن نستوحي من القرآن الكريم أنه رُزق منها بذرية، وإن لم تصرّح بذلك. وقد تحدثت بعض المصادر اليهودية بسلبية عن الولدين وسبب حرمانهما من النبوة لاحقاً، كما تحدثت بعض أسفار التنخ (العهد القديم) وكذلك التلمود عن امتداد نسل موسى من خلال هذين الولدين.

○ تحدّث القرآن الكريم بصورة مجملة عن قرار مغادرة موسى لمدين والعودة إلى مصر، وأن الأمر جاء بانتهاء المدة المتفق عليها كمهر زواج، ثم بُعث موسى في الطريق. بينما صرّحت التوراة بأن قرار العودة إلى مصر جاء بعد مبعثه وبأمر من الله، وبعد موت فرعون (الولادة/التسخير)، وموت اللذين كانوا يطالبون بقتل موسى.

○ جبل حوريب/طور سينين/طور سيناء/الطور، مسميات لجبل واحد يقع في سيناء في نقطة موازية تقريباً لمدين عبر اللسان الشرقي الشمالي للبحر الأحمر.

○ وقعت العديد من أخبار ومرويات المسلمين لسيرة النبي موسى الخاصة بهذه المرحلة السنيّة تحت تأثير التراث اليهودي، بما في ذلك المدراسي والتلمودي، مع شيء من التغيير والتحريف والإضافة، فجاءت بعض تفاصيل الأحداث مشوّهة ومتعارضة فيما بينها، وفي غالب الأحيان بلا مرجع ولا دليل.

المبعث

المبعث

• موضوعات هذا الفصل:

- ما الذي أتى بموسى عند جبل حوريب/طور سينين؟ وهل يصحّ أن يكون للأمر علاقة برعي الأغنام فعلاً كما تقول التوراة؟
- قراءة في محاولات تحديد نوع الشجرة التي كلمّ الله موسى من خلالها، مما جاء في التوراة والمصادر التابية ومرويات المسلمين.
- مقارنة ما جاء في النصّين التوراتي والقرآني حول مشهد المبعث، وأهم الاختلافات بينهما، وتأثير ذلك على تحديد العنوان الأهم والرئيس في التكليف بالرسالة.
- هل أعطي موسى آيتين عند المبعث، أم ثلاث آيات، أم أكثر من ذلك؟
- ما أسباب تردّد موسى في قبول الرسالة كما تقول التوراة؟ وهل في القرآن الكريم ما يؤكّد ذلك؟
- كم مرّة كلمّ الله موسى قبل أن يصل إلى مصر؟ وماذا جرى في تلك اللقاءات؟

- ما قصّة غضب الله على موسى - كما ادّعت التوراة الحاضرة- إلى درجة أنه كاد أن يقتله في الطريق إلى مصر؟ وما علاقة ذلك بمسألة الختان؟ وما الذي أنقذه من الموت المحقّق؟ وما قصة الملاك (حيّما)؟ وما علاقتها بما جاء في بعض صحاح المسلمين من أن موسى فقاً عين ملك الموت عندما جاء ليقبض روحه؟!
- هل تحوّلت عصا موسى إلى حيّة؟ أم جيّ؟ أم ثعبان؟ وما الفرق بين هذه المسمّيات؟
- وقفة عند آية اليد، ومناقشة ما إذا كان تغيّر لون يد موسى نوعاً من العقوبة كما قال بعض أحبار اليهود.
- قراءة في كم هائل من الأساطير التي ملأت مصادر المسلمين في كتب التفسير والحديث والتاريخ وقصص الأنبياء.

• المبعث في السردية التوراتية:

انتهينا في سرد سيرة موسى «عليه السلام» في مرحلة الشباب إلى ما قبل مبعثه بقليل، حيث افترق نصّ القرآن الكريم والتوراة عن بعضهما البعض في بيان كيفية وقوع هذا الحدث المفصلي في حياته «عليه السلام»... فالقرآن الكريم يتحدث عن هجرة موسى «عليه السلام» مع أهله وتوجههم إلى مصر، فجرى ما جرى من أمر البعثة، بينما تتحدث التوراة عن وقوع ذلك عندما كان موسى «عليه السلام» كعادته يرفع الأغنام. ولنتناول نص التوراة أولاً، ثم ما جاء في القرآن الكريم.

جاء في الإصحاح الثالث من سفر الخروج: (وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنٍ مِديَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ) وهو طور سينين كما ذكرنا من قبل، وقد أثار هذا إشكالية لدى بعض شارحي التوراة، إذ المسافة

بين مدين وهذا الجبل بعيدة جداً، وليس من المعهود أن يسرح الراعي بأغنامه كل هذه المسافة بحثاً عن الكلاً والماء، فالمسافة بينهما تقارب ٣٥٠ كم، أي مسير خمسة أيام متواصلة للمسافر المُجدِّ، وإذا كانت المسافة بخط مستقيم أقل من ذلك بكثير، إلا أن وجود خليج العقبة بين مدين وجبل حوريب يمنع من تحقيق ذلك إلا بالانتقال بواسطة سفينة، فلماذا يقوم بذلك راعٍ بمعية أغنامه؟ فالمنطق يستدعي انتقاله عبر الطريق البري فحسب بالالتفاف حول رأس الخليج والنزول جنوباً إلى الجبل، وإذا أضفنا طريق العودة إلى ما سبق، فستستغرق العملية ١٠ أيام على أقل تقدير، وهذا مستبعد تماماً بحسب العادة [انظر اللوحة رقم ٨٩] (وְظَهَرَ لَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ بِلَهَيْبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلْيَقَةٍ) وهي التي يُرمز لها في التراث اليهودي من خلال الشمعدانة ذات الرؤوس السبعة والتي تسمى مينوراه [בְּמִנְיָהָ] [انظر اللوحة رقم ٩٠]. واختلف مفسرو التوراة في تحديد هوية هذا الملك بين ميكائيل وجبريل «عليه السلام».

• الشجرة - العُلَيْقَةُ:

وإذا رجعنا إلى النصّ العبري سنجد الكلمة الدالة على الشجرة/الشجيرة التي سُمع من خلالها الصوت هي: עֵץ، وتُلَفَّظ سِينِه Seneh وترُجمت في النصّ العربي للكتاب المقدس إلى كلمة العُلَيْق، وفي بعض الترجمات الإنجليزية تمّ الاكتفاء بكلمة Bush أي شجيرة، وفي بعضها Thorn Tree أو Thorn Bush، أي شجرة/شجيرة شوكية. فما نوع هذا النبات؟

لا يوجد اتفاق عند شارحي التوراة على نوع هذه الشجرة/الشجيرة، ويعتقد البعض -ومن بينهم أحبار التلمود- أنها الشجيرة المعروفة باسم العُلَيْق المقدس Rubus



اللوحة رقم ٨٩ : خريطة توضّح خط السفر البري من مدين إلى طور سينين



اللوحة رقم ٩٠ : الشمعدانة ذات الرؤوس السبعة (مينوراه)

Sanctus، حيث كلمة Sanctus باللاتينية تعني المقدّس، وكذلك تُعرف باسم Holy Bramble حيث كلمة Holy بالإنجليزية تعني المقدّس أيضاً، وتُعرف هذه الشجيرة باللغة العبرية باسم פטל קדוש وكذلك פטל קדוש وترجمتهما (التوت المقدّس - توت العُليق المقدّس)، ووصفها بكلمة (مقدّس) ناتج عن الاعتقاد بأنها الشجرة التي سمع موسى «عليه السلام» الصوت من خلالها.

والعُليق المقدّس شجيرة شائكة مع أزهار وردية، ولها ثمرة تُعرف باسم العُليق وبالإنجليزية Blackberry [انظر اللوحة رقم ٩١].

وتوجد في فناء دير القدّيسة (سانت) كاترين بسيناء عُليقة تقع بالقرب من المكان المدّعى أنه الموضع الأصلي للشجرة التي شهدت الحدث [انظر اللوحة رقم ٩٢]، أما مكانها الأصلي فقد بُني عليه موضع خاص للعبادة، ولما نُقلت الشجيرة -بحسب الاعتقاد السائد- من ذلك الموضع، حُدّد مكانها الأصلي بنجمة فضية. ويعتقد الرهبان في دير سانت كاترين، وفقاً لتقاليد كنيستهم، أنّ الشجيرة الحالية هي -في الواقع- الشجيرة الأصلية التي رآها موسى، وليست بديلاً عنها ولا رمزاً لها.

أما قاموس الكتاب المقدّس -وهو مصدر مسيحي- فيذكر أنّ العُليقة عبارة عن شجيرة شوكية مما كان ينبت في صحراء سيناء، وأنه لا يمكن الجزم بنوع الشجيرات الشوكية التي كانت منها تلك العُليقة التي رآها موسى النبي في البرية تتوقد بالنار^(١).

في المقابل، فقد ذكرت بعض النصوص الكتابية أن الشجرة المذكورة في النص كانت من شجر العوسج، فهل العوسج والعُليق المقدّس شجرة واحدة؟ هكذا ادّعى البعض...

1. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/18_EN/EN_186.html



اللوحة رقم ٩١ : نبتة وثمره العُليق



اللوحة رقم ٩٢ : العُليقة الموجودة في دير سانت كاترين

فهل يصح مدّعاهم هذا؟ بالرجوع إلى كتاب (لسان العرب) لابن منظور نجده يقول في تعريف كلمة عوسج: (شجر من شجر الشوك، وله ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق، قال الأزهري: هو شجر كثير الشوك)^(١)، وشُبّه ثمره في بعض المصادر بثمره بالتوت... إلى هنا يمكن القول باتحاد المراد من العوسج والعُليق المقدّس، أو العُليق بشكل عام كما جاء في بعض المصادر والكتابات.

إلا أنّ لابن سينا رأياً في المسألة، حيث قال في كتابه (القانون): ([عليق]، الماهية: قال بعضهم أنه العوسج.... له ثمرة كالزيتون، صوفية الداخل، وهذا الصنف يوجد ببلاد شهرزور^(٢) وبلاد فاسوس^(٣). وعندي أن العُليق نبات سوى العوسج، لأن ديسقوريدوس^(٤) بين في كتابه الموسوم بـ [الحشائش في هيولى الطب] ماهية العليق وماهية العوسج، وكلاهما يخالفان في النبت والأفعال^(٥).... [عوسج]، الماهية: قال قوم أن العوسج هو العُليق، وقال ديسقوريدوس: شجرة تنبت في السّباح، لها أغصان قائمة متشوّكة.... ومن العوسج صنف آخر غير هذا الصنف أبيض منه، ومنه صنف آخر وورقه أسود من ورقه وأعرض، مائلاً قليلاً إلى الحُمرة، وأغصانه طوال يكون طولها نحواً من خمسة أذرع، وهي أكثر شوكة منه وأضعف.... وللعوسج ثمرة مثل التوت، تؤكل، ومنبته يكون في البلاد الباردة أكثر^(٦).

١. ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٣٢٤.

٢. حيث مدينة حلبجة الواقعة في كردستان العراق.

٣. أي أفسس الواقعة في تركيا الحالية بالقرب من كوشاداسي.

٤. طيب يوناني اسمه الكامل: ديسقوريدس فيدانيوس وباليونانية Διοσκουρίδης (ت ٩٠م).

٥. أي يتخالفان في التأثير من الناحية الطبية.

٦. ابن سينا: القانون، ج ١، ص ٤٠٠.

وكلام ابن سينا سليم ويمكن ملاحظة ذلك عند مقارنة الصور الخاصة بالعليق المقدس بصورة شجرة العوسج وثمرتها [انظر اللوحة رقم ٩٣].

• النار العجيبة:

(فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلْيَقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلْيَقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ) مما يثير الاستغراب والفضول [انظر اللوحة رقم ٩٤]. ولهذا الحدث معنى رمزي، حيث أنَّ قُدَامَى المفسرين من اليهود كانوا يرون أن العليقة التي لم تكن تحترق رغم أنها تتوقد بالنار، إنما كانت تُشير إلى أنَّ شعب الله لا يمكن أن تحرقه أو تقضي عليه نيران الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه على يد فرعون، وهو ما ينطبق على شعب الله في كل العصور، كما يرى البعض في النيران المتوقدة جلال محضر الله وقداسته، ولذا أمر موسى لاحقاً بخلع حذائه من رجليه لأن الموضع الذي هو واقف عليه أرض مقدسة^(١).

• الله يكلم موسى:

(فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الْآنَ لَأَنْظُرَ هَذَا الْمُنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعُلْيَقَةُ؟».

فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعُلْيَقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!».

فَقَالَ: «هَآنَذَا». فَقَالَ: «لَا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». فَعَطَى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صَرَاحَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ) أي بسبب ما يفعله مستخروهم بهم من قتل وإيذاء (إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَزَلْتُ لَأُنْقِذَهُمْ

1. https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/18_EN/EN_186.html



اللوحة رقم ٩٣ : شجرة عوسج ووصف ورقها وثمرها



اللوحة رقم ٩٤ : لوحة فنية تخيلية لموسى والنار والشجرة

مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، إِلَى مَكَانٍ الْكُنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ) أرض فلسطين التاريخية كانت في تلك الفترة مقسمة إلى ممالك متعددة، وكل مملكة - أحياناً كثيرة - عبارة عن مدينة واحدة فقط ويحكمها ملك. والكنعانيون هم السكان الأصليون، والحثيون غزاة من نواحي تركيا الحالية وقد احتلوا أجزاء من فلسطين، والأموريون في الأصل من أهل بادية الشام والعراق ولربما الجزيرة العربية أيضاً، والفرزيون فرع قروي من الكنعانيين استوطنوا الأرياف، والحويون فرع آخر من الكنعانيين، واليبوسيون فرع آخر من الكنعانيين وهم أهل مدينة القدس (وَالآن هُوَذَا صُرَاحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الصَّيْقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، فَلَا أَنْ هَلُمَّ فَأَرْسِلَكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ).

• الرسالة الإلهية لبني إسرائيل:

ثم يضيف النص التوراتي أن موسى «عليه السلام» لم يتقبل هذه المسؤولية بادئ الأمر وتهيب منها: (فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ: «مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَحَتَّى أَخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟» فَقَالَ: «إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ، وَهَذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلَامَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ». فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ: «هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَآذَا أَقُولُ لَهُمْ؟» فَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهُ» أي هو الذي هو (وَقَالَ: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ». وَقَالَ اللَّهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهُوَهُ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ قَدُورٍ) أي من جيل إلى جيل (اذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ

إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمُ: الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلًا: إِنِّي قَدْ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صَنَعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ. فَقُلْتُ أَصْعَدُكُمْ مِنْ مَدْلَّةٍ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضِ تَفِيضٍ لَبَنًا وَعَسَلًا. «فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلْ أَنْتَ وَشُبُوحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ الْقَتَانَا، فَالآنَ نَمْضِي سَفَرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا. وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ) أَيِ وَلَوْ اسْتَعْمَلْتُمُ الْقُوَّةَ (فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا) أَيِ بِالآيَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ كَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالدَّمِ (وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُكُمْ. وَأَعْطِي نِعْمَةً لِهَذَا الشَّعْبِ فِي عِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَمْضُونَ أَنْتُمْ لَا تَمْضُونَ فَارِغِينَ. بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةً فَصَّةً وَأَمْتِعَةً ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلُبُونَ الْمِصْرِيِّينَ) وهذا يعني أنهم لن يخرجوا خالي الوفاض، بل سيخرجون غانمين سالمين.

• آيات العصا واليد والدم:

بعد أن استمع موسى «عليه السلام» إلى هذا الكلام والوعد بالنصر بالآيات، طلب من الله «سبحانه» أن يؤيده بما يؤكد عن طريقه لبني إسرائيل صحة مدّعاؤه بأنه مبعوث من عند الله وذلك ليضمن تصديقهم برسالته وإيمانهم بنبوته واتباعهم له: (فَأَجَابَ مُوسَى وَقَالَ: «وَلَكِنْ هَا هُمْ لَا يُصَدِّقُونَنِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ: كَمْ يَظْهَرُ لَكَ الرَّبُّ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا». فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهَا، فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ. «لَكِنِّي يُصَدِّقُوا

أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبِّي». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّي ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءُ مِثْلَ الثَّلَاجِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبِّي». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّي ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّي، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ. «فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الْآيَةِ الْأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتِ الْآيَةِ الْآخِرَةِ».

ولا يخفى أن القرآن الكريم ذكر هاتين الآيتين أيضاً، ولكن التوراة تذكر أن الله «سبحانه» أيد موسى بآية ثالثة: (وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنْ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ).

• موسى ثقيل اللسان:

وعلى الرغم من التسديد الإلهي بهذه الآيات، إلا أننا نجد موسى «عليه السلام» يطلب معالجة مشكلة يعاني منها وتخص قدرته على الكلام بطلاقة: (فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلَامٍ مُنْذُ أَمْسٍ وَلَا أَوَّلٍ مِنْ أَمْسٍ، وَلَا مِنْ حِينَ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْقَمِ وَاللِّسَانِ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ قَمًّا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أُخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَّا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»).

مع كل ما سبق، يستصعب موسى «عليه السلام» تحمّل مسئولية الرسالة، ويطلب من الله «تعالى» أن يختار شخصاً آخر سواه ليقوم بالمهمة: (فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدٍ مَنْ تُرْسِلُ». فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونَ الْلاَوِيُّ

أَحَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لَاسْتِقْبَالِكَ) يبدو أنها إشارة إلى أن هارون كان قد أوتي النبوة وأن الله أمره أن يخرج لاستقبال موسى العائد إلى مصر. (فَجِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَهًا. وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هَذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الْآيَاتِ).

• قبول الرسالة والانطلاق نحو مصر:

أخيراً، استسلم موسى «عليه السلام» وقبل تحمّل المسؤولية الإلهية: (فَمَضَى مُوسَى وَرَجَعَ إِلَى يَثْرُونَ حَمِيهِ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا أَذْهَبُ وَأَرْجِعُ إِلَى إِخْوَتِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ لَأَرَى هَلْ هُمْ بَعْدَ أَحْيَاءَ») أي أن موسى لم يصارح يثرون بحقيقة ما جرى وبما كُلف به (فَقَالَ يَثْرُونُ لِمُوسَى: «اذْهَبْ بِسَلَامٍ»).

ثم تتحدث التوراة عن خطاب إلهي ثان لموسى «عليه السلام»، ولكن الأمر -هذه المرة- تمّ في مدين، ولربما كان عن طريق الوحي، إذ لم توضح التوراة كيف تمّ الخطاب، على خلاف الخطاب الأول، وإن بدا بحسب ظاهر النص أنّ كيفية الخطابين متحدان: (وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِديَانَ: «اذْهَبْ أَرْجِعْ إِلَى مِصْرَ، لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ») حين قتل منهم رجلاً قبل الهجرة إلى مدين (فَأَخَذَ مُوسَى امْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَأَرْكَبَهُمْ عَلَى الْحَمِيرِ وَرَجَعَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ. وَأَخَذَ مُوسَى عَصَا اللَّهِ فِي يَدِهِ) [انظر اللوحة رقم ٩٥].

ثم جاء الخطاب الثالث دون توضيح لكيفيته، ولربما هو نفس الخطاب الثاني وتتمته له: (وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «عِنْدَمَا تَذْهَبُ لِيَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ، انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي



اللوحة رقم ٩٥ : لوحة تخيلية لموسى عائداً بأهله إلى مصر

جَعَلْتُهَا فِي يَدِكَ وَاصْنَعُهَا قُدَّامَ فِرْعَوْنَ. وَلَكِنِّي أَشَدُّ قَلْبُهُ حَتَّى لَا يُطْلِقَ الشَّعْبَ. فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكْرُ. فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقْ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبَكْرَ) أي الابن البكر لفرعون.

• كاد الله أن يقتل موسى!

ثم تتحدث التوراة عن خطاب آخر، لربما رابع أو ثالث، جرى في الطريق إلى مصر وأشرنا إليه مسبقاً عند الحديث عن ابني موسى «عليه السلام»، إلا أن في النص التوراتي شيئاً من الاختصار والتداخل مع الآيات السابقة: (وَحَدَّثَ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَنْزِلِ) بحسب بعض الترجمات أن ذلك جرى في [الزُّل] أي ما يشبه الفنادق في هذا الزمان، أو محطة استراحة وبيات للمسافرين، وقد يكون المراد من ذلك مكان النزول

والاستراحة والتي تكون عادة بالقرب من مصدر للماء في طريق السفر (أَنَّ الرَّبَّ التَّقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ)... مَنْ يَقْتُل مَنْ؟ وإلى من يرجع الضميران للفاعل والمفعول به؟ العبارة باعتراف عدد من شارحي التوراة غامضة، ففي المقطع السابق تهديد إلهي لفرعون بقتل ابنه البكر، وهنا -بحسب هذه الشروح والتفاسير- تهديد إلهي بقتل موسى حيث أصيب بوعكة صحية شديدة ومفاجئة، وأنّ الذي دفع عنه ذلك ما ستقوم به زوجته كما في تمة النص: (فَأَخَذَتْ صَفُورَةُ صَوَّانَةً وَقَطَعَتْ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ عَرِيسٌ دَمٌ لِي»). فَأَنْفَلَكَ عَنْهُ) أي تراجع الله عن قتله (حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسٌ دَمٌ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ»).

وبسبب هذا الغموض، وبعض الإشارات الواردة في النص، اختلفت التفسيرات حول النص والمراد منه، ولكنها تتجه إلى أن المهدّد بالقتل من قبل الله هو شخص النبي موسى، واحتمل شراح التوراة أن للأمر علاقة بالختان، وافترضوا أن الله أمر موسى من قبل -أو أنه كان مكلفاً تلقائياً من جهة التشريع- بأن يختن أحد ابنيه قبل الوصول إلى مصر، ولكنه لم يفعل. أما التفاصيل وخلفيات الموضوع فمختلفة، ومن بينها:

١. في التلمود ما ترجمته: (قال الحاخام يهودا هاناسي: حاشا لموسى معلّمنا أن يهمل مراسيم الختان. بل هذا ما قاله: [إذا قمت بختان الطفل الآن وغادرت لإكمال رحلتي، فإن هذا سيعرّض الطفل إلى الخطر.... وحيث أن القدّوس أمرني أن: «أذهب، أرجع إلى مصر»^(١)، فهذا يعني أن أذهب على الفور]. لهذه الأسباب لم يختن موسى الطفل على الفور، وهذا لم يكن بسبب الإهمال من جانبه. وهذا التفسير يطرح السؤال التالي: لماذا عاقبه الله إذاً ما دام معذوراً في تأخير الختان؟ لقد جاء العقاب نتيجة انشغال

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ١٩.

موسى بالسكن أولاً، بدلاً من البدء بمراسم الختان عند استقراره في ذلك المنزل... وبين الحاحام يهودا بار بزنّا: في الوقت الذي كان موسى -معلّماً- قد أهمل الختان، جاء الملائكة المدمرون بالغضب والغیظ) [انظر اللوحة رقم ٩٦] (فابتلع موسى، ولم يبق منه سوى ساقیه. على الفور، «أَخَذْتُ صَفُورَةً صَوَّانَةً وَقَطَعْتُ غُرْلَةَ ابْنِهَا»^(١)، وعلى الفور «انْفَكَّ عَنْهُ»^(٢). في تلك اللحظة أراد معلّماً موسى أن يقتلهم... وفي البين من يقول أنه بالفعل قد قتل الملاك المسمى [حَيِيمًا])^(٣).

وهذا يذكرنا بالمروي في بعض التراث الإسلامي من أن ملك الموت جاء إلى موسى ليقبض روحه، فلطمه وفقاً عينه! ويبدو أن مصدر هذه الأسطورة هو التلمود.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة: (أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى «عليهما السّلام»، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكُّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا عَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبٍّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَلَا أَنْ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُذْنِبَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ)^(٤).

وفي صحيح النسائي عن أبي هريرة: (أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى «عليه السّلام» فَلَمَّا جَاءَهُ صَكُّهُ فَفَقَّ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ٢٥.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ٢٦.

3. https://www.sefaria.org/Nedarim.32a.2?ven=William_Davidson_Edition_-_English&lang=bi&with=all&lang2=en

٤. صحيح البخاري، ح ٣٢٢٦.



اللوحه رقم ٩٦ : لوحه تخيلية لموسى وهو على وشك أن يُقتل

اللَّهُ «عَزَّ وَجَلَّ» إِلَيْهِ عَيْنُهُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ أَيُّ رَبِّ تَمَّ مَهْ قَالَ الْمَوْتُ قَالَ فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهُ «عَزَّ وَجَلَّ» أَنْ يَدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِمَجَرٍّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فُلُو كُنْتُ تَمَّ لِأَرِيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكُثْبِ الْأَحْمَرِ^(١). والكثيب: التل من الرمل.

٢. افترض بعض مفسري التوراة المسيحيين أن الله «تعالى» أمر موسى من قَبْلِ أَنْ يَخْتَن جَرَشُومَ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى مِصْرَ، فَأَبَتْ الْأُمُّ، وَتَرَاوَعَ مُوسَى عَنِ التَّنْفِيزِ، فَجَاءَهُ التَّهْدِيدُ الْإِلَهِيُّ، إِذْ أَصِيبَ بِالْمَرَضِ الشَّدِيدِ، وَفَهِمَ الزَّوْجَانِ أَنَّ لِّلْمَرَضِ عِلَاقَةً بِالْإِمْتِنَاعِ

١. صحيح النسائي: ح ٢٠٨٨.

عن تنفيذ الأمر الإلهي بختان جرشوم، إذ (يبدو أن صفورة زوجة موسى خافت على ابنها من آلام الختان، فرفضت ختانه، ويبدو أن موسى قد استجاب لها. وهذه نقطة ضعف في حياة هذا العملاق. والله كان لا يريد لموسى أن يذهب لعمل عظيم في خلاص الشعب وواضع للناموس وهو مخالف للناموس. وحساب الله يكون عسيراً على من كانت قامته عالية. فموسى العظيم الذي رأى الله وكلمه تكون خطيته أعظم من خطايا البشر العاديين. فموسى أحب زوجته، وزوجته أحب ابنها، فامتنعا عن ختان الولد، بينما كانا كلاهما لا بُد أن يخضعا للناموس الله. [من أحب أباً أو أمًا.. أكثر مني فلا يستحقني]).

هذا المعنى قريب من قوله «تعالى» في القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) ﴿١﴾.

(لذلك طلب الله أن يقتل موسى، وغالباً فقد أصاب موسى مرض شديد) وهذا مجرد احتمال افترضه الشارح (وخافت صفورة، وغالباً فقد نبه موسى زوجته بأن السبب في غضب الله هو عدم ختان الصبي) وهذا احتمال آخر لم يصرح به النص (فقامت صفورة بختان الولد مستخدمة صوانة أي سكين من الصوان كعادة المصريين. ومست صفورة رجلي موسى بغرلة الولد أي بالدم. وقالت إنك عريس دم لي، أي أنها افتدت

موسى بدم ابنها، وكأنّ موسى بنجاته رُدَّ إليها عريساً من جديد. فهي حينما مسّت موسى بدم الولد انفكّ عنه المرض ونجا^(١).

وفي كتاب (تعليق المنبر) Pulpit Commentary^(٢) أنّ فهم الانتقال المفاجئ من الوعد بالانتصار على فرعون إلى تهديد موسى بالموت الفوري يحتاج إلى أن نضع في اعتبارنا انقضاء بضعة أيام في الطريق ثم إصابة موسى بالمرض وتهديده بالموت، وأن التفسير الأكثر ترجيحاً هو أن صفورة قد ولدت ابنها الثاني، أليعازر، قبل بضعة أيام من انطلاقها في رحلتها إلى مصر. وفي الطريق، حلّ اليوم الثامن من ولادة الطفل، وهو يوم الحتان، إلا أن صفورة امتنعت عن ذلك اشمئزاً من الأمر، فأرجأ موسى التنفيذ، وفي نهاية اليوم الثامن، عندما ذهب موسى للراحة ليلاً، أُصيب بمرض مفاجئ وخطير، فاعتبرته صفورة عقاباً إلهياً له، وتوبيخاً على خطيئته.

ولأن زوجها كان مريضاً جداً لدرجة عدم تمكّنه من أداء مراسيم الحتان، قامت هي بذلك. وحيث أنها فعلت ذلك مجبرة، لذا فقد كانت غاضبة، فألقت بالغُرلة^(٣) عند قدمي زوجها، وهي تلومه قائلة ما معناه (بالتأكيد أنت لي زوج ملطخ بالدماء). وهكذا غفر الله لموسى خطيئته، وعادت إليه عافيته.

1. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefer-El-Khoroug/Tafseer-Sefer-El-Khroug__01-Chapter-04.html

٢. وهو شرح وتعليق على الكتاب المقدس تم تأليفه خلال القرن التاسع عشر تحت إشراف القس جوزيف س. إكسيل، وهنري دونالد موريس سبينس-جونز Joseph S. Exell and Henry Donald Maurice Spence-Jones ويتألف من ٢٣ مجلداً مع ٢٢٠٠٠ صفحة و ٩٥٠٠٠ إدخال، وقد تمت كتابته على مدار ٣٠ عاماً بمشاركة ١٠٠ مساهم.

٣. جلدُ الصبي التي تقطع في الحتان.

واحتمل (جون غيل) في شرحه للكتاب المقدس John Gills Exposition of The Bible Commentary بأن يكون الله قد ظهر لموسى بصورة تهديدية مخيفة وكأنه على وشك أن يُقتل، وأضاف أنه قد ظهر للملاك لبلعام بن بعور بهذه الصورة، كما ظهر لداود حاملاً سيفاً مسلولاً يوحي بأنه سيهوي عليه ليقته، فأصيب موسى بحالة هلع شديدة أرقدته الفراش^(١)!

• الحدث في القرآن الكريم:

تعرّضت الآيات القرآنية لهذه الحادثة المهمة والمفصلية في سيرة النبي موسى «عليه السلام» وعرضتها بأساليب متنوعة، تراوحت بين الإجمال والتفصيل، وتشابهت مع الرواية التوراتية للحدث من بعض الجهات، واختلفت معها من جهات أخرى، ولنستعرض الآيات بحسب ترتيب السور في المصحف الشريف، ومن ثم نعلق مع الاستشهاد ببعض كلمات العلماء المفسرين:

١. ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾^(٢).
٢. ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٩ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ١٠ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ١٥ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ

1. <https://biblehub.com/commentaries/exodus/4-24.htm>

٢. مريم: ٥١-٥٣.

هَوَاهُ فَنَرَدِي ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ ﴿١﴾

٣. ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اهْبِثِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ قَوْمٌ فِرْعَوْنُ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾

٤. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٩﴾ وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ

١. طه: ٩-٣٦.

٢. الشعراء: ١٠-١٧.

فِي جَنِّبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ (١).

٥. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿١٥﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَنِّبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٧﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٨﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

٦. في خطابه «تعالى» للنبي «صلى الله عليه وآله» في مقام الاحتجاج بنبوته وسمووية القرآن الكريم: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ فكيف كان لمحمد «صلى الله عليه وآله» أن يخبر بتفاصيل ما جرى لموسى «عليه السلام» عند بعثته بجانب الطور كما جاء في هذه السورة، لولا أنه مبعوث من عند الله سبحانه، وأن القرآن كلام الله، وأنه فعلاً رسول الله ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

١. النمل: ٧-١٢.

٢. القصص: ٢٩-٣٥.

٣. القصص: ٤٦.

٧. ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن نُّزَكِّيَ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (١).

وفي البين آيات أخرى تتحدث عن بعثته «عليه السلام» بشكل مطلق، دون ذكر لأية تفاصيل، كما في: سورة يونس: ٧٥ / هود: ٩٦-٩٧ / الإسراء: ١٠١ / المؤمنون: ٤٥-٤٦ / غافر: ٢٣-٢٤ / الزخرف: ٤٦ / الدخان: ١٧ / الذاريات: ٣٨ / المزمل: ١٥.

ومن مجموع الآيات يمكننا تقديم التصور التالي لما حدث:

١. خرج موسى «عليه السلام» بأهله من مدين، قاصداً مصر، وكل ما بيّنه القرآن بخصوص سبب هذه الهجرة أو الرحلة أنها جاءت بعد انتهاء المدة المتفق عليها ضمن مهر زواج موسى «عليه السلام» دون ذكر لعلاقة ذلك بموت فرعون، ولا بأي أمر آخر: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ...﴾.

٢. أثناء الليل، ضمن مسار الرحلة، شاهد موسى ناراً على مسافة منه، وكان ذلك بجانب الطور، فاستأنس بذلك، وطلب من أهله البقاء في مكانهم ليذهب لوحده كي يأتيهم بشيء من النار يستدفئون بها، لاسيما أن هذه المنطقة معروفة حتى الآن ببرودتها الشديدة، والثلوج تتراكم عليها في بعض فترات الشتاء، أو لعله يجد أحداً عند النار بحيث يدلّه على الطريق، والمسافر -عموماً- يأنس بالنار في الصحراء الموحشة ليلاً، لاسيما وأنّ من عادة أهل الصحراء أن يوقدوا النار لجلب الضيوف وإرشادهم: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى﴾.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِّنَ السَّمَاءِ فَكَيْفَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِنِّي جَارٍ لَّكُمْ مِّنَ النَّارِ لَمَنَاعًا ۖ فَانْصَبْ عَلَىٰهَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ نهارًا وَليلًا وَسَبِّحْهُ هُمْلًا وَكَأَن تَمُرُّ عَلَىٰ حَبْلٍ مَُّنسُوجٍ ۚ﴾

وهذا يعني أن موسى «عليه السلام» قد تاه عن الطريق، فهو لم يغادر مدين إلى مصر منذ سنوات، ومن ثم يلزمه الاهتداء في سيره بمن لهم دراية بالطرق، كما كان يشعر -وأهله معه- بالبرد في جوف الليل، ولربما هذا التيه جاء بتدبير إلهي كي يصل حيث ذلك الطور ويرى النار فيقصدوها.

٣. ذهب موسى «عليه السلام» إلى حيث النار، في الوادي المقدس، وقداسته بسبب اختياره ليكون موضع الخطاب الإلهي لموسى من أجل تكليفه بالرسالة، قال العلامة الطباطبائي: (تقدّس الوادي إنما هو لكونه حظيرة لقرب و موطن الحضور و المناجاة فيثول معنى الآية إلى مثل قولنا نودي يا موسى ها أنا ذا ربك وأنت بمحضر مني وقد تقدّس الوادي بذلك، فالتزم شرط الأدب و اخلع نعليك. و على هذا النحو يُقدّس ما يُقدّس من الأمكنة والأزمنة كالكعبة المشرفة والمسجد الحرام وسائر المساجد والمشاهد المحترمة في الإسلام والأعياد والأيام المتبركة، فإنما ذلك قدس وشرف اكتسبته بالانتساب إلى واقعة شريفة وقعت فيها، أو نسك وعبادة مقدسة شرّعت فيها، وإلا فلا تفاضل بين أجزاء المكان ولا بين أجزاء الزمان)^(١).

وكانت الشجرة والنار المشتعلة فيها بالجانب أو الشاطئ الأيمن من الطور، في البقعة المباركة من هذا الجانب/الشاطئ. ومباركة البقعة بسبب تشرفها بالتكليم الإلهي، فسمع من خلالها النداء الإلهي:

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ﴾

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ٧٣.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ...﴾.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

المسألة الأولى هنا تتعلق بتحديد موضع النداء قال العلامة ابن عاشور: (ووصف الشاطيء بالأيمن - إن حمل الأيمن على أنه ضد الأيسر - فهو أيمن باعتبار أنه واقع على يمين المستقبل القبلة، على طريقة العرب من جعل القبلة هي الجهة الأصلية لضبط الواقع، وهم ينعتون الجهات باليمين واليسار يريدون هذا المعنى... على ذلك جرى اصطلاح المسلمين في تحديد المواقع الجغرافية ومواقع الأراضين، فيكون الأيمن يعني الغربي للجبل، أي جهة مغرب الشمس من الطور. ألا ترى أنهم سمّوا اليمين يَمِناً لأنه على يمين المستقبل باب الكعبة، وسمّوا الشام شاماً لأنه على شام المستقبل لبابها، أي على شماله، فاعتبروا استقبال الكعبة، وهذا هو الملائم لقوله الآتي ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾^(١). وأما جعله بمعنى الأيمن لموسى فلا يستقيم مع قوله «تعالى» ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾^(٢) فإنه لم يَجْرُ ذكر لموسى هناك. وإن حمل على أنه تفضيل، من اليمين، وهو البركة، فهو كوصفه بالمقدس في سورة النازعات: ١٦ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٣)).

١. القصص: ٤٤.

٢. طه: ٨٠.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١١٣.

وأما كلمة ﴿طَوَى﴾ التي نجدها في الآية ١٢ من سورة طه، وفي الآية ١٦ من سورة النازعات، فقد اختلف في المراد منها، وذكر العلامة ابن عاشور ما قيل فيها:

١. اسم لذلك المكان.

وأيد العلامة الطباطبائي هذا القول، قال: (طوى اسم لواد بطور وهو الذي سمّاه الله «سبحانه» بالواد المقدس)^(١).

٢. هو اسم مصدر مثل هدى، وصف بالمصدر بمعنى اسم المفعول، أي طواه موسى بالسير في تلك الليلة، كأنه قيل له: إنك بالواد المقدس الذي طويته سيرا، فيكون المعنى تعيين أنه هو ذلك الواد. وأحسن منه على هذا الوجه أن يقال هو أمر لموسى بأن يطوي الوادي ويصعد إلى أعلاه لتلقي الوحي.

٣. إن موسى صعد أعلى الوادي.

٤. هو بمعنى المقدس تقديسين، لأن الطي هو جعل الثوب على شقين. ويجيء على هذا الوجه أن تجعل التثنية كناية عن التكرير والتضعيف مثل ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾^(٢). فالمعنى: المقدس تقديساً شديداً. فاسم المصدر مفعول مطلق مبين للعدد، أي المقدس تقديساً مضاعفاً.

٥. وهو رأي ابن عاشور: اسم لصنف من الأودية يكون ضيقاً بمنزلة الثوب المطوي أو غائراً كالبر المطوية، والبر تسمى طويّاً. وسُمّي واد بظاهر مكة (ذا طوى) بتثليث الطاء، وهو مكان يسنّ للحاج أو المعتمر القادم إلى مكة أن يغتسل عنده^(٣).

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ٧٣.

٢. الملك: ٤.

٣. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١٩٨.

المسألة الثانية المطروحة هنا تتعلق بطبيعة هذا الكلام الصادر من الشجرة، وفي ذلك قال العلامة الطباطبائي: (كلام الله «سبحانه» لم يكن قائماً بها) الشجرة (كقيام الكلام بالمتكلم منّا) من خلال حنجرة ورثتين ولسان وهواء وغير ذلك (فلم تكن إلا حجاباً احتجب «سبحانه» به، فكلمه من وراءه بما يليق بساحة قدسه من معنى الاحتجاب وهو على كل شيء محيط، قال «تعالى»: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾^(١)).

وخطأ العلامة الطباطبائي من قال بأن هذا التكليم أعلى منازل الأنبياء «عليه السلام»، لأنه سماع لكلام الله «سبحانه» من غير واسطة ومبلغ، وذلك أنه كان كلاماً من وراء حجاب، والحجاب واسطة. كما أنّ ظاهر قوله «تعالى» ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ أنّ أعلى التكليم هو النوع الأول من الأنواع الثلاثة المذكورة في الآية الشريفة، وهو الوحي من غير واسطة حجاب ومن غير رسول مبلغ كجبريل «عليه السلام»^(٢).

من جهة أخرى بين العلامة فضل الله أن النوع الأول من التكليم الإلهي هو ما يكون بمثابة الإلهام الروحي والفكري والشعوري، قال: (كيف يكلم الله البشر؟ هل كما يكلم البشر بعضهم بعضاً، أم بأسلوب يختلف عن ذلك؟ وإذا كنا نتحدث عن كلامه، فإننا لا نتحدث عن أصوات تصدر عنه كما تصدر عن خلقه، لأن ذلك من شؤون التجسيم الذي لا نقول به، بل الظاهر أنّ الله يخلق الكلام كما يخلق العباد، ليعبر به عن المضمون الفكري والعملي الذي يلتزمه الناس في حياتهم. ﴿وَمَا

١. الشورى: ٥١.

٢. الطباطبائي: الميزان، ج ١٦، ص ٣٢.

كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ»، بطريقة المواجهة المباشرة، لأنَّ الرؤية التي تفرضها تلك الطريقة غير ممكنة، ولكن هناك طريقة أخرى لا يكون الكلام فيها ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾، عبر ما يوحي به إلى الناس بشكلٍ مباشرٍ مما يلقيه في نفوسهم ويثيره في وجدانهم، مما يشبه الإلهام الروحي والفكري والشعوري، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، في ما يُصدره الله من كلام يلقيه إلى بعض عباده الذين يقفون في موقع من الأرض، ولا يرون المتكلم لوجود حجابٍ معنويٍّ يفصلهم عنه ويمنعهم من رؤيته، على نحو الحجاب الدَّائِي، كما في كلام الله لموسى «عليه السلام» في الطور الذي عبَّر عنه الله بقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، ولعلَّ اختصاص موسى «عليه السلام» بصفة كليم الله، كما حدَّثنا الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ناشئ من أنَّه الوحيد الذي حدَّثه الله بشكلٍ مباشر بهذه الطريقة. وقيل: إنَّه من هذا الباب ما أُوحي إلى الأنبياء في مناماتهم، وهو غير واضح من خلال استعمال كلمة الوحي بالإلهام في القرآن في الإيحاء إلى التحل ونحوها، وليس من الواضح أن ما يأتي في المنام هو من هذا القبيل، بل الوارد في ذلك أن يأتيه آتٍ من ملك أو غيره ليحدِّثه كما ورد في ما يأخذ رسول الله من السبات إذا أتاه جبريل في النوم... ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ من الملائكة، فيبلغ النَّبِيَّ وحي الله في رسالته، وربَّما كان المراد من الرَّسول هو النَّبِيَّ، بلحاظ إطلاق هذه الكلمة عليه في القرآن، وعدم إطلاقها على الملائكة، ويكون مثل هذا تكليماً للبشر، باعتبار أنَّه يتضمَّن خطاباً لهم وحديثاً معهم بشكلٍ غير مباشر، في ما يريد أن يلقيه إليهم من أوامر ونواهٍ وتعاليم، وبذلك يكون المراد من الوحي، ما يحصل بالإلهام أو بواسطة الملائكة، لكثرة إطلاقه في القرآن على ذلك، ولكن قد ينافي في ذلك ما جاء

في الفقرة التالية: ﴿فَيُوحَىٰ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾، حيث يتحمل الرسول مسألة الوحي، بينما يتحمل النبي مسألة التبليغ، لأنَّ دوره هو دور المتلقِّي للوحي^(١).

المسألة الثالثة تتعلق بما جاء في الآية الأخيرة ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهي تتضمن عبارة قد تُرشد إلى حضور ملائكي في تلك الأجواء المهيبة والخاصة بالمبعث وتكليم الله «سبحانه» لموسى «عليه السلام»، وهو ما قد يلتقي مع ما جاء في وصف التوراة للحدث - كما مرَّ معنا- إذ تقول: (وَوَهَبَ لَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ بِلَهَيْبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ غُلَيْقَةٍ).

ولكن اختلف مفسرو القرآن الكريم في دلالة الآية السابقة على ذلك، قال العلامة الطباطبائي: (المراد بالمباركة إعطاء الخير الكثير. يقال: باركه، وبارك عليه، وبارك فيه، أي ألبسه الخير الكثير وحباه به، وقد وقع في سورة طه في هذا الموضع من القصة قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ١٣﴾. ويُستأنس منه أنَّ المراد بمن حول النار موسى، أو هو ممن حول النار) أي أحد الذين هم حول النار.

ثم ذكر العلامة الطباطبائي بعض الآراء الخاصة بتأويل المراد بمن في النار، وهي:

(أ) مَنْ ظهر سلطانه وقدرته في النار. فإنَّ التكليم كان من الشجرة وقد أحاطت بها النار، وعلى هذا فالمعنى: تبارك مَنْ تجلَّى لك بكلامه من النار وبارك فيك، ويكون قوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنزيهاً له من أن يكون جسماً أو جسمانياً.

(ب) الملائكة الحاضرون فيها، كما أن المراد بمن حولها موسى «عليه السلام».

١. فضل الله: من وحي القرآن، ج ٢٠، ص ٢٠١.

(ج) من في النار: موسى «عليه السلام»، ومن حولها: الملائكة.
 (د) في الكلام تقدير، والأصل: (بورك مَنْ في المكان الذي فيه النار) وهو البقعة المباركة التي كانت فيها الشجرة (ومن فيها) وهو موسى (وحولها) وهي الأرض المقدسة التي هي الشامات، (ومن حولها) وهم الأنبياء القاطنون فيها من آل إبراهيم وبني إسرائيل.
 (هـ) من في النار: نور الله تعالى، ومن حولها: موسى.
 (و) من في النار: الشجرة، فإنها كانت محاطة بالنار، ومن حولها: الملائكة المسبحون.
 ثم قال: (وأكثر هذه الوجوه لا يخلو من تحكّم ظاهر)^(١) أي تأويلات بلا دليل ولا قرينة مؤكدة يطمأن إليها.

٤. النداء الإلهي - وبالترتيب الآتي بحسب الظاهر - تضمن ما يلي:

- (أ) ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.
 ﴿يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ... إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.
 ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
 (ب) ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾.
 (ج) ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾.
 (د) ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
 (هـ) ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.
 (و) ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾﴾.

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٥، ص ٣٤٣.

(ز) ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ ٢٣ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾

(ح) ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ﴾ (١) بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ ٢٦ ﴿لُئَلَّيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ٢٧ ﴿٢٨﴾

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

(ط) ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ٢٩ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿٣٠﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿٣١﴾

﴿أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٣٢ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

ي) ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ٢٩ هَارُونَ أَخِي ٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ٣٦ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٧﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٨ وَبَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ٣٩ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ٤٠﴾.

ك) ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ٤١﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ٤٢﴾.

﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ٤٣ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٤ أَن أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٤٥﴾.

٥. تضمّن الحوار الآتي الوارد في سورة طه، أصول الإيمان الثلاثة، وهي التوحيد والنبوة والمعاد، كما تضمّن الأمر بالعمل الصالح وعبادته عبادته الله «سبحانه»: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ١٥﴾. قال العلامة الطباطبائي: (فتمّت بذلك أصول الدين وفروعه في ثلاث آيات) (١).

٦. تفاجأ موسى «عليه السلام» بعدة أمور:

١. الطباطبائي: الميزان، ج ١٤، ص ١٤٠.

(١) لم تكن النار كما تصوّرناها حين شاهدها من بعيد.

(٢) سماع النداء الإلهي ومضمونه.

(٣) انقلاب العصا إلى حية تسعى.

(٤) تحوّل لون يده إلى اللون الأبيض.

(٥) تكليفه بالرسالة، ودعوة فرعون وقومه، وتخليص بني إسرائيل من طغيانه.

٧. بعد النداء الإلهي لموسى، سُئِلَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾؟ ولم يكن السؤال للاستفهام وهو «سبحانه» العليم بكل شيء، بل كان مقدمة لبيان الآية التي سيؤيّد بها «عليه السلام»، وهي آية العصا.. وجاء الجواب: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

قال عدد من المفسرين أن الإطناب والإطالة في ذكر أوصاف العصا وخواصها يعود إلى طبيعة المقام، فهو مقام المناجاة والمسارّة مع المحبوب، ومكلمة المحبوب لذينة، ولذا ذُكِرَ أولاً أنه عصاه ليرتّب عليه منافعها العامة.

بينما اعتبر العلامة الطباطبائي أن السؤال لم يكن بداعي الاطلاع على حقيقة ما كان بيد موسى، بل بداعي أن يذكر ما لها من الأوصاف والخواص، وهذا ما فهمه «عليه السلام» من السؤال، لذا أخذ يذكر اسمها ثم أوصافها وخواصها، وهذه طريق معمولة فيما إذا سُئِلَ أحدٌ عن أمر واضح لا يُتَوَقَّع الجهل به.

ويمكن أن يقال أن السؤال كان بداعي أن ينظر موسى إلى ما بيده قبل وقوع الآية، فيتأكّد بنفسه ويُقرّر موسى في البداية أنها عصا، وأنه لا يمسك بحية أو كائن حي، كأن

يكون قد غفل في لحظة الانبهار بالحدث وتسلفت حية إلى قبضته أو أنها أخذها بالخطأ بدلاً من العصا... وعندما يتأكد من أنها عصا يُكمل ويبيّن مهامها كعلامة على يقينه بأنه هي عصاه التي اعتد عليها، وليست عصا أخرى، ثم جرى ما جرى، فخاف ثم تبين له أنها آية إلهية، فكان هذا مدعاة لتصديقه بوقوع آية حقيقية، وليس حدثاً عابراً نتيجة غفلة أو خطأ في التصرف.

ثم جاء الأمر الإلهي: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ فاستجاب للأمر ﴿فَأَلْقَاهَا﴾... وكانت المفاجأة المدهشة إذ تحوّل الجماد إلى كائن حي متحرك ومخيف بقدرته على الحركة السريعة وإلحاق الضرر بالفريسة إلى حدّ الموت ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ فهرب منها خوفاً ولم يلتفت إلى الوراء ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ أي كأنها حية ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فجاءه النداء الإلهي من جديد يطمئنه ويعطيه الأمان ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ ويأمره بأن يأخذ العصا المنقلبة، إذ أنها ستعود إلى حالتها السابقة ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾.

قل أن الجان عبارة عن الحية الصغيرة، وهناك نوع من الحيات يعيش في شمال أفريقيا يُعرف بهذا الاسم، من فصيلة الأحناش، وتعرف باسم الثعابين الناعمة، والاسم العلمي Coronella، وهي غير ضارة [انظر اللوحة رقم ٩٧]. ومن المحتمل أن تكون هي المرادة في الآية الشريفة لأن الله «سبحانه» لم يُرد أن يلحق الضرر بموسى بتحويل العصا فجأة إلى حية سامّة. وأما لاحقاً، لما ذهب إلى فرعون فإن العصا تحولت إلى كائن خطير مخيف ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(١)، حيث أن موسى أقدم على الأمر وهو مُدرك لما سيقع، فكان على حذر منها، وتعامل مع العصا كما ينبغي



اللوحة رقم ٩٧ : صورة حقيقية ثعبان كورونيلا (الجان)

بإلقائها بعيداً باتجاه عصي وحبال السحرة. ويمكن أن ينطبق نفس هذا التأويل أيضاً فيما لو قلنا بأن المراد من الجان: الحية الصغيرة بغض النظر عن نوعها.

وقد أثار البعض إشكالاً بهذا الخصوص، بينه السيد المرتضى في كتاب (الغرر والدرر) وردّ عليه، وهذا بيانه، قال: (فإن سأل سائل فقال: ما تقولون في قوله «تعالى»: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وقوله: ﴿كَانَتْهَا جَانٌّ﴾، والشعبان هي الحية العظيمة الخلقة، والجان: الصغير من الحيات؟ وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام؟

والجواب: أول ما نقوله أن الحالتين مختلفتان، فحالة كونها كالجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مسير موسى «عليه السلام» إلى فرعون، وحالة كونها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة، والتلاوة تدل على ذلك).

ثم نقل الشريف المرتضى رأيين من آراء المفسرين في سبب الاختلاف في وصف ما انقلبت إليه العصا، والوجهان هما:

١/ أنه «تعالى» إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها، وشبَّهها في الآية الأخرى بالجبان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها، فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجبان وسرعة حركته، وهذا أبهر في باب الاعجاز وأبلغ في خرق العادة.

٢/ أنه «تعالى» لم يُرد بذكر الجبان في الآية الأخرى الحية، وإنما أراد أحد الجن، فكأنه «تعالى» أخبر بأن العصا صارت ثعباناً في الحلقة وعظم الجسم، وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزعها لمن شاهدها.

ثم أضاف وجهاً آخر من عنده، قال: (العصا لما انقلبت حية صارت أولاً بصفة الجبان وعلى صورته، ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة)^(١).

وعلى العموم، فإنَّ ردّة الفعل التي صدرت من موسى ردّة فعل طبيعية غرائزية لا تدل على الجبن، بل هي مقدّمة لحماية الإنسان نفسه، والحفاظ عليها، والدفاع عنها، أو عن شيء ثمين، أو عمّن يعنيه أمره. ومن خلال الخوف يستطيع الإنسان أن يتخذ القرار المناسب للظرف الذي يمرّ به، ومن دون الخوف إما أن يتصرّف بتهوّر، أو لا يتخذ أي موقف مطلقاً، وهذا ليس في صالحه، وقد يعرّضه لخطر كبير.

ثم إن هذا الخوف هو الذي يدفع الغدة الكظرية الواقعة فوق الكلى لإفراز هرمون الأدرينالين Adrenaline المعروف باسم هرمون الخوف، استجابة للإجهاد الجسدي

١. المرتضى: الغرر والدرر، ج ١، ص ١٨ - ١٩.

أو النفسي، أي عند التعرض لأي حادث، أو عند الخوف والتوتر، حيث يقوم هرمون الأدرينالين في مبدأ عمله على تحفيز خطوط الدفاع الأولى في الجسم عند التعرض لمواقف خطيرة، فعند محاولة الهروب من كلب مسعور أو سيارة مسرعة على سبيل المثال، يفرز نخاع الغدة الكظرية كمية كبيرة من الهرمون، فترتفع نسبته في الدم، ليؤثر على أعضاء الجسم المختلفة، كل على حدة، بحيث تعمل جميعها لهدف تمكين الإنسان من الهروب من هذا الكلب أو تلك السيارة، وإعطائه قوة وقدرة ودفعة أكبر لتحقيق ذلك.

وخلاصة القول أن وجود الخوف عند الإنسان نعمة ورحمة من الخالق تعالى، وضرورة حياتية حاسمة في المواقف الصعبة والشديدة، ولذا لم يستثن الله «عز وجل» الأنبياء «عليه السلام» من الخوف الطبيعي، فقد خاف إبراهيم من هوية الملائكة الذين زاروه في هيئة بشرية: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾^(١)، وخاف يعقوب من أن يأكل الذئب ابنه يوسف: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(٢)، وخاف زكريا مما سيجري على الجماعة المؤمنة في حال وفاته: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾^(٣)، وبعد أن قتل موسى «عليه السلام» رجلاً من أعوان الظلمة وصف الله حالته قائلاً: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾^(٤).

١. هود: ٧٠.

٢. يوسف: ١٣.

٣. مريم: ٥.

٤. القصص: ١٨.

ولما حُدِّر من البقاء في المدينة وصف الله «تعالى» حالته قائلاً: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وهكذا عبّر موسى «عليه السلام» عن خوفه من القتل على يد فرعون وأعوانه حين أمره الله «تعالى» أن يذهب إليهم ليدعوهم إلى دينه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٢).

بل إن الله شرّع الصلاة بطريقة خاصة عندما ينتاب المؤمنين الخوف في ظروف استثنائية كتربص الأعداء بهم، ولم يُعَب عليهم ذلك، قال «تعالى»: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٣). ثم جاءت الآية اللاحقة وبيّنت كيف تُقام هذه الصلاة مع حمل السلاح وغير ذلك من التفاصيل.

وفي القرآن الكريم حديث عن الخوف تارة، وعن الخشية تارة أخرى، وقيل أن الخوف يكون من الفعل، كالخوف من القتل، أما الخشية فتكون من الفاعل، كأن تخشى فلاناً من الناس.

ففي قوله «تعالى»: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ارتبط الوصف بالقتل، ولذا استعملت كلمة الخوف، أما حين كان الأمر مرتبطاً بالفاعل فقد استعملت كلمة الخشية. قال «تعالى» في وصف جماعة من المسلمين: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾^(٤).

١. القصص: ٢١.

٢. القصص: ٣٣.

٣. النساء: ١٠١.

٤. النساء: ٧٧.

ولو صحّ كون هذا هو الفارق في استعمال الكلمتين، فلا بد حينئذ من تأويل المورد التالي -ولعله الوحيد- المتعارض مع ما قلناه، وهو قوله «تعالى»: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١)، ولعل السبب يعود إلى أن الخوف هنا ليس من الله وهو الرحمن الرحيم، بل الخوف من العقوبة التي ينالها الإنسان نتيجة عصيانه وجرائمه، وبهذا التأويل لن تكون الآية مخالفة للقاعدة التي ذكرناها.

ثم إن الخوف يمكن أن يكون أمراً سلبياً وذلك في حالات، من أهمها:

(١) أن يتحول الخوف إلى جُبْن، فالجُبْن في المعنى اللغوي هو تَهَيُّبُ الإقدام على كل شيء، أو على ما لا يستحق، وهذا مذموم، وموسى «عليه السلام» لم يكن جبناً، والدليل على ذلك موجود في نفس الآيات، حيث ذكّرت كيف أنه تقدّم للدفاع عن المظلوم في الاعتداء الثاني بكل شجاعة وإقدام، وهذا ليس من فعل الإنسان الجبان.

(٢) أن يكون الخوف مرتبطاً بالخجل الشديد، والذي يمثّل حالةً سلبية تدفع الإنسان إلى تجنّب التفاعل الاجتماعي السليم في المواقف المختلفة.

(٣) أن يكون الخوف مما هو إيجابي، أو من شيء وهمي.. فالطفل قد يُخَوَّف من الطبيب كأسلوب تربوي خاطيء، ليبقى هذا الخوف في نفسه وإن كُبر.. هذا خوف سلبي. وشبيه بذلك ما تقوم به الكثير من وسائل الإعلام العالمية في هذا العصر بالتخويف من الإسلام والمسلمين (الإسلاموفوبيا)، حتى صارت بعض المظاهر الإسلامية المتعلقة بالحرية الشخصية على الأقل -كما هو حال اللباس الشرعي للمرأة- مصدراً للخوف والقلق.

٨. جاء الأمر بإدخال اليد في الجيب، بحيث تصل اليد إلى ما تحت العضد (الجناح). وليس المقصود من الجيب هو الجيب الجانبي، حيث كان الجيب يُخاط في الجانب الداخلي من الثوب، لأنه الموضع الأكثر أمناً مقارنة بالجيب الجانبي، وتصل اليد حينئذ لهذا الجيب من خلال فتحة العنق في الثوب، وهذا الأمر متبع إلى هذا اليوم في الجلالية الرجالية الصعيدية، وفي الصاية العراقية [انظر اللوحة رقم ٩٨].

وخصوصية هذه الآية التي أرسل بها موسى «عليه السلام» لفرعون أنها لربما تأتي موائمة لحرص فرعون على الظهور متزيناً بتغيير لون بشرته المائلة إلى السمرة وتذهيبها^(١)، طلباً للجمال وإبداءً لعلو مقامه وألوهيته. فجاء تغيير لون بشرة موسى «عليه السلام» من دون مساحيق زينة، ومن غير سوء، أي لم يكن تحول اللون تحولاً غير محبب بحيث يبدو كمن أصيب بمرض البهاق مثلاً [انظر اللوحة رقم ٩٩].

أو لأنها خرجت مضيئة تتلأأ كأنها فلقة قمر، وهذا مخالف لطبيعة البشرة عند الإنسان، فدل ذلك على أنه هذا الأمر الخارق آية إلهية. وفي بعض الشروحات التفسيرية لدى اليهود كمدراش الخروج لرباح- أن تغيير لون يده جاء بمثابة تأديب إلهي لموسى! ففي الحوار الدائر بينه وبين الله، أبدى موسى تشككه في قبول بني إسرائيل الإيمان برسالته وأنه سيكون قادراً على تخليصهم من نير العبودية، ولذا ابتلاه الله في تلك

١. كان التذهيب للدلالة على الألوهية. يقول سلامة موسى في كتابه [مصر أصل الحضارة] ص ٣٧: (تقديس الذهب عقيدة فرعونية، فهم كانوا أبناء الشمس أي أبناء رع، وكان يجري في عروقهم سائل الذهب الذي ورثوه عن رع... وهذه القداسة التي نُسبت إلى الذهب أيام الفراعنة قد انحدرت إلى الأمم القديمة، بل بقيت منها أثاراً حتى في القرون الوسطى حين اختلط البحث عن إكسير الحياة بالبحث عن إحالة المعادن الخسيسة إلى معادن شريفة والذهب بالطبع في رأسها، وهذا الاختلاط يؤيد قدم العقيدة في قداسة الذهب وأنه معدن الآلهة والسبيل إلى الخلود).



اللوحة رقم ٩٨ : الصاية العراقية



اللوحة رقم ٩٩ : البهاق

اللحظة بالبهاق، فقد كانت إصابة الإنسان بهذا المرض يعدّ في ذلك الوقت من أنواع العقاب الإلهي للإنسان العاصي، فهي إذاً رسالة توبيخية لموسى لئلا يكرر مثل هذه التشكيكات مستقبلاً. ويضيف المدرّش أن مما يؤيد ذلك عدم إتيان موسى بهذه الآية أمام فرعون وقومه فيما بعد، بينما جاء بآية العصا وانقلابها إلى ثعبان، وآية أخرى مذكورة في التوراة وهي آية انقلاب الماء دماً^(١).

وقد أضاف مدرّش (ليكه توف) إلى آية اليد، آية العصا أيضاً كآية لتأديب موسى، معتبراً أن آية تحول الماء دماً هي الوحيدة التي كان من المفترض أن تظهر علناً في حالة عدم تصديق موسى. فالحية التي ظهرت عند انقلاب العصا بمثابة تذكير لموسى بقصة إبليس الذي أغوى آدم حين ظهر له بصورة حية، وقد أراد الله أن ينبه موسى إلى عدم تكرار الخطأ الذي ارتكبه. ولعل مجيء قوله «تعالى»: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ للدلالة على بطلان هذا الادعاء المدرّشي، وأن الأمر لم يكن توبيخاً ولا آية شخصية له، كما لم يتغير لون يده كما يحدث للمصابين بالبهاق، بل كان التغير بصورة غير مرضية: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.

المسألة الثالثة التي يمكن طرحها هنا هو سبب تغيير التعبير عن الأمر الصادر بذلك، والمفروض أنه تعبير عن أمر واحد: فنجد في سورة القصص: ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ...﴾، وفي سورة النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ...﴾.

١. يؤكد القرآن الكريم على أن موسى أتى بآية اليد أمام فرعون والملأ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ... فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠٤-١٠٨.

قال الدكتور فاضل السامرائي في بيان سبب هذا التغيّر في التعبير: (لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل [سلك] الذي يستعمل كثيرا في سلوك السبل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكاً، قال «تعالى»: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۖ لِيَتَسْلَكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾^(١)، ذلك لأنه تردّد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدين، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيره بأهله بعد قضاء الأجل بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئاً: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ فحسّن ذكر السلوك في القصص دون النمل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الفعل [دخل] ومشتقاته تكرر خمس مرات [الآيات ١٢، ١٨، ١٩، ٣٤، ٤٤] في النمل في حين لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في القصص، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ومن ناحية أخرى إن الإدخال أخص من السلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك، لأن السلك أو السلوك قد يكون إدخالاً وغير إدخال، تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان، أي: سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك. فإن السلك قد يكون سهلاً ميسوراً،

قال «تعالى» في النحل: ﴿فَاسْأَلِيكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا﴾^(١)، فانظر كيف قال ﴿ذُلًّا﴾ ليدل على سهولته ويسره، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢). وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟ فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب. لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله: ﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ ومهمة التبليغ إلى فرعون وقومه. وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف، وأن يوضع الإدخال في مقام الأمن والثقة.

وناسب أن يوضع الإدخال وهو أخص من السلوك مع (الشهاب القبس) الذي هو أخص من الجذوة، وأن يوضع السلوك وهو أعم من الإدخال مع الجذوة من النار التي هي أعم من الشهاب القبس. فكل لفظة وضعت في مكانها الملائم لها تماماً. قال في القصص: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ولم يذكر مثل ذلك في النمل. و [الرهب] هو الخوف، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردّد في القصة، ومناسب لجو التفصيل فيها بخلاف ما في النمل^(٣).

المسألة الرابعة هي إضافة ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ في سورة القصص: ﴿أَسْلُوكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ...﴾ مقارنة بما جاء في سورة طه: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ...﴾. وقد اختلف أهل التحقيق والتفسير والتأويل في ذلك، ومن آرائهم:

١. النحل: ٦٩.

٢. الزمر: ٢١.

٣. السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص ٨٩-٩١.

أ) هذا الأمر مختلف عن الأمر بوضع اليد في الجيب، وأن المراد بذلك هو أن يجمع يديه على صدره إذا عرضه الخوف عند مشاهدة انقلاب العصا حية ليذهب ما في قلبه من الخوف.

ب) لما ألقى العصا وصارت حية بسط يديه كالمثقي، وهما جناحاه، فقليل له: اضمم إليك جناحك، أي لا تبسط يديك خوفاً من الحية، فإنك آمن من ضررها.

ج) الجملة كناية عن الأمر بالعزم على ما أَرَادَهُ اللهُ «سبحانه» منه، والحث على الجِدِّ في أمر الرسالة، لئلا يمنعه ما يغشاه من الخوف في بعض الأحوال.

د) أنه أمر بأن يأخذ لنفسه سيماء الخاشع المتواضع، فإنَّ من دأب المتكبر المُعْجَب بنفسه أن يفرج بين عضديه وجنبه كالمتمطي في مشيته.

ويبدو لي أن مجيء الأمر بضم الجناح من الرهب بعد الأمر بأن يسلك يده في جيبه، يدل على أن الأمر مرتبط بذلك، ولعله توجيه لموسى «عليه السلام» بأن يقوم بإدخال يده في جيبه بصورة لا توحى باحتمال أنه سيقوم بأمر عدائي يهدد به حياة فرعون، وكأنه سيُخرج سلاحاً ليقْتلَه به، مما قد يُعرِّض موسى للخطر، بل إن المطلوب من موسى أن يسلك يده في جيبه ويخرجها بصورة يكون فيها عضداه مضمومين إلى جسده في هيئة الخاشع الذي لن تتوقع منه مفاجأتك بشيء قد يُلْحِق بك الضرر.

٩. تم الإشارة إلى وجود المزيد من الآيات التي سيرسلها الله «سبحانه» في حال أن فرعون لم يتفاعل مع الرسالة إيجابياً:

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ۖ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۖ﴾.

وهذا يتوافق مع ما جاء في نص سفر الخروج في سياق وصف ما جرى في هذا المشهد: (وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لَا يَدْعُكُمْ تَمْضُونَ وَلَا يَبِيدُ قُوَّةَ) أي ولو استعملتم القوة (فَأَمْدُ يَدَيَّ وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا) أي بالآيات المختلفة كالجراد والقمل والضفادع والدم (وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلِقُكُمْ)^(١).

١٠. بعد أن رأى موسى «عليه السلام» الآيتين، حمّله الله «سبحانه» رسالتين لفرعون، الأولى تخص وضعه وقومه، والأخرى تخص وضع بني إسرائيل. وتم تحديد الأمر تارة لفرعون بصورة شخصية، مع بيان مضمون الدعوة، والصفات السلبية الداعية لذلك، وهي الطغيان والرجس والضلال: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۖ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۖ﴾. وكان المستهدفون من الرسالة أعم من فرعون، مع بيان صفتين سلبيتين عندهم، الظلم وانعدام التقوى: ﴿... أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۖ﴾.

أما الرسالة الأخرى الخاصة ببني إسرائيل فجاءت كالآتي: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۖ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾. ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ﴾.

وحيث أن الضمير جاء هنا بصيغة التثنية، وبعد أن طلب موسى «عليه السلام» أن يكون أخوه مساعداً له في المهمة، وجاءت الموافقة الإلهية على ذلك، لذا في البين احتمالان:

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣: ٢٠.

الأول: أن هذه الرسالة جاءت في موقف آخر، وذلك بعد أن دخل موسى مصر، والتقى بأخيه، وخوطبا من جديد بحمل الرسالة.

الثاني: أنها تنمّة لنفس الحوار في اللقاء الإلهي الأول، ولكن بعد أن بين موسى «عليه السلام» عدداً من المعوّقات التي قد تُفشِل مهمته الرسالية، وطلب مساعدة أخيه وصدور الموافقة الإلهية.

١١. عرض موسى «عليه السلام» عدداً من من المعوّقات التي قد تُفشِل مهمته الرسالية، وهي كالتالي:

(١) قتله ثأراً أو المطالبة بالقصاص منه لقتله الذي كان من عدوّه.

(٢) مشكلة النطق عنده، وقد تحدثنا عنها من قبل.

(٣) احتمال أن ينفع في الحوار ويضيق صدره عن تحمّل أسلوب فرعون التّهكّي، وكلماته الجارحة، وطغيانه، بما يُفسد المهمة الرسالية.

(٤) تهيبه من التجربة الجديدة التي لم يعهدها من قبل، والوقوف أمام طاغوت مجرم فرعون بكل جبروته في ذلك الزمان.

(٥) لربما شعر بالخرج من الموقف أيضاً، إذ أحسن إليه فرعون من قبل حين كان طفلاً وشاباً، واتخذ ولدًا، ومكّنه في الأرض، وتكفّل بتعليمه، وغير ذلك من صور الرعاية.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤).

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٣٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٣٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ (٣٧) يَفْقَهُوا

قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي
أَمْرِي ﴿٣٢﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى
هَارُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾.

كما أرفق ذلك بطلب تكليف أخيه هارون ليكون معيناً له في الرسالة مع بيان ما
يمكن أن يتحقق من خلاهما بخلاف ما لو كُلف بالرسالة منفرداً:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي
أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾.

وجاءت الردود الإلهية معبرة عن تفهّم ذلك، وقبول أعذاره، وإيجاد الحلول المناسبة
لكل مصدر للتخوّف، فأما التخوف والشعور بالحرج وثقل اللسان فيرتفع بقبول طلب
الاستعانة بهارون: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

وأما التخوّف من القتل فمدفوع بالرعاية الإلهية والتأييد بالآيات التي ستخيف
المتربّصين به وتجعلهم يتردّدون ألف مرة قبل الإقدام على الإضرار به:

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ﴾.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ﴾.

ولو قارنا مضمون هذه الآيات مع ما جاء في التوراة حول نفس المشهد، فسنجد التركيز هناك في البداية على إنقاذ بني إسرائيل وليس دعوة فرعون وقومه للإيمان بالرسالة على خلاف ما جاء في القرآن من تأخير ذلك: (وَالآن هُوَذَا صِرَاحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الصَّيْقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، فَالآن هَلُمَّ فَأَرْسِلْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ) ^(١).

ولما بين موسى تهيبه من الأمر، أمره الله «تعالى» بالذهاب إلى بني إسرائيل ودعوتهم للرجوع إلى دين آبائهم: (إِذْهَبْ وَاجْمَعْ شُيُوخَ إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ظَهَرَ لِي قَائِلًا: إِنِّي قَدْ افْتَقَدْتُكُمْ وَمَا صُنِعَ بِكُمْ فِي مِصْرَ. فَقُلْتُ أُصْعِدْكُمْ مِنْ مَدْلَّةِ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضِ تَفِيضُ لَبْنَا وَعَسَلًا) ^(٢).

فإن استجابوا له، فليأخذ شيوخهم ويدخل على فرعون ويطلب منه خلاص بني إسرائيل: («فَإِذَا سَمِعُوا لِقَوْلِكَ، تَدْخُلُ أَنْتَ وَشُيُوخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ وَتَقُولُونَ لَهُ: الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ التَّقَانَا، فَالآن نَمْضِي سَفَرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَدْبَحُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا...») ^(٣).

ثم يبين الله «سبحانه» أنه سيؤيده بالآيات، وحينها سيطلق فرعون سراحهم، فلما تعذر موسى بأنه لا يمتلك برهاناً على مصداقية رسالته، أراه الله الآيتين: (فَأَجَابَ مُوسَى وَقَالَ: «وَلَكِنْ هَا هُمْ لَا يُصَدِّقُونَنِي وَلَا يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، بَلْ يَقُولُونَ: لَمْ يَظْهَرْ

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣: ٩-١٠.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣: ١٦-١٧.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٣: ١٨.

لَكَ الرَّبُّ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا». فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنْبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ. «لِيُيْصِدَّقُوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُ آبَائِهِمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّبُّ أَيْضًا: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِي عُبْكَ». فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا، وَإِذَا يَدُهُ بَرَصَاءٌ مِثْلَ الثَّلَاجِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «رُدَّ يَدَكَ إِلَى عُبْكَ». فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى عُبِّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا مِنْ عُبِّهِ، وَإِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ مِثْلَ جَسَدِهِ. «فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الْآيَةِ الْأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الْآيَةِ الْآخِرَةِ»^(١).

ثم ذكر له أنه سيؤيده بآية الدم: (وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَتَنْتَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنْ النَّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ)^(٢).

أعقب ذلك تقديم موسى عذره الخاص بصعوبة النطق لديه: (فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلَامٍ مُنْذُ أُمِسَ وَلَا أَوَّلٍ مِنْ أُمِسَ، وَلَا مِنْ حِينَ كَلَّمْتُ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَّا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأَعْلَمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»^(٣)).

لم يقتنع موسى بالتأييد الإلهي، وأنه سيخلصه من مشكلة النطق، فقدّم اعتذاره

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ٨-١.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ٩.

٣. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ١٠-١٢.

عن تحمّل المسؤولية مجدداً، فوجهه بالغضب الإلهي، وأخيراً بأن هارون سيكون لسانه الناطق: (فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ». فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللَّادِي أَحَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ»^(١)).

وهنا تختلف السردية التوراتية عن السردية القرآنية، إذ لم يتحدث القرآن الكريم عن الغضب الإلهي على موسى، ويبيّن أنه هو الذي طلب من الله أن يكلف هارون ليعينه في المهمة.

وأما إبداءه التخوّف من أن يُقتل بسبب ما جرى قبل خروجه إلى مدين، فإنّ التوراة تذكر أن هذا جرى في لقاء لاحق تم في مدين بعد أن عاد إليها موسى: (وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِديَانَ: «أَذْهَبْ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ، لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَظْلُبُونَ نَفْسَكَ») حين قتل منهم رجلاً قبل الهجرة إلى مدين (فَأَخَذَ مُوسَى امْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَأَرْكَبَهُمْ عَلَى الْحَمِيرِ وَرَجَعَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ. وَأَخَذَ مُوسَى عَصَا اللَّهِ فِي يَدِهِ)^(٢)، وهو ما لم يتحدث عنه القرآن، بل إن سياق القصة القرآنية يُرشد إلى أن الحوار في هذا الأمر تمّ في نفس اللقاء الأول.

الملاحظة الأخرى عند المقارنة بين السرديتين، أنّ التوراة تركز على أن رسالة موسى هي إخراج بني إسرائيل، بينما غابت تقريباً مسألة دعوة فرعون وقومه إلى المضامين التي ذكرناها من قبل إلا في إطار ظلامه بني إسرائيل. كما أن التوراة تتحدث عن

١. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ١٣-١٦.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ١٩-٢٠.

ثلاثة لقاءات قبيل دخول موسى لمصر، تجزأت فيها المسائل المطروحة، بينما لا نجد في القرآن سوى الحديث عن لقاء واحد شامل لكل الجزئيات السابقة.

ويلاحظ أيضاً أن الوصف القرآني لموقف موسى من حمل الرسالة يتضمّن أسلوباً فيه من خشوع العبودية وأدب الأنبياء ما هو أنسب من التعابير الواردة في التوراة الحاضرة، كما أن (الردود والإجابات) الإلهية المعبر عنها في القرآن الكريم تدلّ على الرأفة بموسى «عليه السلام» والرفق بحاله، وتفهم أسباب خوفه، وتقبل أعذاره، على خلاف النص التوراتي الذي يتحدّث عن غضب الله والرد عليه بأسلوب عنيف: (فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللَّأْوِيُّ أَخَاكَ؟..»).

وأما الحديث عن العقاب الإلهي لموسى بالمرض في الطريق إلى مصر، وارتباط ذلك بجنتان ابنه فلا أثر له في القرآن الكريم.

وهكذا تمّ تحميل موسى «عليه السلام» الرسالة الإلهية، ليقوم بمعية أخيه هارون بهذه المهمة الصعبة والحرجة ومواجهة التحديات المختلفة التي تتطلب العديد من الآيات المادية لإثبات مصداقيتهما، وتركيع الطاغوت للاستجابة للأمر الإلهي بخلاص بني إسرائيل ممّا لحقهم من الظلم.

• الحدث في الروايات الإسلامية:

ننتقل الآن لعرض بعض ما ورد في التراث الإسلامي حول مبعث النبي موسى «عليه السلام»، وكالعادة سنجد من الغرائب والعجائب والتفاصيل غير المسندة مما دسه مسلمة اليهود والمتأثرون بهم والقصاصون.

وسنلاحظ تكرار نسبة المرويّات إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار و(حبر الأمة)

ابن عباس، كما وسنجد ما يشبهها من حيث المضمون مروية في كتبنا ومنسوبة إلى الباقر والصادق «عليه السلام»!

وأفضل تفسير لذلك هو أن الجهات التي أقدمت على اختلاق تلك القصص أو أخذها عن مسلمة اليهود هي ذاتها التي دست هذه المختلقات في كتب الشيعة ونسبتها للإمامين «عليه السلام»، أو أن البعض ممن اطلع عليها سماعاً أو قراءةً من مصادرها، نسبها -لسبب أو لآخر- للإمامين «عليه السلام».

وكان لعصا موسى «عليه السلام» نصيب وافرٌ من مختلقات القصصين ومسلمة أهل الكتاب والزنادقة وأساطيرهم، سواء في نوعها أو أصلها أو شكلها أو اسمها أو قصة حصول موسى «عليه السلام» عليها. وفيما يلي نماذج مما جاء في ذلك:

١. روى الطبري في تاريخه عن ابن اسحاق: (عَمَّنْ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ كَعَبَ الْأَحْبَارُ قَدَمَ مَكَّةَ وَبِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ كَعَبُ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ فَإِنَّهُ عَالِمٌ. سَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَضَعَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ؟ وَسَلُوهُ مَا أَوَّلَ مَا وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ وَمَا أَوَّلَ شَجَرَةٍ غُرِسَتْ فِي الْأَرْضِ؟ فَسُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْهَا فَقَالَ: أَمَّا الشَّيْءُ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ فَهُوَ هَذَا الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ) وهذه وسيلة القصصين ومسلمة اليهود في تمرير أساطيرهم وأخبارهم وذلك بالضرب على الوتر العاطفي عند المسلمين (وأما أَوَّلَ مَا وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَبِرْهُوتَ بِالْيَمَنِ يَرِدُّهُ هَامُ الْكَفَارِ) سبحانه الله! وكأنَّ مصطنع هذا الكلام يريد أن يظهر الله في مظهر الإله القاسي لا الإله الرحمن الرحيم، بحيث أن يكون أَوَّلَ مَا وُضِعَ فِي الْأَرْضِ هُوَ مَكَانُ الْعَذَابِ (وأما أَوَّلَ شَجَرَةٍ غُرِسَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ فَالْعَوْسَجَةُ الَّتِي

اقتطع منها موسى عصاه، فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل. عالم والله^(١).
فكرة هذا الكلام عن كون مصدر العصا أقدم شجرة على الأرض مأخوذة عن
المشناه، ففي كتاب Pirkei Avot פְּרִקֵי אֲבוֹת ما ترجمته أن المشناه أدرجت عصا
موسى ضمن قائمة المخلوقات العشر التي خلقها الله في شفق اليوم السادس، قبل أول
يوم سبت في العالم، ومن ضمنها: فم الأرض، وفم بئر يعقوب، وفم الحمار الذي تكلم
مع بلعام بن بعور، والمّن، وقوس قزح، ودودة الشامير^(٢) التي وظفها سليمان لقطع
الحجارة الصلدة الكبيرة^(٣) [انظر اللوحة رقم ١٠٠].

٢. روى المجلسي في بحار الأنوار عن عبد الله بن سنان قال: (سمعت أبا عبد الله
«عليه السلام» يقول: كانت عصا موسى قضيب آس^(٤) من الجنة أتاه به جبرئيل لما
توجه تلقاء مدين)^(٥) [انظر اللوحة رقم ١٠١].

٣. قال السيد ابن طاووس: (رأيت في تفسير منسوب إلى الباقر «عليه السلام» كانت
عصا موسى هي عصا آدم «عليه السلام» بلغنا - والله أعلم - أنه هبط بها من الجنة،
كانت من عوسج الجنة، وكانت عصا لها شعبتان، وبلغني أنها في فراش شعيب فدخل
موسى فأخذها، فقال له شعيب: لقد كنت عندي أميناً، أخذت العصا بغير أمري،
فقال له موسى: لا، إن العصا لولا أنها كانت لي ما أخذتها، فأقر شعيب ورضي وعرف
أنه لم يأخذها إلا وهو نبي)^(٦).

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٨٣.

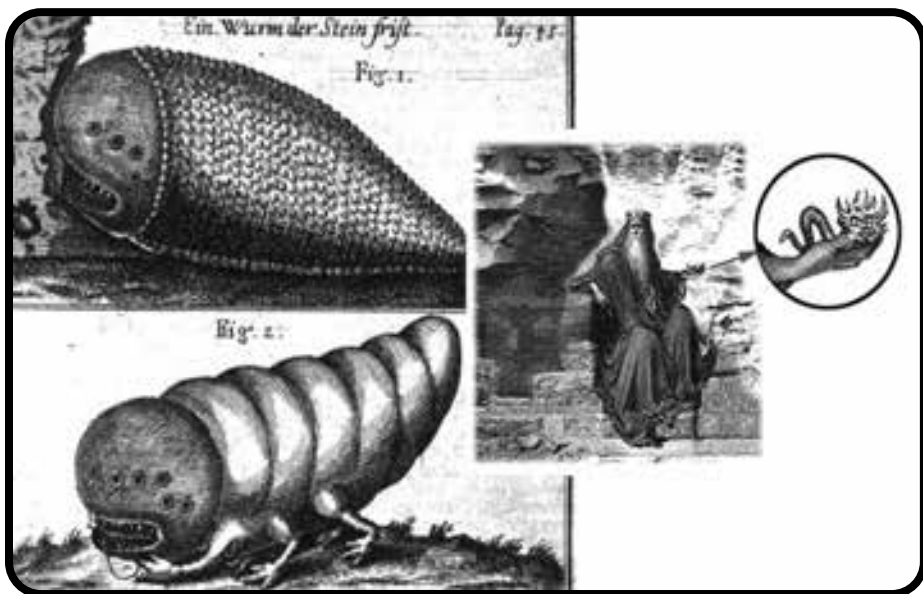
٢. للمزيد حول دودة الشامير انظر كتابي (في عمق التاريخ - الجزء الأول).

3. https://www.sefaria.org/English_Explanation_of_Pirkei_Avot.5.6?lang=bi

٤. شجرة الآس الشائع دائمة الخضرة لها أزهار بيضاء أو وردية عطرية وثمارها لينة سوداء.

٥. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٢.

٦. ابن طاووس: سعد السعود، ص ١٢٣.



اللوحة رقم ١٠٠ : دودة الشامير ، ورسم تخيلي للنبي سليمان يحمل إحداها



اللوحة رقم ١٠١ : شجرة الآس

٤. في تايخ الطبري: (قال ابن عباس: الجارية التي دعتة هي التي تزوج بها، فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيه بعصا، فأتته بعصا، وكانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل، فدفعها إليه، فدخلت الجارية فأخذت العصا، فأتته بها، فلما رآها الشيخ قال لها: لا، أئتيه بغيرها، فألقته، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع في يدها إلا هي، وجعل يرددها، فكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها، فلما رأى ذلك، عمد إليها فأخرجها معه، فرعى بها، ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة. فخرج يتلقى موسى، فلما لقيه قال: أعطني العصا. قال موسى: هي عصاي. فأبى أن يعطيها، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاها، فأتاها ملك يمشي، ففضى بينهما فقال: ضعها في الأرض، فمن حملها فهي له. فعالجها الشيخ فلم يطقها وأخذها موسى بيده فرفعها، فتركها له الشيخ، فرعى له عشر سنين. قال عبد الله بن عباس: كان موسى أحق بالوفاء^(١) أي أحق بالوفاء بهذه الأمانة الإلهية الخاصة بالعصا التي هي في الواقع آية من آيات الله يؤيد بها الأنبياء «عليه السلام». والهدف من هذا التعليل الوارد في نهاية الخبر هي الترويج لقبوله.

٥. في تاريخ الطبري أيضاً: (حدثنا سلمة: فلما قضى موسى الأجل خرج فيما ذكر لي ابن إسحاق عن وهب بن منبه اليماني فيما ذكر له عنه، ومعه غنم له ومعه زند^(٢) له وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاره، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه يتوكأ على عصاه، وكانت كما وُصف لي عن وهب بن منبه ذات شعبتين في رأسها، ومججن في طرفها)^(٣).

١. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٣٨.

٢. الزُّنْدُ والزُّنْدَةُ: خشبتان يستقدح بهما، فالسفل زُنْدَةٌ والأعلى زُنْدٌ.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٣٩. والمِجْجَن: كل شيء مُعْجَج الرأس.

٦. في تفسير علي بن إبراهيم القمي عن الإمام محمد بن علي الباقر «عليه السلام» أنه قال، ضمن رواية طويلة: (... فلما قضى موسى الأجل قال لشعيب: لا بد لي أن أرجع إلى وطني وأمي وأهل بيتي، فمالي عندك؟ فقال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق^(١) فهو لك، فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه فقشر منه بعضه، وترك بعضه وعرزه في وسط مربض الغنم وألقى عليه كساء أبلق، ثم أرسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم في تلك السنة إلا بُلُقًا، فلما حال عليه الحول حمل موسى امرأته وزوّده شعيب من عنده، وساق غنمه، فلما أراد الخروج قال لشعيب: أبغي عصا تكون معي، وكانت عصي الأنبياء عنده، قد ورثها، مجموعة في بيت، فقال له شعيب: ادخل هذا البيت وخذ عصا من بين تلك العصي، فدخل فوثبت عليه عصا نوح وإبراهيم «عليه السلام» وصارت في كفه، فأخرجها، ونظر إليها شعيب فقال: ردّها وخذ غيرها، فردّها لياخذ غيرها، فوثبت إليه تلك بعينها، فردّها، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما رأى شعيب ذلك قال له: اذهب فقد خَصَّك الله بها...^(٢).

٧. ودخل الثعلبي على الخط، فروى لنا تفاصيل أكثر عن العصا وصفاتها مما ينافس مخيلة كتاب قصص الإثارة والخيال المعاصرين، في مثل هاري بوتر Harry Potter وسيد الخواتم The Lord of the Rings! قال: (واختلف في اسمها، فقال ابن جبير: اسمها ما شاء الله) وفي نسخة [ماسا] (وقال مقاتل بن سليمان: اسمها نفعة، وقال ابن حبان: اسمها غياث، وقال آخرون اسمها عُليق)^(٣).

١. أبلق: في لونه سواد وبياض.

٢. القمي: تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣٩.

٣. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٥٨.

ثم أضاف: (قال أهل العلم بأخبار الماضين: كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أصل الشعبتين، وسان حديد في أسفلها، فكان موسى إذا دخل مفازة ليلاً ولم يكن قمر، تُضئ شعبتاها كالشعبتين من نور) وفي نسخة [نار] (تضيئان له مدّ البصر، وكان إذا أعوزه الماء دلّاهما في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو، فيستقي بها، وإذا احتاج إلى الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل في يومه، وكان إذا انتهى فأكته من الفواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي انتهى موسى فأكتهها وأثمرت له من ساعتها، ويقال: كانت عصا موسى من اللوز، وكان إذا جاع ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت، وكان يأكل منها اللوز، وكان إذا قابل) وفي نسخة [قاتل بها] (عدوّه يظهر على شعبتيها تينان يتقاتلان) وفي نسخة [يتناضلان] (وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى، وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق، وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضربها عليه فانقلب وبدا له فيه طريق منفرج، وكان يشرب أحياناً من إحدى شعبتيها العسل، ومن الأخرى اللبن! وكان إذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك، وكانت تدلّه على الطريق، وكانت تُقاتل أعداءه، وكان إذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيّب ويُطيّب ثوبه، وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تُكلّمه العصا فتقول له: خذ جانب كذا وكذا، ولا تأخذ حيث كذا وكذا. وكان يهشّ بها على غنمه، ويدفع بها السباع عنه والحشرات والحيات، وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلّاعه وكساءه وطعامه وشرابه)^(١).

١. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٥٨-١٥٩.

٨. وبلاستفادة مما جاء في مرويات وهب وكعب الأحبار، مع شيء من الإضافات الخيالية، روى الثعلبي أيضاً الأسطورة التالية: (قال ابن حبان: قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم إليه أغنامه يرعاها: اذهب بهذه الأغنام، فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك، وإن كان الكلاً بها أكثر، فإنّ هناك تنيناً^(١) عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه، فذهب موسى بالأغنام، حتى إذا بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين، فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه، فخلّاهما على ما تريده. ثم نام موسى والأغنام ترعى، وإذا التنين قد جاء، فقامت العصا فحاربتة فقتلته، وأتت فاستلقت إلى جنب موسى وهي دامية، فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولاً، فعلم موسى أنّ في تلك العصا قدرة، وعرف أن لها شأنًا. فهذه مآرب موسى إذا كانت في يده، وأما إذا ألقاها موسى فيرى أنها كانت تنقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين) وفي نسخة [التنانين] (سوداء مدلهمة تدبّ على أربع قوائم^(٢))، فتصير شعبتها فمًا، وفيه اثنا عشر ناباً وضرساً، لها صريف وصرير، يخرج منها لهب النار، وبصير محجنها^(٣) عُرفاً لها، كأمثال النيازك) وفي نسخة [النار] (تلتهب، وعيناها تلمعان كما يلمع البرق، تهبّ منها ريح السموم، فلا تصيب شيئاً إلا أحرقتة، تمرّ بالصخرة مثل الناقة الكوماء^(٤) فتبتلعها حتى أن الصخور في جوفها لتتقعقع^(٥))، وتمرّ بالشجرة فتقصمها بأنيابها، وتحطّمها وتبتلعها،

١. أي الحية العظيمة، وكلمة تنين في اللغة العبرية תַּנִּין تعني تمساح.

٢. وهذا ما يجعل معنى كلمة تنين أقرب إلى التمساح منه إلى الحية العظيمة.

٣. أي جهة الاعوجاج منها.

٤. أي ذات السنام الضخم.

٥. أي تُصدر صوتاً عند اصطدامها ببعضها البعض وتهشّمها.

وجعلت تتلمّظ وتتبرّم كأنها تطلب شيئاً تأكله، وكانت تكون في عِظم الشعبان وفي خِفة الجان، ولين الحية^(١).

هذه التفاصيل الأسطورية للعصا لم تأت من فراغ، بل نجد لها خلفية من التراث اليهودي، مع شيء من التوافق أحياناً والاختلاف والزيادة أحياناً أخرى.

فقد اعتبرت بعض التفاسير التوراتية (مدراشيم) أن التعبير عن هذه العصا بأنها (عصا الله) **מִטֵּה הָאֱלֹהִים** ولفظها بالإنجليزية **Matteh Ha-Elokim** والوارد في الإصحاح الرابع من سفر الخروج والمترجمة إلى العربية في قوله: (وَأَخَذَ مُوسَى عَصَا اللَّهِ فِي يَدِهِ)^(٢)، هذا التعبير يشير إلى أن عصا موسى لم تكن أبداً عصا عادية يستخدمها أحد الرعاة، ولكنها كانت صولجان الله الذي منحه لموسى.

وتضيف بعض هذه الشروحات بأنها كانت عند آدم وانتقلت من يد نبي إلى آخر إلى أن صارت بيد يوسف، ومن ثم صارت بحوزة فرعون، فأخذها يثرون (والد زوجة موسى) إلى مدين حيث زرعها في حديقته، وبينما لم يتمكن أحد من اقتلاعها من الأرض، استطاع موسى أن يقتلعها بعد قراءة حروف الضربات العشر المنقوشة عليها. وفي مشهد شبيه بقصة الملك آرثر والسيف المسحور الذي لا يستطيع أحد أن يقتلعه من الأرض إلا مَنْ يستحق الملّك، نجد في بعض تفاسير الكتاب التناخ ما يماثل ذلك بخصوص عصا موسى. يقول الراي أليعازار في تفسيره أن يثرون اختبر الرجال الذين تقدموا لخطبة ابنته من خلال دعوتهم لاقتلاع العصا من الأرض، وحيث فشلوا ونجح موسى، علم يثرون أن موسى هو الرجل الإلهي المختار ليكون صاحب العصا

١. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٥٩.

٢. الكتاب المقدس: سفر الخروج، الإصحاح ٤: ٢٠.

وزوج ابنته. وفي إحدى التفاسير أن العصا كانت تزن أربعين مجراً؛ مما يجعل حجمها كبيراً جداً، وأنها كانت مصنوعة من الياقوت الأزرق، ونُقش عليها إما اسم الله أو الاسم المختصر للضربات العشر التي ضرب الله بها مصر حين أصرّ فرعون على موقفه من الرسالة، ويذكر مدرّاش تنحوماً أن الله أخبر موسى أنه سيكون قادراً على صنع آية معجزة يرغب بها من خلال هذه العصا.

وذكر بعض المفسرين أنه كانت لتلك العصا دور في جلب السلوى (طائر السمّان) الذي أكله بنو إسرائيل في الصحراء وكذلك نزول المن من السماء، وفي مصدر تفسيري آخر أن موسى استخدم عصاه لقتل الملّكين (سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان)، وصدّ ملاك الموت في نهاية حياته.

وقريب من هذه الأسطورة الأخيرة، نجد في صحيح البخاري ومصادر أخرى الخبر التالي عن أبي هريرة: (أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى «عليه السلام»، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَتْنٍ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»: فلو كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ^(١)).

وهذا الادعاء الأخير الوارد في تفسير التوراة يعني أنه كان بإمكان موسى توظيف العصا ضد الإرادة الإلهية أيضاً، وذلك حين حاول منع الأمر الإلهي بأخذ روحه على يد ملك الموت!

١. البخاري: صحيح البخاري، ح ١٣٣٩.

الأمر الآخر الذي طالته يد القصاصين وأشباههم من قصة مبعث النبي موسى «عليه السلام» ما له علاقة بتفاصيل أحداث الليلة التي كلم الله «سبحانه» فيها موسى «عليه السلام»، سواء في كيفية اللقاء، أو نوع الشجرة التي كان الكلام يصدر من عندها، أو سبب الأمر بخلع النعلين، أو كيفية تحوّل العصا إلى حية، وغير ذلك، وفيما يلي بعض النماذج من هذه القصص.

٩. في منتخب البصائر بإسناده إلى المفضل عن الصادق «عليه السلام» قال: (إنَّ بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة بكربلاء، فأوحى الله إليها: اسكتي ولا تفخري عليها، فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة)^(١).

مرّ معنا أثناء دراسة سيرة المسيح «عليه السلام» روايات مشابهة يجري فيها تغيير للموقع الجغرافي لأحداث سيرة بني إسرائيل وأنبيائهم -وبشكل غير منطقي- إلى العراق، وخاصة الكوفة والنجف وكربلاء، وقد يرجع هذا إلى التنافس بين أهل المدن المختلفة في نسبة الفضائل والكرامات إليها، وهو ما دفع ببعض المحققين إلى القول بأن الأصل في مثل هذه الروايات هو الوضع والتزوير ما لم يثبت العكس.

ولربما كان السبب في اختلاقتها رغبة القصاصين في إثارة السامعين من خلال معلومات غريبة مخالفة للمعهود، أو أنها مما دسّه الزنادقة في مرويات وكتب المسلمين رغبةً في إفساد تراثهم التفسيري والروائي والتاريخي.

١٠. في تفسير الطبري عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: (لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زنده، وعصاه في يده، يهشّ بها على غنمه نهاراً، فإذا

١. الحلي: منتخب بصائر الدرجات، ص ١٨٦.

أمسى اقتدح بزنده ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتداءه فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقترح ناراً لأهله ليبیتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له ناراً، فقدح حتى أعياه، لاحت النار فرآها، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا...﴾^(١).

١١. وفيه أيضاً عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: (خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العُلّيق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة) تبدو هذه محاولة من يهودي لتمرير أن الشجرة من العُلّيق كما يصرح اليهود بذلك، مستخدماً علم النفس العكسي Reverse Psychology (فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة؛ فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس...)^(٢).

نفس هذا المضمون نجده منسوباً للإمام الصادق «عليه السلام» في رواية طويلة جداً، تضمّنت قصة المبعث، وفيها المقطع التالي:

١٢. في كمال الدين للشيخ الصدوق، عن الصادق «عليه السلام»: (فلما انتهى إلى النار فإذا شجرة تضطرم من أسفلها إلى أعلاها، فلما دنا منها تأخرت عنه، فرجع، وأوجس في نفسه خيفة، ثم دنت منه الشجرة، فنودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ...) ^(٣).

١. الطبري: جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩٥.

٢. الطبري: جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩٦.

٣. الصدوق: كمال الدين، ج ١، ص ١٧٩.

وتزداد الدراما في روايات الثعلبي في كتابه (عرائس المجالس) حيث يُدخل عدة عناصر للإثارة في أحداث قصة المبعث، من بينها أن امرأة موسى كانت في حال الطلق! وأن الشجرة التي سمع منها الصوت كانت شجرة عَنَاب! كما وأكد على قصة تحرك الشجرة من موضعها تقدماً وتأخراً، وإضافة حضور ملك في تفاصيل الأحداث ودوره في مساندة موسى في هذا الظرف العصيب وغير ذلك من التفاصيل التي ما أنزل الله بها من سلطان.

١٣. قال الثعلبي في كتابه عرائس المجالس: (... فسار موسى في البرية غير عارف بطرقها، فألجأ المسير إلى جانب الطور الأيمن الغربي في عشية شاتية شديدة البرد، وأظلم عليه الليل، وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر، وأخذ امرأته الطلق، فعمد موسى إلى زنده فقدحه، فلم ينور، فتحيّر وقام وقعد إذ لم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند، وأخذ يتأمل ما قرب وما بُعد تحييراً وضجراً، ثم أخذ يتسمع طويلاً، هل يسمع حساً أو حركة؟ فبينما هو كذلك، إذ آنس من جانب الطور نوراً فحسبه ناراً، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني من يدلني على الطريق، وكان قد ضل الطريق، فلما أتاها رأى نوراً عظيماً ممتداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك، واختلفوا في تلك الشجرة ما كانت؟ فقيل: العوسجة، وقيل: العناب، فتحيّر موسى وارتعدت فرائضه حيث رأى ناراً عظيمة ليس لها دخان، تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا عظماً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة، فلما دنا موسى منها استأخرت عنه، فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف، ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها، ودنت منه ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى﴾ فنظر، فلم ير أحداً، فنودي:

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى، فناداه ربه أن ادنُ وأقرب، فلما قرب وسمع النداء، ورأى تلك الهيبة، خفق قلبه وكلّ لسانه وضعفت بُنيْتُ، وصار حياً كميّت، إلا أن روح الحياة تتردد فيه من غير جراك، وأرسل الله إليه ملكاً يشدّ ظهره، ويقوّي قلبه، فلما ثاب إليه عقله نودي: اخلع ﴿نَعْلَيْكَ﴾ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى. وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الأصبهاني قال: حدثنا يحيى السدي، قال: حدثنا أحمد بن بجدة، قال: حدثنا الجمالي، قال: حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي «صلى الله عليه وآله» في قوله: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار ميت، وفي بعض الأخبار غير مدبوغ^(١). هذا المضمون الأخير نجده أيضاً في الرواية التالية:

١٤. في علل الشرائع عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: (قال الله «عز وجل» لموسى «عليه السلام»: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ لأنها كانت من جلد حمار ميت)^(٢).

وعلق المجلسي حول سبب الأمر بخلع النعلين قائلاً: (اعلم أن المفسرين اختلفوا في سبب الامر بخلع النعلين ومعناه على أقوال:

الأول: أنهما كانتا من جلد حمار ميت.

والثاني: أنه كان من جلد بقرة ذكية، ولكنه أمر بخلعهما ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الوادي المقدس.

والثالث: أن الحفا من علامة التواضع، ولذلك كانت السلف تطوف حفاة.

١. الثعلبي: عرائس المجالس، ص ١٦٠.

٢. الصدوق: علل الشرائع، ج ١، ص ٦٦.

والرابع: أن موسى «عليه السلام» إنما لبس النعل اتقاء من الأنجاس، وخوفاً من الحشرات، فأمنه الله مما يخاف وأعلمه بطهارة الموضع.

والخامس أن المعنى: فرّغ قلبك من حب الأهل والمال.

والسادس أن المراد: فرّغ قلبك عن ذكر الدارين^(١).

وهل يُشَبَّه الأهل والمال بالنعال؟ وهل الآخرة بمثابة النعال؟

وأما بحسب التراث اليهودي ويّان علّة هذا الأمر، فقد اختلف مفسّرو التوراة في ذلك ضمن عدة آراء:

١. المشكلة كانت في نعل موسى، فالنعل المصنوعة من جلود الحيوانات تعتبر من الناحية الشرعية غير طاهرة.
٢. خلع الحذاء/النعل/الصندل علامة على الاحترام، إذ تتراكم الأتربة والأوساخ عليها، وربما لم يكن من اللائق أو من احترام المكان أن يأتي أحدهم إلى مكان مقدّس دون تنظيف القدم المتربة والقذرة أولاً قبل الدخول.
٣. خلع الحذاء/النعل/الصندل يُعبّر عن استسلام المرء تماماً لاعتبار المكان وعنوانه، فيكون ارتباطه بالمكان مباشراً وبلا وسيط، والوسيط هنا النعل أو الحذاء أو الصندل.
٤. خلع الحذاء/النعل/الصندل يمثّل تنازلاً عن أية ادعاءات بالتملّك. كان المشي بالأحذية وأمثالها دليلاً وعلامة على تملّك المكان، أما حيث كان موسى في ذلك الوادي المقدّس المنسوب إلى الله، فلذا كان يُفترض به أن يتخلّى عمّا قد يوحي بامتلاكه للمكان.
٥. الحذاء/النعل/الصندل رمز الابتذال والفضاظة والسطحية والقوة الغاشمة، ولذا

١. المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٦٦.

فإنّ تقدير قداسة المكان يستدعي التخلّي عمّا يرتديه في قدميه.

٦. موسى كان على وشك بدء مهمة سيبدأ معها العالم من جديد، وذلك من خلال نزول التوراة من السماء إلى الأرض، وهي تتضمن تعليمات حول الفرق بين المقدّس والمدنّس، وبما أن موسى كان سيقود الأمة من العبودية إلى الحرية، لذا فقد تمّ اختباره هنا لمعرفة ما إذا كان على استعداد لقبول التمايزات التي يحددها الدين أحياناً، كالفرق بين المقدّس والمدنّس^(١) [انظر اللوحات ١٠٢-١٠٤].

١٥. في تاريخ الطبري عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه: (... ثم قال ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ١٨﴾ أي منافع أخرى ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ ١٩ ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ٢٠ ﴿قَدْ صَارَ شَعْبَتَاهَا فَمَهَا، وَصَارَ مُحْجَنُهَا عِرفاً لَهَا، فِي ظَهْرِ تَهْتَزُّ، لَهَا أُنْيَابٌ، فَهِيَ كَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، فَرَأَى أَمراً فُظِيْعاً، فـ ﴿وَلِيَّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فناداه ربه أن ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أي سيرتها عصا كما كانت قال فلما أقبل قال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ أدخل يدك في فمها، وعلى موسى جبة من صوف، فلفّ يده بكمه وهمّ لها هائب، فنودي أن ألقِ كُفَّكَ عن يدك، فألقاه عنها ثم أدخل يده بين لحيها^(٢)، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هي عصاه في يده، ويده بين شُعْبَتَيْهَا حيث كان يضعها، ومحجنتها بموضعه الذي كان، لا يُنْكِر منها شيئاً^(٣).

1. <https://jewishlink.news/features/28858-why-was-moses-commanded-to-remove-his-shoes>

٢. أي فكّهما.

٣. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص ٢٤٠.



اللوحة رقم ١٠٢: لوحة فسيفساء خلع الحذاء - كنيسة سان فيتالي -

رافينا - إيطاليا - القرن ٦ م



اللوحة رقم ١٠٣: أيقونة لخلع النعلين ق ١٣ - دير القديسة كاترين - سيناء



اللوحة رقم ١٠٤ : لوحة خلع الحذاء للإيطالي دومينيكو فيتّي ١٦١٥-١٦١٧

١٦. في كمال الدين للشيخ الصدوق عن الصادق «عليه السلام» بمضمون قريب من ذلك: (﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فإذا حيّة مثل الجذع، لأنها صرير يخرج منها مثل لهب النار، فولى مُدْبِرًا فقال له ربه «عز وجل»: ارجع، فرجع وهو يرتعد وركبته تصطكان، فقال: إلهي هذا الكلام الذي أسمع كلامك؟ قال: نعم فلا تخف، فوقع عليه الأمان فوضع رجله على ذنبها ثم تناول لحبيها فإذا يده في شعبة العصا قد عادت عصا...»^(١).

١٧. وفي تاريخ الطبري: (ثم قيل ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي من غير برص، وكان موسى «عليه السلام» رجلاً آدم أقرى جعداً طوالاً، فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج، ثم ردها في جيبه، فخرجت كما كانت على لونه...»^(٢).

نتوقف عند هذا الحد في عرض ما جاء من أخبار وروايات حول مبعث النبي موسى «عليه السلام»، ونكمل في الجزء الثاني بإذن الله «تعالى» سيرة هذا النبي الكريم من بعد تحمّله الرسالة إلى حين وفاته... والحمد لله رب العالمين.

• نتائج الفصل و خلاصته:

○ لم يكن خروج موسى من مدين إلى مصر وبلوغه جبل حوريب/طور سينين بغرض رعي الأغنام كما قالت التوراة الحاضرة، ثم تفاجأ بكلام الله، بل جاء ذلك بعد أن قرر العودة إلى مصر، وسار بأهله، وانتهى به المطاف -تائهاً عن الطريق- ليتوقف عند ذلك الجبل، وينال شرف التكليم الإلهي له والمبعث وتحمّله الرسالة.

١. الصدوق: كمال الدين، ج ١، ص ١٧٩.

٢. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٨٤.

○ بين القرآن الكريم أن العنوان الأهم والرئيس في تكليف النبي موسى بالرسالة كان هو دعوة فرعون وقومه لتوحيد الله والإيمان بالنبوة واليوم الآخر، وهي أصول الدين، بالإضافة للدعوة إلى عبادة الله، ورأسها الصلاة، وتليها مسألة خلاص بني إسرائيل، بينما ركزت التوراة الحاضرة على مسألة الخلاص دون الدعوة للإيمان بأصول الدين الثلاثة.

○ بحسب القرآن الكريم، عاين موسى آيتين عند المبعث، آية انقلاب العصا، وتبدل لون يد موسى، وأخبر عن آيات أخرى ستنزل فيما لو استكبر فرعون وعاند، وأما التوراة فتذكر آية ثالثة وهي انقلاب الماء إلى دم عند سكبه على التراب، مع الوعد بآيات أخرى بحسب طبيعة موقف فرعون من الرسالة.

○ ذكر النبي موسى مجموعة من الأمور التي اعتبرها عائناً أمام نجاح مهمته الرسالية، وجاء ذلك -في الوصف القرآني- بأسلوبٍ يليق بساحة الأنبياء، كما كان الخطاب الإلهي له خطاب الرب المحبّ لعبده... بينما وجدنا التوراة الحاضرة تخالف هذه الصورة، بحيث يخرج من يقرأها بانطباع سلبي عن النبي موسى، وعن شدة غضب الله عليه بسبب ذلك.

○ اتفق النصّان على أن الله وعد نبيّه برفع كل الموانع التي ذكرها كأسباب قد تؤدّي إلى فشل المهمة، ومن ذلك تأييده بأخيه هارون، إلا أن التوراة تقول أن ذلك تمّ بمبادرة إلهية، بينما يصرح القرآن الكريم بأن ذلك تمّ باقتراح من موسى نفسه.

○ لم يتحدّث القرآن الكريم ضمن مشهد المبعث إلا عن لقاء واحد خاطب فيه الله نبيّه موسى بصورة مباشرة، بينما تصرّح التوراة بوقوع أكثر من خطاب من حين

الخطاب الأول عند جبل حوريب إلى ما قبل وصوله إلى مصر، ولربما كانت ثلاثة خطابات أو أكثر.

○ انفردت التوراة بقصة غريبة حول غضب الله على موسى إلى درجة أنه كاد أن يقتله في الطريق إلى مصر، حيث أصيب موسى بإعياء شديد، فبادرت زوجته صقورة إلى ختان ابنه -الذي لم يُخْتَن من قبل- ومسحت الدم على رجل موسى، فزال عنه الخطر. واختلفت الشروح على التوراة في المدرستين اليهودية والمسيحية حول سبب هذا الغضب، وإن اتفقت على أن لعدم ختان أحد ولدي موسى دخلاً في ذلك.

○ جاء في إحدى المصادر اليهودية أن موسى ابتلع من قبل أحد الملائكة ضمن هذه الحادثة وكاد أن يموت بسبب ذلك، وفي مصدر آخر أن موسى ضرب الملاك (حَيِيمَا) فقتله حين أراد أن يُنزل به العقاب الإلهي بسبب عدم ختان ولده، واحتملنا أن مثل هذا الموروث الكتابي كان له الأثر في ما روي في بعض صحاح المسلمين من أن موسى فقاً عين ملك الموت عندما جاء ليقبض روحه.

○ تحوّلت عصا موسى إلى حية صغيرة في المرة الأولى، ولكنها تحوّلت إلى ثعبان كبير، وجاء ذلك مراعاة لطبيعة كل موقف وظروفه.

○ لم يكن تغبّر لون يد موسى نوعاً من العقوبة كما قال بعض أحبار اليهود، بل كان آية من آيات الله لفرعون والملا، ولربما جاء التعبير القرآني بأن التحوّل إلى اللون الأبيض من غير سوء للرد -ضمنياً- على هذا الافتراء.

○ اعتاد فرعون أن يضع المساحيق لتغيير لون بشرته، ولربما استعمل مسحوق الذهب في ذلك، حيث كان الذهب من شئون الألوهية بحسب عقيدة المصريين

القدماء، فجاء تغير لون بشرة يد موسى تغيراً حقيقياً أمراً مذهلاً أخرج الألسنة.

○ امتلأت مصادر المسلمين في كتب التفسير والحديث والتاريخ وقصص الأنبياء بالأساطير حول عصا موسى، وفي بعضها ما يندى له الجبين.

مصادر الكتاب

المصادر العربية

١. القرآن الكريم
٢. الكتاب المقدس
٣. إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: علي بن الحسين المسعودي
٤. أسطورة موسى: جاري جرينبرج
٥. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي
٦. تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري
٧. تاريخ يعقوبي: أحمد بن إسحاق يعقوبي
٨. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور
٩. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن المباركفوري
١٠. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير
١١. تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي
١٢. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية
١٣. التفسير الكبير: الفخر الرازي
١٤. تنزيه الأنبياء: الشريف المرتضى
١٥. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري
١٦. الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
١٧. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: محمد حسن النجفي
١٨. الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين السيوطي
١٩. الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقيلة المكي

٢٠. سعد السعود: علي بن موسى (ابن طاووس)
٢١. سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي
٢٢. شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني
٢٣. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري
٢٤. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري
٢٥. العبر وديوان المبتدأ والخبر: عبد الرحمن ابن خلدون
٢٦. عرائس المجالس: أحمد النيسابوري الثعلبي
٢٧. علل الشرائع: محمد بن علي الصدوق
٢٨. عيون أخبار الرضا: محمد بن علي الصدوق
٢٩. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: محمد اليعمري (ابن سيد الناس)
٣٠. غرر الحكم وذُرر الكليم: عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي
٣١. الغرر والدرر: الشريف المرتضى
٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
٣٣. فرعون ذو الأوتاد: أحمد سعد الدين
٣٤. فرعون ذو الأوتاد: أحمد سعد الدين
٣٥. القانون في الطب: الحسين بن عبد الله بن سينا
٣٥. قصص الأنبياء: إسماعيل بن عمر بن كثير
٣٧. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني
٣٨. الكامل في التاريخ: علي بن محمد (ابن الأثير)
٣٩. الكتب المقدسة وهي كتب العهد العتيق و العهد الجديد: مارشال هــجسون
٤٠. الكشف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: جـار الله الزمخشري
٤١. كمال الدين وتـمام النعمة: محمد بن علي الصدوق
٤٢. لسان العرب: محمد بن مكرم (ابن منظور)
٤٣. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل السامرائي
٤٤. محـاكمة فرعون: محمد جويلي

٤٥. المسند: أحمد بن حنبل
٤٦. معاني الأخبار: محمد بن علي الصدوق
٤٧. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل: طه باقر
٤٨. ملوك مصر القديمة: محمد راشد
٤٩. من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن: رؤوف أبوسعدة
٥٠. من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي الصدوق
٥١. من وحي القرآن: محمد حسين فضل الله
٥٢. منتخب بصائر الدرجات: الحلي: الحسن بن سليمان العاملي الحلي
٥٣. موسوعة مصر القديمة: سليم حسن
٥٤. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي
٥٥. نهج البلاغة: الشريف الرضي
٥٦. وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي

المصادر الأجنبية

1. Chronicle of Moses
2. Eusebius of Caesarea. "Praeparatio Evangelica" [Preparation for the Gospel]. Translated by Gifford, E. H. Book
3. Israel in Egypt: Hoffmeier
4. Leben Abraham's. Beer, Bernhard
5. Pulpit Commentary. Under the direction of Rev. Joseph S. Exell and Henry Donald Maurice Spence-Jones.
6. Sefer ha-Yashar
7. Sifrei Devarim
8. The Legends of the Jews by Louis Ginzberg
9. Yalkut Shimoni

مواقع الإنترنت

1. dorar.net
2. en.wikipedia.org
3. images.shulcloud.com
4. jewishlink.news
5. jwa.org
6. quran-m.com
7. st-takla.org
8. tadars.com
9. theisraelbible.com
11. torah.org
12. www.alfalq.com
13. www.almaany.com
14. www.britannica.com
15. www.chabad.org
16. www.hindawi.org
17. www.jewishencyclopedia.com
18. www.originalsources.com
19. www.sefaria.org
20. www.studylight.org
21. www.thebiblejourney.org

الكتب

١. آفاق الجمعة: روح وفكر... ٣ أجزاء
٢. أبو الأنبياء
٣. أبيض.. أسود
٤. أحبك يا ربي: كتيب للأذكار مخصص للأطفال
٥. أحكام الحدث الأكبر
٦. أحكام الدماء الثلاثة
٧. أحكام المريض والمصاب
٨. أخلاقيات الطب وآدابه
٩. أخلاقيات المهن الحقوقية وآدابها
١٠. إضاءات على فكر الفقيه المجدد السيد فضل الله
١١. أطلس واقعة الطف
١٢. إليك يا ابنتي (مترجم إلى اللغة التركية)
١٣. إليك يا ولدي (مترجم إلى اللغة التركية)
١٤. إمام ومأموم... حُكم الجماعة عند الاختلاف المذهبي
١٥. بسايتين الإيمان: ٤ كتب دراسية في التربية الإسلامية للمرحلة المتوسطة
١٦. التفاحة الفاسدة
١٧. حروب الردة: الحقيقة والأساطير
١٨. الدرة الثمينة في أعمال مكة والمدينة
١٩. الدليل: مرشد الزائرين للعبات المقدسة في إيران

٢٠. رسالة المسجد
٢١. زوجتي العزيزة
٢٢. زوجي العزيز
٢٣. زينة الحياة
٢٤. حقائق الإيمان: ٥ كتب دراسية في التربية الإسلامية للمرحلة الابتدائية
٢٥. السيرة العسكرية لأمير المؤمنين علي
٢٦. السيرة العسكرية لسيد المرسلين محمد
٢٧. الشعائر الحسينية
٢٨. شهداء على أرض فخ
٢٩. صلاة الجمعة
٣٠. طريق سعادتي، صدر بثلاث لغات (العربية - الإنجليزية - الهندية)
٣١. الغناء في ميزان الشرع
٣٢. الفتوحات الإسلامية... دراسة تاريخية وشرعية
٣٣. فراس: قصة للأطفال
٣٤. فك لغز الأسباط... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٣٥. لا فتى إلا علي
٣٦. للشباب فقط
٣٧. ليالي عاشوراء (١٠ أجزاء)
٣٨. المآتم الحسينية... أهداف وتطلعات
٣٩. محطات في الفكر والسياسة والأدب
٤٠. المرأة والستر الشرعي
٤١. المسيح عيسى ابن مريم
٤٢. المعجم المصور للمصطلحات الفقهية

٤٣. مفاهيم حركية من وحي القرآن (في مجلدين)
٤٤. من هدي الإمام المجتبي... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٥. من هدي أمير المؤمنين... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٦. من هدي الزهراء... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٧. من هدي سيد الشهداء... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٨. من هدي النبي الأكرم... صدر باللغتين، العربية والفارسية
٤٩. المنبر الحسيني: أفكار ورؤى الفقيه المجدد السيد فضل الله
٥٠. منتقى الجمان من مفاتيح الجنان
٥١. منتقيات (١٠ أجزاء)
٥٢. المنهج الرسالي في التفسير القرآني عند السيد محمد حسين فضل الله
٥٣. ميثولوجيا الخضر
٥٤. وداع الأحبة

تطبيقات الأجهزة اللوحية والهواتف المحمولة

١. آيات الأحكام
٢. المرشد لأحكام الحج
٣. مؤلفاتي
٤. وصية
٥. الولاء
٦. وهم الإلحاد

